



كارين م. ماكنوس

Karen M. McManus

اثنان يمكنهما كتفان السر

TWO CAN KEEP A SECRET
IF ONE IS DEAD



رواية

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.



اثنان يمكنهما

كتمان السرّ

إذا مات أحدهما

TWO CAN KEEP A SECRET

IF ONE IS DEAD

كارين م. ماكنوس

Karen M. McManus

اثنان يمكنهما

كتمان السرّ

إذا مات أحدهما

TWO CAN KEEP A SECRET

IF ONE IS DEAD

رواية

تعريب

منتدى فايز علمي

مراجعة وتحريّر

مركز التعريب والبرمجة



الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc. ASAL

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي

Two Can Keep A Secret

by Karen M. McManus

حقوق الترجمة العربية مرخص بها قانونياً من المؤلف Karen M. McManus LLC

c/o Stimola Literary Studio, Inc with Intercontinental Literary Agency

.Ltd

بمقتضى الاتفاق الخطي الموقع بينه وبين الدار العربية للعلوم ناشرون، ش.م.ل.

Text Copyright © 2019 by Karen M. McManus

All rights reserved

Arabic Copyright © 2020 by Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

الطبعة الأولى: شباط/فبراير 2021 م - 1442 هـ

ردمك 2-6504-02-614-978

جميع الحقوق محفوظة للناشر

icebook.com/ASPArabic

twitter.com/ASPArabic

www.aspbooks.com

sparabic

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L



عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم

هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1-961+)

ص.ب: 13-5574 شوران - بيروت 1102-2050 - لبنان

فاكس: 786230 (1-961+) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb

الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو بأية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات، واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر.

ش.م.ل
إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الدار العربية للعلوم ناشرون

تصميم الغلاف: علي القهوجي

التنضيد وفرز الألوان: أبجد غرافيكس، بيروت - هاتف (9611+) 785107

الطباعة: مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت - هاتف (9611+) 786233

الفصل الأول

إليري

30 آب

لو كنت أوّمن بالبشائر، لاعتبرت ذلك نذير شؤم.

لم يبقَ سوى حقيبة سفر واحدة على عربة الأمتعة، لونها وردي ساطع، ومغطاة بملصقات هالو كيتي، وأستطيع الجزم أنها ليست ملكي.

راقب أخي عزرا الحقيبة وهي تمرّ بنا للمرة الرابعة، متّكئاً على مقبض حقيبته الكبيرة، وقد تفرّق الحشد بعد أن كان متحلّقاً حول حزام الأمتعة، وذهب كلٌّ منهم في طريقه باستثناء زوجين كانا يتجادلان حول من كان يُفترض به متابعة حجز السيارة المُستأجرة.

خاطبني عزرا قائلاً: "ربما يجب أن تأخذها، يبدو أن مالکها لم يكن على متن رحلتنا، وأنا أراهن على أن لديه ذوقاً في الموضة مثيراً للاهتمام، وربما يرتدي كثيراً من الملابس ذات النقش المنقّط والزخرفة اللامعة".

رنّ هاتفه، فأخرجه من جيبه وردّ على الاتصال، ثم قال: "نانا في الخارج".

قلت بصوت خافت وأنا أركل الجانب المعدني من حزام الأمتعة بحذائي: "لا أصدّق حصول ذلك، كانت حياتي كلها في تلك الحقيبة".

في الأمر شيء من المبالغة، فقد كانت حياتي الحقيقية بأكملها في لا بوينتي، كاليفورنيا، حتى الساعات الثماني التي مضت.

بخلاف الصناديق القليلة التي سُحنت إلى فيرمونت الأسبوع الماضي، تحتوي الحقيبة على ما تبقى من الأشياء.

"أعتقد أنه يجب علينا الإبلاغ عن ذلك". مسح عزرا منطقة استلام الأمتعة، ومزّره يده فوق شعره القصير، فقد اعتاد أن يكون لديه تجاعيد كثيفة داكنة مثل تجاعيدي متدلية من عينيه، وما زلت غير قادرة على التعوّد على قصّة الشعر التي حصل عليها خلال الصيف.

أمال حقيته واستدار باتجاه مكتب الاستعلامات، وقال: "هنا، على الأرجح".

بدا الرجل النحيل خلف المكتب، وكأنه في المدرسة الثانوية، هناك طفح جلدي وبثور حمراء على خديه وفكه، وقد عُلقَت بطاقة اسم ذهبية بشكل ملتو على سترته الزرقاء كُتِبَ عليها "أندي"، عضّ أندي على شفثيه النحيفتين عندما أخبرته عن حقيتي، وأدار رأسه إلى حقيبة هالو كيتي التي لا تزال تدور على حزام أمتعة السفر.

"رحلة رقم 5624 من لوس أنجلوس؟ مع توقف في شارلوت؟".

أومات إليه مؤكدة.

"هل أنت متأكدة من أنها ليست ملكك؟".

"نعم، متأكدة".

"مشكلة سنجدها لكن عليك ملء هذه الاستمارة".

فتح درجاً، وسحب نموذجاً ومزّره باتجاهي.

تمتم وهو يبحث بفتور بين كومة من الأوراق: "هناك قلم في مكان ما هنا".

"لديّ واحد"، فتحت السحاب الأمامي لحقيتي، وأخرجت كتاباً ووضعته على المنضدة، وأنا أتحمّس داخل الحقيبة لأجد القلم.

رفع عزرا حاجبيه عندما رأى غلاف الكتاب المسحوق وسألني: "حقاً إليري؟ أحضرت رواية بدم بارد على متن الطائرة؟ لماذا لم تشحنها مع بقية كتبك؟".

قلت مدافعة عما قمت به: "إنها قيّمة".

حزك عزرا عينيه، وقال: "تعلمين أنه ليس توقيع ترومان كابوت الفعلي، لقد تعرّضت سادي للغش".

قلت بصوت خافت: "أياً يكن الأمر، الفكرة هي التي تهّم".

اشترت لي والدتنا النسخة الأولى الموقّعة من موقع إي باي بعد أن حصلت على دور جثة ميتة في مسلسل القانون والنظام منذ أربع سنوات، وأعطت عزرا غلاف ألبوم سيكس بيستولز موقّعاً من سيد فيشوس الذي ربما كان مزوراً أيضاً، وكان يجب أن نحصل على سيارة ذات مكابح متينة بدلاً منهما، لكن سادي لم تكن جيدة في التخطيط للمدى البعيد.

أخيراً أخرجت قلماً، وبدأت أدوّن اسمي على الاستمارة.

سأل آندي: "هل وجهتكما إيكو ريدج؟"، توقّفت مؤقتاً عن كتابة الجزء الثاني من اسم عائلتي، فأضاف آندي: "ما عادوا يطلقون عليها هذا الاسم، كما تعلمان، وأنتما مبكران في الحضور، لأنها لن تفتح قبل أسبوع".

"أعلم ذلك، لم أقصد الممتنّزه، قصدت ال..."، تابعت ما كنت أقوم به قبل أن أقول اسم المدينة، وأعدت كتاب بدم بارد إلى الحقيبة، وقلت وقد ركزت انتباهي على الاستمارة: "لا تهتمّ، ولكن كم تستغرق في العادة استعادة الأشياء المفقودة؟".

تبادل آندي النظرات معي ومع عزرا، وقال: "لا ينبغي أن تستغرق أكثر من يوم".

"أنتما أيها الرفيقان، إنكما تشبهان بعضكما كثيراً، هل أنتما توأم؟".

أومأت برأسي إليه وواصلت الكتابة.

أجابه عزرا كعادته بلباقة: "نعم، نحن توأم".

قال آندي: "كان يُفترض أن أولد مع توأمي، لكنه الآخر رفض أن يخرج".

أطلق عزرا شخيراً خفيفاً ومفاجئاً في الوقت الذي حاولت فيه كبج ضحكتي، يحدث ذلك لأخي كل الوقت، يشاركه الناس أغرب التفاصيل، فقد يكون لدينا الوجه نفسه، لكن وجهه ينال ثقة الجميع.

"لطالما اعتقدت أنه من الرائع أن يكون لديك توأم، يمكنكما التظاهر بأنكما الشخص نفسه والتلاعب بالناس".

نظرت إلى الأعلى ورأيت آندي يحدّق إلينا مجدداً: "حسناً، أعتقد أنكما لا تستطيعان فعل ذلك، فأنتما لستما توأمًا متطابقًا".

ردّ عزرا بابتسامة خفيفة: "بالتأكيد لا".

أسرعت بالكتابة، وسلّمت النموذج المكتمل إلى آندي، الذي انتزع الورقة العلوية وأعطاني النسخة الصفراء.

سألته: "سيُصل بنا إذاً شخص ما، أليس كذلك؟".

قال آندي: "نعم، وإن لم يتّصل بكما أحد غداً، اتّصلا بالرقم المدوّن في الأسفل، استمتعا بوقتكما في إيكو ريدج".

أطلق عزرا زفيراً عميقاً ونحن نتّجه نحو الباب الدوّار، فابتسمت له من فوق كتفي: "أنت تكوّن أقوى الصداقات".

ردّ عزرا وهو يرتجف: "والآن لا أستطيع التفكير إلا في ذلك، هل...؟ لا، لن أتكهّن، لا أريد المعرفة، يا له من شيء غريب أن تكبر معه، هاه؟ معرفة مدى سهولة أن تكون التوأم الخطأ".

اندفعنا عبر الباب، فلفحنا الهواء الخانق والعايق برائحة العوادم، على الرغم من أننا في اليوم الأخير من شهر آب، فقد توقّعت أن تكون فيرمونت أكثر برودة من كاليفورنيا، فسحبت شعري عن رقبتي، بينما تصفّح عزرا هاتفه.

قال عزرا: "تقول نانا إنها تدور في السيارة، لأنها لا تريد ركنها في موقف السيارات".

رفعت حاجبيّ بدهشة: "نانا ترسل الرسائل النصية في أثناء قيادتها للسيارة؟".

"نعم، هذا ما يبدو عليه الأمر".

لم أرَ جدّتي منذ أن زارتنا في كاليفورنيا قبل عشر سنوات، لكن ما أستطيع تذكره، أنها ما كانت تتصرّف بهذه الطريقة أبداً، فانتظرنا بضع دقائق ونحن نذبل من شدّة الحرارة، حتى توقّفت سيارة سوبارو خضراء

اللون إلى جانبنا، فأنزلت نانا زجاج النافذة، وأطلت برأسها عبرها، فلم تكن مختلفة كثيراً عما تبدو عليه عبر سكايب، على الرغم من أن شعرها الرمادي الكثيف بدأ أنه مقصوص حديثاً.

قالت وهي تنظر إلى شرطي المرور الذي يقف على بعد أمتار قليلة منا: "هيا اركبا، لن يسمحوا لنا بالوقوف أكثر من دقيقة".

أعدت رأسها إلى داخل السيارة، بينما وضع عزرا حقيبته في صندوق السيارة.

عندما جلسنا في المقعد الخلفي، استدارت نانا بينما جلست امرأة أصغر سنًا بجانبها خلف عجلة القيادة. قالت معرّفة بها: "إيري، عزرا، هذه ميلاني كيلدوف، تعيش عائلتها في آخر شارعنا، وقد اعتادت على رعاية والدتكما عندما كانت صغيرة، وربما سمعتما اسمها من قبل، وهي حادة النظر، وقد كانت لطيفة بما يكفي لتتولى القيادة".

تبادلت وعزرا نظرات خاطفة؛ نعم، نعم، سمعنا اسمها. لقد تركت سادي إيكو ريدج عندما كانت في الثامنة عشرة من عمرها، ولم تعد إليها سوى مرتين فقط، المرة الأولى قبل عام من مولدنا، عندما توفي جدنا إثر نوبة قلبية، والمرة الثانية قبل خمس سنوات، من أجل حضور جنازة ابنة ميلاني المراهقة، وقد شاهدنا أنا وعزرا عرض ديتلاين الخاص -غموض في مردرلاند- في المنزل بينما كان جارنا يقيم معنا، لقد أذهلتني قصة لاسي كيلدوف الفتاة الشقراء الجميلة التي وجدت مخنوقة في هالوين بارك مسقط رأس والدتي. كان أندي موظف المطار على حق، فقد غير مالك المتنزه اسمه من "مردرلاند" إلى "مزرعة الرعب" بعد بضعة أشهر فقط، ولا أعتقد أن القضية كانت ستحصل على الاهتمام الوطني نفسه لو لم يكن البارك اسماً على مسمّى، أو لو لم تكن لاسي الفتاة الجميلة الضحية الثانية التي تبلغ من العمر سبعة عشر عاماً، وهذه الجريمة لم تقع في البلدة الصغيرة نفسها فقط بل في الشارع نفسه أيضاً.

لم تُجب سادي على أي من أسئلتنا عندما عادت من جنازة لاسي، وكنا كلما طرحنا عليها سؤالاً تقول: "أريد أن أنسى الأمر فقط"، وهو الشيء نفسه الذي كانت قد أخبرتنا به عن إيكو ريدج طوال حياتنا، وعلى ما أعتقد، من السخف أن ينتهي بنا المطاف إلى هذا المكان على أي حال.

قال عزرا لميلاني: "تشرفت بلقائك".

وما إن تلعثمت في الكلام وكدت أختنق بلعابي، حتى ضربني عزرا على ظهري بقوة.

بدا جمال ميلاني باهتاً، فعيناها زرقاوان فاتحتان، وابتسامتها المشرقة ساحرة، وعلى وجهها تناثر القليل من النمش، وقد جدّلت شعرها الأشقر الشاحب جديلة فرنسية.

"وأنا أيضاً سعدت بلقائكما، وآسفة لأننا تأخرنا عليكم، لكن حركة المرور كانت كثيفة نوعاً ما، كيف كانت الرحلة؟".

قبل أن يتمكّن عزرا من الإجابة عن سؤالها، صدر صوت صفق قوي على سطح سيارة السوبارو، فقفزت نانا من مكانها.

صرخ شرطي المرور قائلاً: "تحركي".

قالت نانا بانزعاج: "برلنغتون هي المدينة الأكثر وقاحة".

كنت أتلمّس حزام المقعد وأنا أحدّق إلى مؤخرة رأس ميلاني، فلم أتوقّع أن ألتقي بها فور وصولي، ولكنني كنت على يقين من أنني سألقاها في النهاية، لأنها ونانا جارتان، إلا أنني اعتقدت أنني سألتقي بها وأنا أخرج القمامة للحظات معدودة، لا لمدة ساعة في السيارة فور هبوطي في فيرمونت.

قالت ميلاني وهي تغادر المطار، وتبّجه نحو طريق سريع ضيق تنتشر فيه اللافتات الخضراء: "لقد شعرت بالأسف الشديد لسماع ما أصاب والدتكما".

قاربت الساعة العاشرة ليلاً، وقد توهّجت أماننا الأضواء المنبعثة من نوافذ مجموعة صغيرة من المباني، وتابعت ميلاني كلامها قائلة: "لكنني سعيدة لأنها تحصل على المساعدة التي تحتاج إليها. سادي امرأة قوية، وأنا متأكدة من أنها ستعود إليكما قريباً، وأتمنى أن تستمتعا بوقتكما في إيكو ريدج، فهي مدينة صغيرة وجميلة، وأعلم أن نورا تتطلّع إلى أن تريكما الجوار".

هذه هي الطريقة المثلى لتجنب الانتقال إلى محادثة محرّجة، فلا حاجة لأن تقول: "أنا آسفة لأن والدتكما قد اصطدمت سيارتها بمتجر مجوهرات بينما كانت منتشية بعد أن تناولت كمية من الأفيون، واضطرت إلى دخول مركز إعادة التأهيل لمدة أربعة أشهر".

مرحباً بكم في إيكو ريدج.

بعد وقت قصير من وصولنا إلى الطريق العام، غفوت ولم أحرّك ساكناً حتى أيقظني ضجيج عال مزعج، بدا وكأن السيارة تتعرّض للقذف بالحجارة من كل اتجاه، فاستدرتُ نحو عزرا وقد اعتلى الخوف وجهي، لكنه بدا مرتبكاً وخائفاً بالقدر نفسه.

أدارت نانا رأسها نحونا، وقالت بصوت عال لكي نستطيع سماعها: "إنه البرد، وتساقطه طبيعي في هذا الوقت من السنة، على الرغم من أن حباته كبيرة نوعاً ما هذه المرة".

قالت ميلاني: "سأركن السيارة جانباً حتى يتوقّف تساقط البرد"، فأبطأت السيارة، وركنتها إلى جانب الرصيف، ثم أوقفت عمل المحرك.

كان البرد يضرب السيارة بقوة أكبر من أي وقت مضى، فتوقّعت أن ينتهي الأمر بإصابة السيارة بخدوش كثيرة ما إن يتوقّف تساقطه.

اصطدمت حبة برد كبيرة بالزجاج الأمامي، فأرعبتنا جميعاً.

سألتُ نانا: "كيف تمطر برداً وقد كان الجو حاراً في برلنغتون؟".

وضّحت لنا نانا وهي تشير إلى السماء: "يتشكّل البرد في السحاب حيث تكون درجات الحرارة متدنية، وبعد ذلك تذوب حبات البرد بسرعة على الأرض على أية حال".

لم يكن صوتها حنوناً، لكنه بالطبع أكثر حيوية مما كانت عليه طوال الليل، ولا أدري إن كان الحنان يناسبها، فقد كانت تعمل سابقاً معلمة، ومن الواضح أنها شعرت براحة أكبر وهي تؤدّي هذا الدور من تأدية دور الجدة الحاضنة. ولا ألومها لأنها ستبقى عالقة معنا لمدة ستة عشر أسبوعاً حتى تنتهي مرحلة إعادة تأهيل سادي بأمر من المحكمة، كما أننا سنظلّ عالقين معها أيضاً. لقد أصرّ القاضي على أن نعيش مع أحد أقاربنا ما جعل خياراتنا محدودة للغاية، لأن علاقة أبي بأمي كانت لليلة واحدة فقط، وهو كان ممثلاً بديلاً أو هذا ما ادّعاه خلال الساعتين اللتين أمضاهما برفقة سادي بعد لقائهما في أحد نوادي لوس أنجلوس، كما أنه ليس لدينا خالات أو أعمام أو أبناء عمومة، فلا أقرباء لنا لنقيم معهم باستثناء نانا.

جلسنا بصمت لبضع دقائق، نشاهد حبات البرد وهي ترتدّ عن غطاء السيارة، ثم خفّ تساقطها تدريجياً حتى توقّف تماماً. في النهاية عادت

ميلاني إلى الطريق، وألقيت نظرة على ساعة لوحة القيادة، كانت الحادية عشرة مساءً، ما يعني أنني نمت لمدة ساعة تقريباً.

لكزت عزرا في كتفه وسألته: "لا بد أننا أوشكنا على الوصول، أليس كذلك؟".

ردّ عزرا قائلاً: "تقريباً"، وتابع كلامه بصوت منخفض: "إنها ليلة الجمعة ولا بد أن يعجّ المكان بالمارة، ولكننا لم نشاهد أي مبنى منذ عدة أميال".

الجو قاتم في الخارج، وقد حاولت أن أرى تفاصيل المكان الذي لم تستطع سادي الانتظار حتى تغادره، ولكنني لم أتمكن من رؤية الكثير من النافذة باستثناء الضباب الذي يظلل الأشجار، حتى بعد أن فركت عينيّ عدة مرات. لقد اعتادت أن تقول: "إنه مثل العيش في بطاقة بريدية جميلة ولامعة ولكنها مغلقة، وكل من يعيش في إيكو ريدج يتصرّف وكأنه سيختفي إذا غامر بالخروج منها".

اجتازت السيارة أحد المطبات من دون أن تخفّف ميلاني السرعة، فاهتزت السيارة بقوة، ما جعلني أميل إلى جانب واحد، فضغطت حزام الأمان على صدري وكاد ينغرز في رقبتني، أما عزرا فكان يتشاءم بشدّة طوال الوقت لدرجة أن فكيه كادا ينخلعان، وأنا متأكدة من أنه ما إن استيقظت حتى شعر بأنه مُلزم بالبقاء مستيقظاً لمحدثتي على الرغم من أن كلينا لم نيم بشكل جيّد منذ أيام.

قالت نانا من المقعد الأمامي: "نحن على بعد أقل من ميل من المنزل، وقد مررنا للتو بلافتة إيكو ريدج ترحّب بكم، على الرغم من أنها خافتة الإضاءة لدرجة أنني لا أفترض حتى أنكما لاحظتماها".

إنها محقّة، فلم ألحظ اللافتة على الرغم من أنني كنت أرغب في رؤيتها، لأن تلك اللافتة كانت واحدة من الأشياء القليلة التي تحدّثت عنها سادي، وكانت ذات صلة بإيكو ريدج، والتي غالباً ما حدّثتنا عنها بعد احتساء عدّة كؤوس من النبيذ.

كانت تبسم بتكلف وهي تقول: "عدد السكان 4935 ولم يتغيّر أبداً، وقد عشت هناك طوال ثمانية عشر عاماً، ويبدو أنك إذا أردت إحضار شخص ما، فعليك إخراج شخص آخر أولاً".

قالت نانا بصوت مُحدّر: "اقتربنا من الجسر، ميلاني".

ردّت ميلاني: "أعلم ذلك".

انحدر الطريق بشكل حاد عندما مررنا تحت قوس من الحجر الرمادي، فحَقَّقت ميلاني سرعة السيارة، وبدأت تسير ببطء شديد.

لقد خلا الشارع على امتداد هذا الطريق من المصابيح، لذلك أضاءت ميلاني مصابيح السيارة العليا.

همسَ عزرا إليّ: "نانا هي أسوأ مساعد سائق على الإطلاق".

فهمست في أذنه: "حقاً، لكن ميلاني في غاية الحذر".

فقال: "لا، إنها تسير بسرعة كبيرة ما لم يكن هنالك إشارة حمراء".

عندما صرخت جدتي بصوت أمر: "توقّفي"، ضحكت في الوقت نفسه تماماً.

اعتقدت لجزء من الثانية أن لديها سمعاً أسرع من الصوت، وأنها انزعجت من ضحكاتنا.

ضغطت ميلاني على الفرامل، فتوقّفت السيارة بشكل مفاجئ لدرجة أنني اندفعت إلى الأمام.

سألت وعزرا في الوقت نفسه: "ما جرى..."، لكن ميلاني وانا فكّنا حزامي الأمان الخاصين بهما، وترجلتا من السيارة.

تبادلنا النظرات للحظات ثم حذونا حذوهما، فكانت الأرض مغطّاة بُبْرُك من البَرْد نصف الذائب، فشققّت طريقي بينها بصعوبة حتى وصلت إلى جدتي.

وَقَفْتُ نانا أمام سيارة ميلاني، ونظرتها مثبتة على الشكل الذي لا يزال مستلقياً وسط بقعة من الطريق قد انتشر فيها ضوء مصابيح السيارة الساطع.

كان مضرّجاً بالدماء، وقد اثنت رقبتة اثناء غريباً، وفتح عينيه على وسعهما من دون أن يحدّق إلى شيء.

الفصل الثاني

إليري

السبت، 31 آب

أيقظني وهج الشمس الحارق الذي عبر من خلال الستائر التي كان واضحاً أنها لم تُشترَ من أجل تعقيم الغرفة، ولكنني بقيت ساكنة تحت غطاء السرير الرقيق والملاءات الناعمة، حتى سمعت صوت طرق خفيف على الباب.

"نعم؟"، جلستُ وأنا أحاول دفع خصلات شعري عن عيني، ولكن بلا جدوى، وعندما دخل عزرا كانت الساعة المطلية بالفضة والموضوعة على المنضدة تُشير إلى 9:50، وبما أنني لا أزال أتبع توقيت الساحل الغربي، فلا أشعر أنني نمت بما يكفي تقريباً.

قال عزرا: "مرحباً، لقد طلبت مني نانا أن أوقفك، وأبلغك أن شرطياً في طريقه إلينا لاستجوابنا حول ما حصل ليلة أمس".

ليلة أمس مكثنا إلى جانب الرجل المستلقي على الطريق متحلّقين حول بركة من الدماء، حتى جاءت سيارة الإسعاف. في البداية لم أستطع النظر إلى وجهه، لكن بمجرد أن فعلت ذلك لم أتمكن من أن أشيخ بنظري بعيداً عنه، لقد كان شاباً لا يتجاوز عمره الثلاثين، ويرتدي زياً رياضياً، وينتعل حذاء رياضياً أيضاً.

قامت ميلاني وهي ممرضة، بإجراء الإنعاش القلبي الرئوي لإنقاذه قبل وصول فتيي الطوارئ الطبية، ولكن لم يكن لذلك أي فائدة، فبدأت تصلي وتدعو إلى حصول معجزة، على الرغم من أنها أخبرتنا عندما عدنا إلى السيارة بأنه كان ميتاً قبل وصولنا.

قالت بصوت مرتعش: "جايسون بومان، لقد كان أحد معلمي العلوم في مدرسة إيكو ريدج الثانوية، وقد ساعد في تشكيل الفرقة الموسيقية أيضاً، ويحبُّه الأولاد كثيراً، وكان من المفترض... كان يجب أن تقابله الأسبوع المقبل".

كان عزرا يرتدي ملايسه بالكامل، ولا يزال شعره رطباً بعد الاستحمام، وما إن رمى كيساً بلاستيكياً صغيراً علي السرير حتى أعادني إلى الحاضر، وقال: "وطلبت منِّي أن أعطيك هذا أيضاً".

طُبع على مقدّمة الحزمة غير المفتوحة شعار شركة "هينز"، إلى جانب صورة امرأة شقراء رياضية مبتسمة ترتدي حمالة صدر وسروالاً داخلياً يصل إلى منتصف الخصر.

"أوه، لا".

قال عزرا: "بلى، هذه سراويل الجدة بالمعنى الحرفي، وهي تقول إنها اشترتها أصغر بمقاسين عن طريق الخطأ ونسيت إعادتها، والآن أصبحت لك".

قلت بصوت ضعيف، وأنا أنهض من الفراش: "رائع".

كنت أرتدي القميص الذي لبسته تحت سترتي بالأمس، بالإضافة إلى زوج من بناطيل عزرا الرياضية، لأنني عندما علمت أنني سأنتقل إلى إيكو ريدج أفرغت خزائني بالكامل، وتبرّعت بلا رحمة بأي شيء لم أرتديه خلال الأشهر القليلة الماضية، فتقلّصت خزانة ملابسي كثيراً لدرجة أن كل شيء، باستثناء بعض المعاطف والأحذية التي شحنتها الأسبوع الماضي، يمكن توضيحه في حقيبة واحدة.

في ذلك الوقت شعرت بأنني على الأقل أحكم السيطرة على جزء صغير من حياتي، والآن كل ما يعنيه ذلك هو أنه ليس لدي ما أرتديه على الإطلاق.

التقطت هاتفني عن المنضدة، وبحثت عن رسالة نصية أو بريد صوتي متعلق بالأمّعة، ولكن من دون جدوى.

سألت عزرا: "لماذا استيقظت باكراً؟".

ردّ باستهجان: "لم أستيقظ باكراً، لقد تجوّلت في الحي الذي بدا جميلاً ومحاطاً بالأشجار، كما نشرثُ بضع قصص عبر الإنستغرام، وأنشأت

قائمة تشغيل".

طويت ذراعيّ وقلت: "ليست قائمة تشغيل مايكل أخرى".

ردّ عزرا مدافعاً عن نفسه: "لا، إنها تحية موسيقية للشمال الشرقي، وسيُدهشك عدد الأغاني التي تحمل عناوينها أسماء ولايات نيو إنجلاند".

"أمم".

انفصل مايكل عن عزرا بشكل استباقي قبل أسبوع من مغادرتنا، وقال له: "العلاقات بعيدة المسافة لا تنجح أبداً". وقد حاول عزرا التصرف وكأنه لا يهتم، لكنه أنشأ عدة قوائم تشغيل عبر تطبيق إيمو منذ انفصالهما.

قال عزرا: "لا تطلقى الأحكام المسبقة".

نظر عزرا إلى خزانة الكتب حيث تصطفّ رواية "بدم بارد" ومجموعة آن روول الخاصة بي، وكتاب "الرؤية القاتلة" و"منتصف الليل في حديقة الخير والشر" وبقية كتب الجريمة الحقيقية بدقة وترتيب. إنها الأشياء الوحيدة التي أخرجتها الليلة الماضية من الصناديق المكدسة في أحد أركان الغرفة.

"لكل منا آليات التكيف الخاصة به".

عاد عزرا إلى غرفته، وبدأت أحذق إلى المساحة غير المألوفة التي سأعيش فيها خلال الأشهر الأربعة القادمة. عندما وصلنا الليلة الماضية، أخبرتني نانا أنني سأنام في غرفة سادي القديمة، فشعرت بالحماسة والتوتّر في الوقت نفسه، وعندما فتحت باب الغرفة تساءلت حول ما يمكن أن أجده من آثار أمي في الداخل، لكنني ما إن دخلت الغرفة حتى وجدت غرفة نوم ضيوف عادية تفتقر إلى الروح. فكان الأثاث خشبياً داكناً، ولون الجدران أبيض شاحباً، وليس هناك الكثير من أدوات الديكور باستثناء الستائر المزركشة وسجادة مفروشة على الأرض وإطار صورة، وكل شيء تفوح منه رائحة المنظفات بنكهة الليمون.

حاولت تخيّل سادي وهي تسرّح شعرها أمام المرآة، أو تؤدّي واجباتها المدرسية على المكتب القديم، لكن الصور لم تتراءى لي واضحة، والشيء نفسه ينطبق على غرفة عزرا، فليس هناك ما يشير إلى أن فتاة مراهقة عاشت في أي منهما. جلست على الأرض بجانب الصناديق المتحركة وبحثت بينها حتى وجدت أطر صور مغلقة بالبلاستيك، فكانت أول صورة نزع عنها

غلافها قد التقطت لي ولعزرا على رصيف سانتا مونيكا العام الماضي، وكان مشهد غروب الشمس خلفنا مثالياً، فبدا المنظر رائعاً، لكن شكلي لم يبدو جميلاً في الصورة، لأنني لم أكن مستعدة عند التقاطها، فلم يتطابق تعبير وجهي المتوتر مع ابتسامة عزرا الواسعة، وقد احتفظت بها لأنها ذكرتني بصورة أخرى، فالصورة الثانية التي نزعنا غلافها كانت صورة قديمة تجمع فتاتين مراهقتين متطابقتين، شعرهما مجعد وطويل مثل شعري، وترتديان ملابس الجرونج التي تلائم التسعينات، وكانت إحداهما تبتسم ابتسامة مشرقة، والأخرى تبدو منزعجة، إنها أمي وأختها التوأم، سارة. كانتا في السابعة عشرة من العمر آنذاك، في مثل سني أنا وعزرا، وترتادان ثانوية إيكو ريدج، وبعد أسابيع قليلة من التقاط الصورة، اختفت سارة. وقد مرّ ثلاثة وعشرون عاماً علي اختفائها من دون أن يعرف أحد مصيرها، أو ربما يصحّ القول إنه وإن كان أي شخص يعرف مكانها، فلن يكشفه.

وضعت الصور جنباً إلى جنب فوق خزانة الكتب، وفكرت في كلمات عزرا في المطار ليلة أمس، بعد أن شاركه أندي قصة أخيه التوأم الذي امتصّته الرحم.

"يا له من شيء غريب حقاً! هاه؟ أن تكبر وأنت تشعر بمدى صعوبة أن تفقد توأمك بالخطأ".

لم تحبّ سادي أبداً الحديث عن سارة، مهما كنت متعطّشة إلى الحصول على المعلومات، كما لم تكن لها صور في شقتنا، وقد حصلت على هذه الصورة عبر الإنترنت. لقد بدأ ولعي بالجريمة الحقيقية بجدية بعد وفاة لاسي، ولكن بعد أن كبرت بما يكفي لفهم ما حدث لسارة، أصبحت مهووسة بقضية اختفائها، لأن أسوأ ما يمكن تخيله هو أن تفقد توأمك ولا يعود إليك أبداً. كانت ابتسامة سادي في الصورة مُشرقة مثل ابتسامة عزرا، فهي كانت نجمة في ذلك الوقت - ملكة حفل التخرج المشهورة - تماماً مثل لاسي، ومنذ ذلك الحين وهي تحاول أن تصبح نجمة تمثيل، ولا أعلم إن كانت سادي ستحصل على أكثر من حفنة من الأدوار الثانوية لو كانت توأمها إلى جانبها تشجّعها على المضي قدماً، كما أعلم أنه لا توجد طريقة يمكن أن تشعرها بالكمال، لأنك عندما تأتي إلى العالم برفقة شخص آخر، يصبح جزءاً منك، وتشعر بكل نبضة من نبضاته، وقد كان هناك العديد من الأسباب التي جعلت والدتي تدمن على المسكنات -كتف مُمَرّقة، انفصالها عن حبيبها، خسارتها دور تمثيل آخر، الانتقال إلى شقتنا الأسوأ تجهيزاً حتى الآن في عيد ميلادها الأربعين - ولكن على الأغلب بدأ كل شيء يتدهور بعد فقدان تلك الفتاة ذات الوجه الجاد التي تظهر في الصورة.

رَنَّ جرس الباب، فكادت الصورة تسقط من يدي على الأرض. لقد نسيت تماماً أنه من المفترض أن أستعدّ للقاء الشرطي، فألقيت نظرة على المرأة فوق الخزانة، وفاجأني انعكاس صورتني، فقد كان شعري يشبه الباروكة، وجميع الأدوات المضادة للتجعد موجودة في حقيبتني المفقودة، فربطت شعري المجدع على شكل ذيل حصان، ثم لففت الجداول السميكة حتى تمكنت من ربط الأطراف معاً على شكل كعكة منخفضة من دون الحاجة إلى استخدام ربطة شعر، وهي واحدة من أولى حيل الشعر التي تعلمتها من سادي، فعندما كنت صغيرة كنت أقف أمام الحوض المزدوج في حمامنا، وأنا أراقبها في المرأة وهي تفعل ذلك حتى أتمكن من تقليد حركة يديها.

شعرت بوخز في عينيّ عندما نادتنا نانا من أسفل الدَرَج: "إليري، عزرا، الشرطي رودريغيز هنا".

كان عزرا في الممر عندما غادرثُ غرفتي، فتوجّهنا معاً إلى الطابق السفلي مباشرة إلى مطبخ نانا.

كان الشرطي رجلاً ذا شعر داكن يرتدي زياً أزرق، وهو يولينا ظهره، بينما كان يأخذ كوب القهوة الذي تقدّمه إليه نانا.

بدأت نانا وكأنها خرجت للتو من كتالوج شركة إل إل بين، مرتدية بنطالاً كاكياً وقميص أكسفورد يشبه الصندوق وعليه خطوط أفقية، وتنتعل خفّين.

قالت نانا: "ربما ستفعل المدينة شيئاً حياً ذلك الجسر"، ثم لاحظت وجودنا، فقالت: "ها أنتما ذا، رايان، إنهما حفيداي، إليري وعزرا، أعزّفكما بالشرطي رايان رودريغيز، إنه يعيش في الحي نفسه، وقد جاء لي طرح علينا بعض الأسئلة حول ليلة أمس".

استدار الشرطي مبتسماً نصف ابتسامة، ثم تجمّد في مكانه عندما انزلق كوب القهوة من يده وتحطّم على الأرض، فدُهلنا جميعاً ولم يُبدِ أي ردّ فعل في اللحظة نفسها، ثم اندفعنا ونحن نمسك بالمناديل الورقية إلى التقاط ما تناثر على الأرض من قطع زجاج كبيرة، ومسح أرضية نانا المبلطة بالأبيض والأسود.

بينما ظلّ الشرطي رودريغيز يرّدّد: "أنا آسف للغاية، ولا أعلم كيف حدث ذلك، وسأستبدل الكوب المكسور بواحد جديد".

قالت نانا: "أوه، بالله عليك، لم يكلفني شراؤه من دالتون سوى دولارين، اجلس وسأحضر لك كوباً آخر، وأنتما أيضاً إليري وعزرا، إن كنتما ترغبان في احتساء شراب، فهناك عصير على الطاولة".

جلسنا جميعاً حول طاولة المطبخ المُرصّعة بأوان فضية وأكواب أنيقة، فأخرج الشرطي رودريغيز مفكرة من جيبه الأمامي، وقلب صفحاتها عابساً، وقد ظهر على وجهه الهدوء، بعد أن كان محرّجاً من كسر الكوب.

قال الشرطي: "شكراً لتخصيصكم لي جزءاً من وقتكم هذا الصباح. لقد جئت للتو من منزل عائلة كيلدوف، وقد أخبرتني ميلاني بما حدث على جسر شارع فولكرسون الليلة الماضية، ويؤسفني القول إنه كان حادث اصطدام سيارة وقد هرب الفاعل".

ناولته نانا كوباً آخر من القهوة قبل أن تجلس بجوار عزرا، فارتشف رودريغيز منه رشفة على مهل، وقال:

"شكراً لك سيدة كوركوران، حسناً، سيكون من المفيد أن تخبروني جميعاً بكل ما لاحظتموه، حتى وإن لم يبدو ذا أهمية".

عدّلت وضعيتي على الكرسي، فنظر عزرا إليّ نظرة فاحصة، فهو يعرف بالضبط ما يدور في رأسي، على الرغم من أن الليلة الماضية كانت مروّعة بالنسبة إلى كلينا، إلا أنني لا أستطيع سوى أن أشعر ببعض الحماسة لكوني جزءاً من تحقيق الشرطة. فقد كنت أنتظر هذه اللحظة طوال حياتي، ولكن لسوء الحظ لم أتذكر أي شيء سوى ميلاني التي كانت تحاول مساعدة السيد بومان، ولم يكن عزرا أفضل مني بكثير، أما نانا فهي الوحيدة التي لاحظت التفاصيل الصغيرة، مثل وجود مظلة ووعاء بلاستيكي بجوار السيد بومان. ومقارنةً بمحقيقي الشرطة، بدا رايان رودريغيز مخيباً للآمال، فقد واصل تكرار الأسئلة نفسها، وكاد يوقع كوب قهوته من جديد، وفي الوقت الذي شكرنا فيه اصطحبته نانا إلى الباب الأمامي، وكنت متيقّنة بأنه يحتاج إلى بضع سنوات أخرى من التدريب قبل أن يسمح له بأن يعمل بمفرده على التحقيق في جرائم قتل.

عندما عادت نانا إلى المطبخ قلت لها: "لقد كان ذلك فوضوياً بعض الشيء، هل يأخذ الناس على محمل الجد بصفته شرطياً؟".

ردّت نانا وهي تتناول مقلاة من الخزانة المجاورة للفرن، وتضعها على الموقد: "رايان مؤهل بشكل كامل للعمل".

أكملت حديثها وهي تسحب طبق الزبدة من الثلاجة، وتضعه على المنضدة، ثم تقطع قطعة كبيرة، وتضعها في المقلاة: "قد يبدو مضطرب المزاج بعض الشيء، لأن والده توقّي قبل بضعة أشهر بعد إصابته بمرض السرطان وكانا مقرّبين جداً، كما توقّيت والدته العام الماضي. لقد حلت المصائب على تلك العائلة الواحدة تلو الأخرى، ورايان كان الأصغر في العائلة، وهو يعيش الآن وحده في المنزل، وأظنّ أنه يشعر بالوحدة".

سألها عزرا: "هل كان يعيش مع والديه؟ كم عمره؟".

أخي من النوع الذي ينتقد البالغين الذين يعيشون مع أهاليهم في المنزل، وسيكون أحد هؤلاء الأشخاص الذين يشبهون سادي، فما إن يتخرّج سينتقل للعيش وحده بمجرد حصوله على الشهادة، فهو لديه خطة تمتدّ عشر سنوات، وتتضمّن العمل الرتيب في محطة إذاعية، بالإضافة إلى العمل بصفته منسقاً للأغاني، حتى يمتلك خبرة كافية لتقديم برنامج خاص، وقد حاولت ألا ترعبني فكرة أن يتركني وحدي ويرحل بعيداً.

قالت نانا: "إنه يبلغ الثانية والعشرين من العمر، على ما أعتقد، أو ثلاثة وعشرين عاماً، وقد عاش كل أولاد رودريغيز في المنزل في أثناء الدراسة الجامعية، وبقي رايان وحده عندما مرض والده".

أحنى عزرا كتفيه وهو يشعر بالذنب.

قلْتُ: "يبلغ الثالثة والعشرين؟ هل كان في صف لاسي كيلدوف؟".

قالت نانا وهي تكسر البيضة في المقلاة: "أظنّ ذلك".

تردّدت في طرح الأسئلة على جدتي، فأنا بالكاد أعرفها، ولم نتحدّث سابقاً عن خالتي المفقودة عبر مكالماتنا المتكلّفة والمتقطعة عبر سكايب، وليس لدي أي فكرة إذا كانت وفاة لاسي مؤلّمة للغاية بالنسبة إليها بسبب اختفاء سارة، وربما يجب أن أبقى فمي مغلقاً، ولكنني قلت فجأة: "هل كانا صديقين؟".

قالت نانا: "لا أعلم، من المؤكد أنهما كانا يعرفان بعضهما، فقد نشأ رايان في الحي، وكانا يعملان في مزرعة الرعب، فمعظم أولاد المدينة عملوا هناك، ولا يزالون يقومون بذلك حتى الآن".

سأل عزرا: "متى تفتح أبوابها؟".

نظرَ إليّ وكأنه قدّم إليّ معروفاً، ولكن لم يكن عليه طرح السؤال، لأنني بحثت عن جدول مواعيد الافتتاح بمجرد أن علمت أننا سننتقل إلى إيكو ريدج.

ردّت نانا: "الأسبوع القادم، قبل أن يبدأ دوام المدرسة مباشرة".

موعد بداية العام الدراسي في إيكو ريدج متأخر مقارنة بالمدارس التي التحقنا بها سابقاً.

في لايونتي، نكون قد داومنا مدة أسبوعين بحلول عيد العمال.

أشارت نانا بملعقتها نحو نافذة المطبخ التي تطلّ على الغابة خلف منزلها، وقالت: "ستسمعان الأصوات المنبعثة منها بمجرد أن تفتح أبوابها، فهي على بعد عشر دقائق سيراً على الأقدام عبر الغابة".

قال عزرا بحيرة: "حقاً؟ إذاً لا تزال عائلة كيلدوف تعيش خلف المكان الذي وُجدت فيه ابنتهم.. حيث قام شخص ما ب...".

انخفض صوته بينما تقدّمت نانا نحونا وهي تحمل طبقين، فوضعتهما أمامنا، وكان في كل منهما شريحة عجة كبيرة ورقيقة، فتبادلت وعزرا نظرات استغراب، لأننا لا نتذكّر آخر مرة تناولنا فيها شيئاً على الفطور باستثناء احتساء القهوة، لكن لعابي سال وقد فاحت الرائحة اللذيذة، وأصدّرت معدتي صوت قرقرة، لأنني لم أتناول أي طعام باستثناء أصابع الشوكولا الثلاث التي تناولتها على العشاء خلال رحلة الليلة الماضية، جلست نانا بيننا وسكبت كوباً من عصير البرتقال من إبريق الخزفي الموضوع على الطاولة، فلاحظتُ أنه إبريق زجاجي وليس من كرتون، فأمضيت بضع ثوانٍ وأنا أحاول معرفة سبب تكبّدها عناء إفراغ علبة كرتون في إبريق قبل أن أرتشف رشفة، فأدرك أنه برتقال طازج معصور حديثاً.

قالت نانا: "إنه بيتهم، فلدى الفتاتين الأصغر سنّاً الكثير من الأصدقاء في الحي".

سألتهما: "كم يبلغ عمرهما؟".

لم تكن ميلاني مجرد جليسة الأطفال المفضلة لدى سادي، بل كانت تقريباً بمثابة مرشدتها في المدرسة الثانوية، وكانت إلى حد كبير الشخص الوحيد من إيكو ريدج الذي تحدّثت عنه والدتي، ولكنني لا أعرف أي شيء عنها سوى أن ابنتها قُتلت.

أجابت نانا: "كارولين في الثانية عشرة من عمرها وجوليا تبلغ ستة أعوام، فبينهما فرق كبير كما كان بين لاسي وكارولين، لأن ميلاني تواجه صعوبة في الحمل، ولكن الجانب المُشرق، على ما أعتقد، أن الفتاتين كانتا صغيرتين جداً عندما ماتت لاسي، وأظنُّ أن الاعتناء بهما كان الشيء الوحيد الذي جعل ميلاني ودان يتجاوزان الوقت العصيب الذي مرَّ به".

قطع عزرا زاوية عجة البيض ثم سألها: "لم يكن لدى الشرطة أي مشتبه به في مقتل لاسي؟".

أجابته نانا بالنفي، وفي الوقت نفسه قلت: "حبيبها".

أخذت نانا رشفة طويلة من العصير، وقالت: "اعتقد كثير من الناس ذلك، وبعضهم لا يزال يعتقد أنه القاتل، لكن ديكلان كيلى لم يكن مشتبهاً به رسمياً، فقد حققت معه الشرطة عدة مرات ولم تحتجزه أبداً".

سألته: "أما زال يعيش في إيكو ريدج؟".

هزّت برأسها نفيًا، وقالت: "غادرَ المدينة بعد التخرج مباشرة، وأنا متأكدة من أن ذلك كان الأفضل لجميع المعنيين، فقد تسبَّب الوضع بإلحاق ضرر كبير بعائلته، وقد انتقل والد ديكلان بعيداً بعد وقت قصير من رحيله، ووطننُ أن الأم والشقيق سيكونان التاليين، لكن... سارت الأمور بشكل مختلف بالنسبة إليهما".

توقَّفت للحظة وسألته: "الشقيق؟".

لم أكن أعرف أن حبيب لاسي لديه شقيق، فلم تذكر الأخبار الكثير عن عائلته.

قالت نانا: "ديكلان لديه شقيق أصغر، اسمه مالكولم، وهو في مثل سنكما تقريباً، ولا أعرفه جيداً، لكنه يبدو أكثر هدوءاً من أخيه، فهو لا يتجول في المدينة وكأنها ملكه، كما كان يفعل شقيقه".

راقبُتها وهي تتناول لقمة من عجة البيض بعناية، وتمنَّيت لو استطعت قراءة أفكارها بشكل أفضل حتى أعرف ما إذا كان موت لاسي واختفاء سارة متداخلين في ذهنها، كما هما في ذهني، فقد مضى وقت طويل يقارب ربع قرن على اختفاء سارة من دون الحصول على إجابات واضحة، بينما يحتاج والدا لاسي إلى ختام الحكاية، لأنهما يعرفان على الأقل متى وكيف قُتلت ابنتهما، لكنهما لا يزالان بحاجة إلى أن يعرفا من قتلها ولماذا.

سألتها: "هل تظنّين أن ديكلان كيلبي مذنب؟".

لاحظت التجاعيد التي برزت بوضوح على جبين نانا، وكأنها بدأت تشعر بأن المحادثة بأكملها باتت مقبّية، فأجابتنني: "لم أقل ذلك، ولكن لم يكن هناك أي دليل قاطع ضده".

أمسكت بعلبة الملح من دون التعليق على كلامها.

قد يكون ذلك صحيحاً، ولكن قراءة كتب الجرائم الحقيقية، ومشاهدة ديتلاين طوال سنوات، قد علّمتاني أن القاتل قد يكون دائماً الحبيب.

الفصل الثالث

مالكولم

الأربعاء، 4 أيلول

كان قميصي متيبساً ويُصدر أصوات طقطقة عندما أثنى ذراعيّ لتثبيت ربطة العنق حول رقبتني، فراقبتُ يديّ في المرآة وأنا أحاول تقويم العقدة من دون جدوى، حتى استسلمت في النهاية، فقد بدّت المرآة قديمة وإن كانت مكلفة، مثل كل ما في منزل عائلة نيلسون.

كانت غرفة النوم أكبر بثلاثة أضعاف من غرفة نومي القديمة، بالإضافة إلى أنها تتسع لما لا يقلّ عن نصف شقة ديكلان.

سألني أخي الليلة الماضية، وهو يتناول ما تبقى من كعكة عيد ميلاده بينما كانت أمي في الحمام: "أتساءل ما الشعور الذي ينبعث في نفس من يعيش في ذاك المنزل؟".

أجبتُه باقتضاب: "شعور مزرٍ".

لم أكذب عليه، لكنه ليس أسوأ من شعوره خلال السنوات الخمس الماضية التي قضى معظمها مقيماً على بعد أربع ساعات عن مدينتنا في نيو هامبشاير، في شقة مستأجرة في الطابق السفلي من المبنى الذي تقيم فيه عمّتنا.

سمعتُ أصوات طرق حادة على باب غرفة نومي، فأصدَرَ مفصل الباب صريراً بينما دخلت أختي الغرفة من دون انتظار إجابة.

سألتنني: "هل أنت جاهز؟".

أجبتها وأنا ألتقط المعطف الأزرق من سريري: "نعم".

مالت كاترين برأسها وعبست وقد تناثر شعرها الأشقر الجليدي على كتف واحدة، فأنا أعرف هذه النظرة، وهي تعني أن هناك شيئاً خاطئاً في مظهري، وهي على وشك أن تخبرني به وبكيفية إصلاحه.

مَشَّت نحوِي وهي تتعل حذاء ذا كعبٍ عالٍ، ومدَّت يديها ثم قالت: "ربطة عنقك ملتوية".

ظَهَرَتْ تجعيده بين عينيها وهي تشدُّ العقدة، ثم اختفت عندما تراجعت لتباهي بنتيجة عملها.

قالت وهي تربت على كتفي، وقد ارتسم على وجهها الرضا: "ها قد أصلحتها، وأصبحت أفضل بكثير".

انزلت يدها إلى صدري، ونزعت قطعة من الوبر عن معطفي بأظافرها ذات اللون الوردي الباهت، وتركتها تسقط على الأرض.

وقالت: "تبدو أنيقاً يا مالكولم، من كان يتوقَّع ذلك؟".

نادراً ما كانت تتحدّث كاترين نيلسون إليّ، ولكن ما إن بدأ والدها بمواعدة والدتي في الشتاء الماضي حتى تبدّلت معاملتها، فهي ملكة ثانوية إيكو ريدج، وأنا الطالب المهووس بالدراسة، والذي يعزف في الفرقة الموسيقية، وعائلته سيئة السمعة، وبما أننا نعيش الآن تحت سقف واحد، فُرض عليها الاعتراف بوجودي وحسن معاملتي، وهي الآن تعاملني بحسب تقلبات مزاجها إما بصفتي مشروعاً ناجحاً أو كوني مصدر إزعاج لها.

قالت وهي تشدُّ ذراعي برفق: "لنذهب".

كان فستانها الأسود يحتضن تفاصيل جسدها، لكنه يصل إلى ركبتيها، فكان مظهرها محتشماً تقريباً، لو لم تكن ترتدي الكعب الطويل الذي يلفت نظرك إلى ساقها الطويلتين.

قد تكون أختي غير الشقيقة مزعجة قليلاً، لكنها جذابة بلا شك. رافقت كاترين إلى درج الشرفة المطل على الردهة الضخمة في الطابق السفلي، فكانت والدتي وبيتر في انتظارنا، وحاولتُ ألا أنظر إليهما مباشرةً، لأنهما كلما كانا واقفين بهذا القرب، تكون يداه في مكان ما لا أريد رؤيته، لكن أُمي كانت سعيدة إلى جانبه، وأعتقد أن تلك السعادة تستحقّها، ثم نظر بيتر إلى الأعلى وتوقّف عن مداعبة أُمي، ثم قال: "كم تبدوان جميلين!".

كان بيتر يرتدي بذلة لونها أزرق غامق، وهو نفس لون البذلة التي أرتديها، إلا أن بذلته مُفضَّلة بأناقة أكثر بحيث تناسب مكانته، وقد بدا مثل الممثلين الأنيقين الذين يظهرون في إعلانات ساعات جي كيو، فكان فكاهة مربعي الشكل، ونظرته ثاقبة، وشعره أشقر متموجاً يتخلله خصلات رمادية تزيد من جاذبيته، ولم يتخيل أحد أنه كان مهتماً بأمي، وقد صدم الجميع عندما بدأ بمواعدها للمرة الأولى، واشتدَّت صدمتهم أكثر عندما تزوّجا.

"لقد أنقذهما"، هذا ما يظنّه سكان البلدة كلهم.

بيتر نيلسون الرجل الغني والساحر، ومالك مكتب المحاماة الوحيد في المدينة، حوّلنا من منبوزين إلى ملكين في هذه المدينة، وربما أنقذنا حقاً، لأن الناس ما عادوا يتجنّبونا، أو يتكلمون عنّا خلف ظهرينا، وعلى أية حال لا يعني ذلك أنني يجب أن أحبه.

أكمل قائلاً: "أهلاً بعودتك، مالكولم".

لقد ذهبنا أنا وأمي لمدة أسبوع لزيارة العائلة والاطمئنان على ديكلان في نيو هامبشاير، ولم يرافقنا بيتر وكاترين لأن بيتر ادّعى أن لديه عملاً وهو مضطّر إلى إنجازه، ولكنه على الأرجح لا يغادر وكاترين إيكو ريدج من دون خدمة منتجٍ راقٍ.

سألته فجأة: "هل تناولت العشاء مع السيد كوتس في أثناء غيابنا؟".

أجابني: "نعم، يوم الجمعة، وهو لا يزال يُجهّز عمله، ولكن عندما يحين الوقت المناسب، سيكون سعيداً بالتحدث إلى ديكلان، وسأبقى على تواصل معه".

كان بن كوتس عمدة إيكو ريدج، وبعد ذلك أدار شركة استشارات سياسية في برلنغتون.

يحتاج ديكلان إلى الكثير من التدريب لإنهاء دراسته العلمية في كلية المجتمع، وهو يأمل أن يعرّفه بيتر إلى أحد نافذ، وهو الشيء الوحيد الذي طلبه من بيتر، أو بالأحرى من أمي، لأن ديكلان وبيتر لا يتحدّثان.

ابتسمت أمي لبيتر ابتسامة عريضة، فاقتربت كاترين منها ومدّت يدها لتلمس عقد أمي الملتوي المصنوع من الخرز، وقالت: "إنه جميل جداً وسيكون مختلفاً عن كل اللاكئ التي سنهاها الليلة".

تلاشت ابتسامة أمي، وقالت بتوتّر، وهي تنظر إلى بيتر: "إني أرثدي اللؤلؤ، هل يجب أن...".

قال من دون تردّد: "كل شيء على ما يرام، وتبدين جميلة".

كان في إمكاني قتل كاترين، ولكن ليس بالمعنى الحرفي للكلمة، لأنني أشعر بأنني مضطّر إلى أن أبرّر كلامي حتى داخل أفكاري نظراً لتاريخ عائلتنا، غير أنني لا أفهم حاجتها المستمرة إلى إهانة أمي، فهي لم تفسخ زواج والديّ كاترين، كونها زوجة بيتر الثالثة، كما أن أم كاترين سافرت إلى باريس مع زوجها الجديد قبل لقاء أمي الأول ببيتر، فكان على كاترين أن تراعي حالة أمي المتوترة بشأن الليلة، فهي لم تحضر حفل منحة لاسي كيلدوف الدراسية التذكارية، الذي تُجمع خلاله التبرعات من قبل، وذلك لأنه لم تُدع إليه سابقاً.

قال بيتر: "فلنذهب، لقد بدأ الوقت يتأخّر".

فتح الباب الأمامي من خلال الضغط على زر في سلسلة مفاتيحه، وتنحّى جانباً للسماح لنا بالدخول.

صعدت أنا وكاترين في سيارة الراج روفر السوداء، وجلسنا في مقعدينا الخلفيين، واستقرت أمي في المقعد الأمامي، وبدأت تقلب الراديو من محطة التوب فورتي التي تفضّلها كاترين إلى محطة أن بي آر، وأخيراً ركب بيتر السيارة، ووضع حزام الأمان، ثم شغل محرك السيارة، فتجاوز أولاً ممر النيلسونز المتعرج وهو أطول جزء من الرحلة، ثم كان هناك بعض المنعطفات السريعة قبل أن نصل في وسط بلدة إيكو ريدج إن جاز التعبير، فلا حركة عمرانية باستثناء صف من المباني المبنية بالطوب الأحمر المزينة بالأبيض، وعلى جانبي شارع مانشستر تنتشر أضواء إنارة الشوارع قديمة الطراز. ولا يكون الجو مزدحماً فيها في العادة، فالحركة قد تصل إلى درجة الصفر ليلة الأربعاء قبل عودة التلاميذ إلى المدرسة من جديد، فنصف البلدة لا يزال في إجازة، والنصف الآخر يحضر حفل جمع التبرعات في المركز الثقافي في إيكو ريدج وهو المكان الذي يحصل فيه أي حدث مرموق ما لم يحصل في بيت عائلة نيلسون، أو بالأحرى في بيتنا، الذي لا أستطيع التعمّد عليه حتى الآن.

ركنَ بيتر السيارة بشكل متوازٍ، وترجّلنا منها إلى الرصيف، فكنا على بعد شارع من دار جنائز أونيل عندما تنهّدت كاترين، وقالت: "من المؤسف

أنك كنت خارج البلدة، ولم تتمكن من حضور جنازة السيد بومان، لقد غنّت جوقة العرض "إلى سير مع حبي" وقد أجهش الجميع بالبكاء.

انكمشت معدتي وشعرت بالألم، فقد كان السيد بومان أستاذي المفضل في ثانوية إيكو ريدج، وكان لديه طبع هادئ وقدرة كبيرة على ملاحظة ما يجيده تلاميذه، فهو كان يشجّع كل منهم على ممارسة ما يتقنه من هوايات. وبعد أن سافر ديكلان وغادر والدي البلدة، تبعثرت كل طاقاتي، ولم أعد أعرف ما عليّ فعله، أو كيف يمكن أن أستثمر هذه الطاقات، إلى أن شجّعني على العزف على الطبول لإفراغ كل ما يحتقن في داخلي. وأنا الآن أشعر بالأسى لموته، وبالغضب على من دهسه، وتركه يموت في وسط الطريق.

سألت: "لماذا كان في الخارج في أثناء عاصفة بردية؟".

قال بيتر: "لقد عثروا عليه بالقرب منه حاوية بلاستيكية، وقد توفّع أحد المعلمين في الجنازة أنه ربما كان يجمع البَرَد لدرس كان يخطط أن يشرحه حول تغيّر المناخ، ولكنني أعتقد أننا لن نعرف الحقيقة على وجه اليقين أبداً".

ازداد شعوري بالسوء، لأنني تخيلت ما قد جرى: غادر السيد بومان منزله في وقت متأخر من الليل، وهو يحمل مظلته وحاوياته البلاستيكية متحمساً لأنه سيحوّل العلم إلى حقيقة، فقد كان يردّد ذلك كثيراً.

بعد بضع كتل من الأبنية، رأينا لوحة خشبية مطلية بالذهب ترخّب بنا في المركز الثقافي، إنه الأكثر إثارة للإعجاب من بين جميع المباني ذات الطوب الأحمر، حيث يوجد برج ساعة في الأعلى ودرجات واسعة تؤدّي إلى باب خشبي منحوت بإتقان، وما إن أصبحت أمام الباب وكدت أمسك بمقبضه، حتى سبقني بيتر، فلا يمكنك التفوق على هذا الرجل المحترم، فابتسمت أمني له بامتنان وهي تعبر المدخل، وعندما دخلنا، رافقتنا امرأة إلى الردهة نحو صالة واسعة تحتوي على عشرات الموائد المستديرة، فكان بعض الناس جالسين في أماكنهم، لكن معظمهم ما زالوا يتجوّلون في الصالة ويتحدّثون معاً، وقد أثرنا انتباه كل من في القاعة فور دخولنا، فقد كانت اللحظة التي ينتظرها الجميع في إيكو ريدج، لأنها المرة الأولى منذ خمس سنوات، التي تحضر فيها عائلة كيلي حفل تكريم لاسي كيلدوف، الفتاة التي يعتقد معظم سكان البلدة أن شقيقي قتلها.

قالت كاترين وهي تتجّه نحو حبيبها: "أوه، ها هو ثيو".

لَعقت أُمي شفتيها بتوتّر، فطوى بيتر ذراعها تحت ذراعها، وابتسم لها مشجعاً ابتسامة عريضة ومشرقة، وللحظة شعرت بأني أحبّ ذلك الرجل.

كان ديكلان ولاسي يتشاجران لأسابيع قبل وفاتها، ولم يكن ذلك من طبعهما، ومن الممكن لديكلان أن يكون متعجرفاً في كثير من الأحيان، ولكن ليس مع حبيبته، ثم فجأة بدأت الشجارات وإلغاء المواعيد، وانتقاد بعضهما البعض عبر وسائل التواصل الاجتماعي. وكانت آخر رسالة غاضبة من ديكلان للاسي عبر الإنستغرام الرسالة الوحيدة التي نشرتها محطات الأخبار مراراً وتكراراً في الأسابيع التي تلت العثور على جثتها، سئمت منك بشكل كامل، ولا تملكين أدنى فكرة حول ذلك.

كان الحشد في مركز إيكو ريدج الثقافي هادئاً للغاية، وحتى ابتسامة بيتر أصبحت خفيفة قليلاً.

كنت على وشك أن أقوم بأي تصرّف لتخفيف التوتر، عندما ارتفع من خلفنا صوت دافئ:

"أهلاً بكم، بيتر، أليشا، ومالكولم، يسرّني أن أراكم".

إنها والدة لاسي، ميلاني كيلدوف، وهي قادمة نحونا وابتسامة عريضة على وجهها.

عانتُ والدتي أولاً، ثم عانقتني، وبعد ذلك لم يعد أحد يحدّق إلينا.

قلت بصوت ضعيف: "شكراً".

لا أعرف رأي ميلاني بشأن ديكلان، فهي لم تعبّر عن رأيها قط، ولكن بعد وفاة لاسي، وعلى الرغم من أن العالم بأسره نبذ عائلتي، إلا أنها ظلت تعاملنا بلطف، ولا تبدو كلمة شكراً كافية، لكن ميلاني ربتت على ذراعي كأنها تقول لي إنها تكفي، قبل أن تتّجه نحو أُمي وبيتر.

قالت وهي تشير إلى موائد الطعام: "من فضلكم، اجلسوا في المكان الذي تريدونه، فنحن على وشك البدء بتقديم العشاء".

ثم غادرت واتجهت إلى طاولة تجلس إليها أسرتها وجارتها ومراهقان لم يسبق لي أن رأيتهما، وهو أمر غير معتاد في هذه المدينة، لدرجة أنني رفعت رقبتي لإلقاء نظرة فاحصة، فلم أتمكن من رؤية الشاب بشكل واضح، لكن من الصعب تفويت مظهر الفتاة، فقد كان شعرها مجعداً، وكانت

ترتدي فستاناً مزهراً غريباً، بدا وكأنها أحضرتة من خزانة جدتها، وما إن تلاقت نظرانا، حتى أشحت بوجهي بعيداً على الفور، لأن شيئاً واحداً تعلمته كوني شقيق ديكلان على مدى السنوات الخمس الماضية، وهو أن لا أحد يرغب في أن يقوم فتى من عائلة كيلي بالتحديق إليه.

مشى بيتر وسط الغرفة، لكن كاترين اقتربت منه وشدّت ذراعه قائلة: "هل يمكننا الجلوس إلى طاولة ثيو، أبي؟ يوجد مساحة كافية".

تردّد بيتر لأنه يفضّل أن يتخذ القرار بنفسه، لا أن ينفذ طلباتها، فتابعت كاترين كلامها بصوت أكثر تملّقاً: "أرجوك! لم أره طوال الأسبوع، كما يريد والداه التحدث إليك بشأن مشروع إشارات المرور".

إنها تجيد الإقناع، فلا شيء يؤثّر على بيتر أكثر من المناقشات العميقة حول هُراء مجلس المدينة الذي من شأنه أن يدفع أي شخص آخر إلى البكاء، فابتسم لها ابتسامة قبول وغير مساره متجهاً إلى المكان الذي أشارت إليه كاترين، فكان حبيبها، ثيو، ووالداه وحدهم يجلسون إلى الطاولة التي تتسع لعشرة أشخاص. كنت أذهب إلى المدرسة التي يذهب إليها ثيو منذ أيام الروضة، ولكنه كالعادة تجاهلني، وهو يلوّح إلى صديق آخر فوق كتفي، ويقول: "كايل، نحن هنا".

يا للهول! لقد جَلَسَ كايل صديق ثيو المفضل بينه وبين والدتي، وفي الكرسي بجواري جلس رجل متقدّم في السن شعره قصير أشقر ويتخلله خصلات رمادية، إنه تشاد مكنولتي والد كايل وشرطي سابق في شرطة إيكو ريدج وقد حقّق في مقتل لاسي، وكان هذه الليلة لم تكن محرّجة بما فيه الكفاية، فقد بدا الخوف والتوتر على وجه والدتي، وهو الشعور ذاته الذي تشعر به كلما صادفت أحد أفراد عائلة مكنولتي.

فتح الضابط مكنولتي منديله على حصنه من دون أن ينظر إليّ، وقال: "مرحباً يا مالكولم، كيف كانت عطلتك الصيفية؟".

ارتشفت بعض الماء وأجبتة: "عظيمة".

لم يُعجب الشرطي مكنولتي بأخي قط، لأن ديكلان كان يواعد ابنته ليز لمدة ثلاثة أشهر قبل أن يتركها من أجل لاسي، الأمر الذي أزعج ليز لدرجة أنها تركت المدرسة لفترة من الوقت. وفي المقابل، كان كايل دائماً يسيئ معاملتي، ويقوم بالحماقات نفسها التي يقوم بها معظم أهل بلدة صغيرة كهذه، لكن الأمر ازداد سوءاً بمجرد أن أصبح ديكلان مشتبهاً به غير رسمي في جريمة قتل. لقد بدأ الندل بالتحرك في جميع أنحاء الصالة،

ووضعوا أطباق السلطة أمام الجميع، ثم اتجهت ميلاني خلف المنصة التي تقع في مقدمة المسرح.

قال الشرطي مكنولتي: "تلك المرأة هي برج من القوة"، وكأنه يتحداني مخالفته الرأي.

قالت ميلاني وهي تميل نحو الميكروفون: "شكراً جزيلاً لحضوركم، إنه يعني لي ولدان وكارولين وجوليا الكثير أن نرى مدى نمو صندوق منحة لاسي كيلدوف التذكارية".

توقفت عن الاستماع إلى بقية كلامها، ليس لأنني لا أهتم، ولكن لأنه كان من الصعب جداً سماعها وسط الضوضاء، بعد أن أنهت ميلاني خطابها، قدّمت إلينا طالبة من جامعة فيرمونت كانت أول من تلقت المنحة الدراسية، وتحدّثت الطالبة عن خطتها بعد إنهاء كلية الطب، بينما استُبدلت أطباق السلطة الفارغة بالطبق الرئيسي، وبعد انتهائها من الكلام، صقّ الجميع لها، ثم وجّهوا انتباههم إلى الطعام، فنظرت إلى قطعة الدجاج الجافة أمامي، بينما كان بيتر يتحدّث بطلاقة عن إشارات المرور تساءلت: هل الوقت لا يزال مبكراً على أخذ استراحة للذهاب إلى الحمام؟

قال بيتر بحماسة: "الأمر برمته هو تحقيق توازن بين الحفاظ على جماليات المدينة واستيعاب أنماط حركة المرور المتغيرة".

كلا، الوقت غير مبكر على الذهاب إلى الحمام، فوقفْتُ بعد أن وضعت منديلي على الكرسي، وانطلقت نحو الحمام، وبعدما غسلتُ يدي، خرجتُ من حمام الرجال، ووقفت في الممر متردداً بين العودة إلى الصالة أو الخروج من الباب الأمامي، ولكن فكرة العودة إلى تلك الطاولة سببت وجعاً في الرأس، كما أنه لن يفتقدني أحد لبضع دقائق أخرى، ففتحتُ الباب، وتوجّهت إلى الخارج وسط الظلام الدامس، فكان الجو رطباً وحرّاً، لكنه أقل اختناقاً من الداخل، ومثل هذه الليالي تجعلني أشعر وكأنني أعجز عن التنفس، وكان كل شيء ارتكبه أخي فعلياً أو ادعاءً، يُثقل كاهلي. لقد أصبحت شقيق ديكلان كيلبي قبل أن تسنح لي الفرصة لأكون أي شخص آخر، وأحياناً أشعر بأن هذا كل ما سأكون عليه.

أخذتُ نفساً عميقاً، وتوقفتُ عندما انبعثت رائحة مادة كيميائية خفيفة، وازدادت قوة كلما نزلتُ الدرج، فلم أستطع رؤية الكثير، ولكنني كدتُ أتعثر بعبوة ملقاءة على العشب، فانحنيتُ والتقطتها، فكانت عبوة رذاذ طلاء، فالرائحة التي فاحت كانت رائحة طلاء حديث.. ولكن من أين تفوح؟

عدتُ باتجاه المركز الثقافي الذي كان مظهره الخارجي المُضاء يبدو مشعاً،
ولا أثر للطلاء على جدرانه، كما لا يوجد أي شيء قريب منه طلي مؤخراً،
باستثناء لافتة المركز الثقافي التي كانت في منتصف الطريق على امتداد
العشب بين المبنى والشارع. كنت واقفاً مذهولاً قبل أن أتمكن من الرؤية
بوضوح بعد أن انتشر الضوء الخافت المُنبعث من أقرب عمود إنارة، وقد
غطت الأحرف الحمراء الجزء الخلفي من اللافتة من الأعلى إلى الأسفل،
بشكل صارخ على الخشب الباهت:

مردرلاند

التكلمة

قريباً

لست متأكداً من المدة التي تجمّدت فيها هناك، وأنا أُحدّق إلى اللوحة
قبل أن أدرك أنني لست وحدي، إنها الفتاة التي كانت تجلس إلى طاولة
ميلاني ذات الشعر المجعد والفستان الغريب، وهي تقف على بعد أمتار
قليلة مني، وعيناها حائرتان بين النظر إلى الكلمات المكتوبة على اللافتة
وعبوة رذاذ الطلاء التي في يدي، والتي اهتزت عندما أرخيت ذراعي، وقلت
لها: "ليس الأمر كما يبدو عليه".

الفصل الرابع

إيري

السبت، 7 أيلول

قرأت الرسالة النصية التي أرسلتها صديقتي لورد، وكان محتواها: "كيف تسير الأمور؟".

إنها في كاليفورنيا، لكنها ليست في مدينة لا بوينت، وقد تعرّفت إليها في الصف السادس.

وعلى عكس عزرا الذي ينسجم بسهولة مع الحياة الاجتماعية في كل مرة نغيّر فيها المدرسة، كنت أتشبّث بأعز صديق لي من دون الانفتاح على تكوين صداقات جديدة، فكنت أحتفظ بالمسائل الشخصية بعيداً عن العلاقات الجديدة التي تطلّ في المستوى السطحي.

أجبتها: "لقد وصلنا منذ أسبوع، والعمل في حديقة الفناء الخلفي هو أبرز الأحداث التي حصلت معي حتى الآن".

أرسلتُ لورد بعض الرموز التعبيرية ذات الوجه الحزين، ثم أضافت: "سوف تتحسن الأمور عندما تبدأ المدرسة، هل قابلتِ شباباً لطفاً وأثرياء من نيو إنغلاند حتى الآن؟".

"قابلت واحداً فقط، لكنه ليس ثرياً، وربما يكون مُخرّباً".

"أخبريني عنه".

توقّفتُ للحظة، لأنني لم أكن متأكدة من كيفية شرح الحادثة التي وقعت في حفل لاسي كيلدوف لجمع التبرعات، ثم رنّ هاتفي فكانت المكالمة من رقم يبدأ برمز منطقة كاليفورنيا.

لم يسبق لي أن رأيت هذا الرقم، لكن قلبي بدأ بالخفقان، فأرسلتُ رسالة نصية سريعة إلى لورد:

"أعتذر منك، لأنني أتلقّى مكالمة تتعلّق بأمتعتي على ما آمل".

وصلتُ إلى ولاية فيرمونت منذ أسبوع كامل، وما زالت حقيقتي مفقودة، وإن لم تظهر خلال اليومين المقبلين فسأضطر إلى الذهاب إلى المدرسة مرتدية الملابس التي اشتريتها جدتي من المتجر الوحيد في إيكو ريدج، واسمه "متجر دالتون" حيث يبيعون أجهزة حاسوب وأدوات مطبخ، وهذا يطلعك على كل ما تحتاج إلى معرفته حول رصيد الموضة الموجود لديه، وعلى أي شخص أكبر من ست سنوات أو أصغر من ستين سنة أن لا يدخله على الإطلاق.

أجبتُ على الهاتف: "مرحباً؟".

"إيري، مرحباً".

كدتُ أسقط هاتفي على الأرض، وعندما تأخرت في الإجابة، ضاعفَ الصوت إلحاحه ببهجة.

"هذه أنا".

"أجل، أعرف".

أمسكتُ بالهاتف براحة يدي المتعرّقة وقلت:

"كيف استطعتِ الاتصال بي؟".

"لا تبدين سعيدة بسماع صوتي".

أجبتها: "لم أقصد ذلك، اعتقدتُ أنه من المفترض أن نتكلم يوم الخميس المقبل".

كانت تلك هي قواعد إعادة التأهيل، واستناداً إلى كلام نانا: "ستكون جلسات سكايب لمدة خمس عشرة دقيقة مرة واحدة في الأسبوع بعد اكتمال أسبوعين كاملين من العلاج".

ولم أتوقّع ورود مكالمات غير منتظرة من رقم غير معروف.

قالت سادي: "القواعد هنا سخيفة، فقد سمحت لي إحدى الموظفات باستخدام هاتفها، وهي من محبّي مسلسل ديفيندرز".

لقد كان الدور الوحيد الذي أدته سادي وتكلّمت خلاله، وهو الجزء الأول مما اتضح أنه مسلسل أكشن ضخم في التسعينيات، ديفيندرز، ويتناول قصة جندي سيئ الحظ يتحوّل إلى رجل ألي، ولعبت سادي دور روبوت مثير يُدعى زيتا فولتيس، وعلى الرغم من أنها لم تقل سوى سطر واحد فقط، إلا أنها لا تزال هناك مواقع ويب خاصة بالمعجبين مخصصة للشخصية.

"إني أتشوّق إلى رؤيتك يا عزيزتي، فلننتقل إلى مكالمة الفيديو".

تردّدتُ للحظة قبل قبول مكالمة الفيديو، لأنني لم أكن مستعدة لذلك إطلاقاً، ولكن ليس لدي خيار آخر، فهل يمكن أن أرفض مكالمة والدتي؟ خلال ثوانٍ مَلاً وجه سادي الشاشة، فبدأ مشرقاً كما هو دائماً، فهي لا تشبهني بشيء سوى بشعرها. عينا سادي زرقاوان زاهيتان، أما عيناى فغامقتان للغاية لدرجة أنهما تبدوان سوداوين، إنها حلوة الوجه وذات ملامح ناعمة، وأنا وجهي مليء بالزوايا والخطوط المستقيمة، وهناك سمات أخرى مشتركة. وعندما رأيتُ غمازة خدها الأيمن وهي تبتسم، أجبرْتُ نفسي على رد الابتسامة.

قالت صارخة: "ها أنتِ ذا".

ثم تجعّد جبينها بسبب العبوس وقالت: "ما خطب شعرك؟".

ضاق صدري وقلت لها: "هل هذا أول ما تقولينه لي عند أول اتصال بيننا؟".

لم أتحدّث إلى سادي منذ أن دَخَلتُ هاميلتون هاوس، مركز إعادة التأهيل الراقى، والذي تدفع نانا تكاليفه الباهظة طوال مدة بقائها فيه، وعلى الرغم من أنها هدّمتُ واجهة متجر بالكامل، فقد حالفها الحظ، لأنها لم تؤذ نفسها أو أي شخص آخر، وانتهى بها الأمر أمام قاضٍ يؤمن بالعلاج بدلاً من السجن، ومع ذلك لم تكن ممتنة كثيراً.

الجميع مخطئون بنظرها، من الطبيب الذي أعطاهها وصفة طبية قوية جداً، إلى الإضاءة السيئة في الشارع، فمكابح سيارتنا القديمة. ولم أدرك حتى هذه اللحظة - وأنا جالسة في غرفة نوم خاصّة بجديتي التي بالكاد أعرفها، أستمع إلى سادي وهي تنتقد شعري عبر هاتف ربما يُطرد أحدهم بسبب تقديمه إليها - كم كان الأمر مثيراً للغضب!

"أوه، إيل، بالطبع لا، أنا أمارحك فقط، تبدين جميلة، كيف حالك؟".

كيف من المُفترض أن أجيب عن هذا السؤال؟

أجبتها باختصار: "أنا بخير".

سألتنى: "ماذا حدث خلال أسبوعك الأول في المدينة؟ أخبريني بكل شيء".

اعتقدت أنني كنت أستطيع أن أرفض مجاراتها، ولكن عندما رأيت صورتها برفقة أختها سارة على خزانة الكتب الخاصة بي، شعرتُ بأنني أرغب في إرضائها ومسايرتها لتلطيف الجو وجعلها تبتسم، لقد كنت أفعل ذلك طوال حياتي، ومن المستحيل التوقف الآن.

أجبتها قائلة: "معظم الأمور في هذه البلدة غريبة تماماً كما كنت تخبرينا دائماً، فقد استجوبتني الشرطة مرتين".

جَحَظْتُ عيناها وقالت: "ماذا؟".

أخبرتها بحادثة الاصطدام وهروب السيارة، والكتابة على الجدران في حفل جمع التبرعات من أجل منحة لاسي قبل ثلاثة أيام، فسألتنى سادي وهي تبدو غاضبة: "شقيق ديكلان كيلي كتب ذلك؟".

"لا، قال إنه عثر على عبوة رذاذ الطلاء بين الأعشاب".

أجابتنى: "من المرجح ذلك".

"لا أعلم، لقد بدا مصدوماً جداً عندما رأيته".

"يا إلهي! مسكينان ميلاني ودان، هذا آخر ما يريدانه".

قلتُ لها: "أخبرني الشرطي الذي تحدّثت إليه في حفل جمع التبرعات بأنه يعرفك، أتعرفين الشرطي مكنولتي؟ وقد نسيت اسمه الأول".

ابتسمتُ سادي وقالت: "تشاد مكنولتي! أجل، لقد تواعدنا في السنة الثانية، يا إلهي! ستقابلين كل أحبائي السابقين، أليس كذلك؟ وهل التقيت فانس باكيت بطريق الصدفة؟ لقد كان وسيماً جداً".

هززتُ برأسي وأجبتها بالنفي.

ثم أكملت: "بن كوتس؟ بيتر نيلسون؟".

لا أحد من هذه الأسماء مألوف باستثناء الاسم الأخير، التقيته في حفل جمع التبرعات، مباشرة بعد أن أبلغنا أنا وابن زوجته عن لافته التخريب.

سألتها: "هل واعدت هذا الرجل أيضاً؟ ألا يملك نصف المدينة؟".

أجابتنى: "أظن ذلك، إنه لطيف ولكنه تقليدي نوعاً ما، وقد التقينا في موعدين غراميين عندما كنت في سنتي الأخيرة، كان في الكلية حينها ولم تتفق كثيراً".

قلت لها: "إنه زوج أم مالكولم الآن".

تغير وجه سادي وبدا عليها الارتباك وقالت: "من؟".

أجبته: "مالكولم كيللي، شقيق ديكلان كيللي، الفتى صاحب عبوة الطلاب".

تمتمت: "يا إلهي! لا يمكنني مواكبة ما يجري في ذلك المكان".

تلاشى بعض التوتر الذي كان يبقيني جامدة، فضحكت وأنا أتكئ على وسادتي. لقد كانت قوة سادي الخارقة هي قدرتها على جعلك تشعر بالراحة كما لو أن كل شيء سيكون على ما يرام، حتى عندما تكون الأمور في حالة فوضى وتوحي بحصول كارثة في القريب العاجل.

أخبرتها: "قال الشرطي مكنولتي إن ابنه في صفنا، وأعتقد أنه كان حاضراً في حفل جمع التبرعات، لكنني لم أقابله".

أجابتنى: "آه، لقد أصبحنا كبار السن الآن، هل تحدّثت إليه عن حادثة الاصطدام والهروب أيضاً؟".

قلت لها: "لا، كان الشرطي الذي استجوبني شاباً، واسمه رايان رودريغيز".

لم أتوقّع أن تتعرّف سادي إلى الاسم، لكن تعبيراً غريباً رفرف على وجهها.

سألته: "ماذا؟ هل تعرفينه؟".

أجابتنني: "لا، كيف لي أن أعرفه؟".

ثم أضافت عندما لاحظتُ نظرات الشك في عيني: "حسناً! إنه فقط... لا تجعلي من الحبة قبة يا إليري، لأنني أعرف الطريقة التي تفكرين فيها، لكنه كان منهاراً في جنازة لاسي، فقد بدا حزيباً أكثر بكثير من حزن حبيبها لموتها، ولَفَت الأمر انتباهي، لذلك تذكّرتُه، وهذا كل ما في الأمر".

قلت لها: "ماذا تقصدين في أنه كان منهاراً؟"

تهدّدت سادي تنهيدة درامية، وقالت: "كنت أعلم أنك ستسألين عن ذلك".

أجبتها: "أنتِ من ذكر الأمر".

قالت: "إنه فقط... بكى كثيراً لدرجة الانهيار، حتى حمله أصدقاؤه خارج الكنيسة، وقلتُ لميلاني يبدو أنهما كانا مقربين جداً، ولكنها قالت إنهما بالكاد يعرفان بعضهما، وربما كان معجباً بها، هذا كل شيء، فقد كانت لاسي جميلة".

قالت فجأة: "أوه، ما هذا؟".

أدارت وجهها، بعد أن سمعنا معاً الصوت المنبعث خلفها.

ثم تابعت كلامها قائلة: "أوه، آسفة يا إل، لكن عليّ الذهاب، أخبري عزرا بأنني سأتصل به قريباً، حسناً، أنا أحبك و...".

توقّفت عن متابعة الكلام للحظات، وكأن شعوراً يشبه الندم يغمر وجهها للمرة الأولى، ثم قالت: "وأنا... أنا سعيدة أنك تتعرّفين إلى أناس جدد".

بلا اعتذار، إن قولها إنها آسفة يعني الاعتراف بأن هناك خطباً ما، وحتى عندما تتصل بي عبر المسافات من مركز إعادة التأهيل من خلال هاتف يعود إلى إحدى الموظفات، على الرغم من أنه لا يسمح لها بذلك، لم تستطع سادي الاعتراف بالخطأ والاعتذار.

لم أعلّق على كلامها، فأضافت قائلة: "أتمنى أن تقومي بنشاط ممتع بعد ظهر يوم السبت هذا!".

لست متأكدة مما إذا كانت المتعة هي الكلمة الصحيحة، ولكن كنت أخطط لهذا الأمر منذ أن علمت أنني ذاهبة إلى إيكو ريدج.

قلت لها: "اليوم افتتاح مزرعة الرعب، وأنا ذاهبة إليها".

هزّت سادي رأسها بلطف شديد، وقالت: "هذا رائع".

ثم أرسلت إليّ قبلة قبل أن تنهي المكالمة.

بعد عدة ساعات، مشينا أنا وعزرا عبر الغابة خلف منزل نانا باتجاه مزرعة الخوف، وكانت أوراق الشجر تُسحق تحت أقدامنا، وأنا أرتمي بعض الملابس الجديدة التي اشتريتها من متجر دالتون، وقد كان عزرا يسخر مني لارتدائها منذ أن غادرنا المنزل.

قال عزرا ونحن نخطو فوق فرع شجرة على الأرض: "ماذا تسمّي هذه الملابس؟ بناطيل ترفيحية؟".

قلت: "أغلق فمك".

كان البنطال الذي ارتديته مصنوعاً من المواد الاصطناعية القابلة للتمدد، وهو نوع من الملابس الأكثر أناقة، التي كان يمكن العثور عليها في المتجر، على الأقل كان لونه أسود وبناسيني، أما القميص الذي ارتديته فكانت مربعاته باللونين الرمادي والأبيض وله قبة عالية تكاد تخنقني، وأنا متأكدة من أنني أبدو بأقبح مظهر.

قلت له: "أولاً أُمي تنتقد شعري، والآن أنت تنتقد ملابسني".

كانت ابتسامة عزرا مشرقة ومفعمة بالأمل وهو يسألني: "كانت تبدو بحالة جيدة، أليس كذلك؟".

هو وسادي متشابهان جداً في أغلب الأوقات، فهما متفائلان للغاية لدرجة أنه من المستحيل التعبير عما تشعر به حقاً وأنت برفقتكما، فعندما كنت أحاول التعبير عما في داخلي، كانت سادي تنتهّد، وتقول: "لا تكوني متشائمة يا إليري".

مرة واحدة فقط أضاقّت بصوت منخفض: "أنتِ مثل سارة تماماً".

ثم تظاهرت بعدم سماعي عندما طلبت منها أن تكرر ما قالته.

قلتُ لعزرا: "لقد بدت رائعة".

سمعنا ضوضاء انبعثت من الحديقة قبل أن نصل إلى وجهتنا، وبمجرد خروجنا من الغابة لفت نظرنا مشهد المدخل الذي لاح من بعيد على شكل رأس وحش، عيناه خضراوان متوهجتان، وفمه مفتوح على مصراعيه وكأنه يستعدُّ لالتهام فريسته، ولكنه ما كان سوى باب الدخول إلى مزرعة الخوف، كان يبدو تماماً كما رأيناه في الصور في أثناء التغطية الإخبارية حول مقتل لاسي، باستثناء اللافتة المقوَّسة المكتوب عليها مزرعة الخوف بحروف حمراء.

حَجَبَ عزرا عينيه عن أشعة الشمس، وقال: "مزرعة الخوف اسم قبيح، مردرلاند أفضل".

فوافقته الرأي.

كان الطريق يمرُّ بين الغابة ومدخل مزرعة الخوف، فانتظرنا مرور بضعة سيارات حتى استطعنا العبور، وقد أحاط سياج مرتفع أسود اللون بالمنتزه، وكان في داخله مجموعات من الخيام وألعاب الملاهي المتعددة، وقد فتحت مزرعة الخوف أبوابها منذ أقل من ساعة لكنها مكتظة بالناس بالفعل، وكانت الصرخات تملأ المكان. عندما اقتربنا من المدخل لاحظت أن الوجه المخيف مغطى بطلاء رمادي مرقّش وبقع حمراء فبدا كجثة متحللة.

هناك صف من أربعة أكشاك مباشرة في الداخل، وأمين صندوق في كل كشك، وما لا يقلُّ عن عشرين شخصاً ينتظرون دورهم، فوقفت أنا وعزرا في الصف منتظرين وصول دورنا، ثم لفت انتباهي بعد بضعة دقائق لوحة المعلومات، فأحضرت مجموعة من الأوراق المكدسة أسفلها.

قلت لعزرا: "إنها خرائط!".

أعطيته واحدة بالإضافة إلى ورقة، وأضفت: "كما أحضرت طلبتي عمل".

سألني: "أتريدان العمل هنا؟".

أجبت: "نحن مفلسان، هل نسيت؟ وأين يمكن أن نجد عملاً في غير هذا المكان؟ كما لا أظنُّ أن هناك مكاناً أقرب منه".

ولم يملك أي منا رخصة قيادته ويمكنني القول إن نانا ليست من النوع الذي يقود السيارة.

هَزَّ عزرا كتفيه وقال: "حسناً، أعطني إياه".

جلبت قلماً من حقيبتني، وكنا على وشك إنهاء ملء طلب العمل عندما حان دورنا لشراء التذاكر، فحشرتهما في الجيب الأمامي لحقيبتني ونحن نغادر الكشك.

قال عزرا: "يمكننا تسليمهما قبل أن نعود إلى المنزل، وإلى أين سنذهب الآن؟".

فتحتُ الخريطة ودرستها بتمعن ثم قلت: "يبدو أننا في قسم الأطفال الآن، غرفة المادّة السوداء إلى اليسار، إنها مختبر علوم شريرة، وخيمة السيرك الكبيرة إلى اليمين، ومنزل الرعب أمامنا مباشرة لكنه لا يفتح حتى الساعة".

اتّكأ عزرا على كتفي وقال بصوت منخفض: "أين ماتت لاسي؟".

أشرتُ إلى صورة عجلة صغيرة دوّارة، وقلت: "تحتها، أو بالأحرى هذا هو المكان الذي وجدوا فيه جثّتها. وقد اعتقَدتُ الشرطة أنها ربما جاءت لتقابل شخصاً ما، فقد اعتاد مراهقو إيكو ريدج التسلل إلى المنتزه بعد انتهاء ساعات العمل طوال الوقت، ولم يكن في المكان كاميرات مراقبة وقتها".

ألقينا نظرة على أقرب مبنى حيث كان ضوء الكاميرا الأحمر يومض من زاوية واحدة، ثم أضفت: "لكن يبدو أنه أصبح لديهم كاميرات الآن".

سألني عزرا: "هل تريدان أن نبدأ من هناك؟".

اندفع نحونا مجموعة من الأطفال الملتئمين الذين يرتدون ملابس سوداء، واصطدم أحدهم بكتفي بشدة لدرجة أنني تعثّرت.

أجبت: "ربما يجب أن نلقي نظرة على الألعاب".

كان من الأسهل الاستمتاع بزيارة مسرح الجريمة قبل أن ألتقي أسرة الضحية.

تجاوزنا منصات الوجبات الخفيفة وألعاب الكرنفال، وتوقّفنا مؤقتاً لمشاهدة صبي في مثل سنّنا وهو يلعب من أجل الفوز بقطة سوداء

محشوة لتقديمها إلى حبيبته، وكانت المحطة التالية تحتوي على نوع من ألعاب الرماية وإطلاق النار، حيث يحاول لاعبان إصابة اثني عشر هدفاً في صندوق.

كان هناك رجل يرتدي سترة صيد رديئة، ويبدو أنه يبلغ أربعين عاماً أو ما يقارب ذلك، قال وهو يطلق قهقهة عالية لا كما كتف الطفل المجاور له: "لقد هزمتك".

وكانت الفتاة التي تقف خلف المنضدة جميلة وفي مثل عمري تقريباً، وقالت بتوتر: "ربما ينبغي لك إعطاء الدور لشخص آخر".

لَوَّح الرجل الذي يرتدي سترة الصيد ببندقية اللعبة التي يحملها، وقال: "يوجد مكان كافٍ إلى جانبي، ويمكن من خلاله أن يلعب أي شخص إذا لم يكن جباناً أكثر من اللازم".

كان صوته مرتفعاً ويتلعثم في كلماته.

شَبَكَتُ الفتاة ذراعيها، وكأنها تستجمع العزم لتبدو قوية، ثم قالت: "هناك كثير من الألعاب الأخرى التي يمكنك تجربتها".

أجابها الرجل: "أنتِ غاضبة فقط لأنه لا يمكن أن يهزمني أحد، وأنا أقول لك، إذا استطاع أي من هؤلاء الخاسرين هزيمتي سأرحل في الحال، فمن يريد المحاولة؟".

ثم استدار نحو الحشد الصغير المتجمع حول المنصة، فكشف عن وجهه النحيف والقدري.

لكزني عزرا بمرفقه، وقال: "كيف يمكنك المقاومة؟".

تردّدتُ قليلاً، في انتظار ما إذا كان أي شخص أكبر سنّاً أو حجماً سيشارك في التحدي، ولكن عندما لم أرَ أي ردة فعل، تقدّمتُ إلى الأمام، وقلت: "أنا أتحدّك".

تبادلنا أنا والفتاة النظرات، فكانت عيناها عسليتين، ومظللتيين بدوائر سوداء، وقد زادهما جمالاً رموشها الكثيفة التي منحتها المسكرة لونا غامقاً، ولكنها بدتُ وكأنها لم تنم منذ أسبوع.

تفحّص الرجل وجهي مطولاً، ثم انحنى قليلاً، وكادت الحركة تطيح به، لكنه استقام فوراً، وقال: "مرحباً سيّدتني! إني أقبل التحدي، وحتى سأدفع

عنك".

أخرج دولارين مجعدين من جيبه، وسلّمهما إلى الفتاة التي أخذتهما بحذر شديد ووضعتهما في صندوق أمامها.

قال الرجل: "كي لا يُقال إن فانس باكيت ليس رجلاً نبيلًا".

صرخت قبل أن أتمكّن من منع نفسي من قول: "فانس باكيت؟".

هذا هو حبيب سادي السابق الوسيم؟ إما أن معايير الجمال لديها كانت هابطة جداً في إيكو ريدج، أو أنه كان في ذروة وسامته في المدرسة الثانوية.

حاول الرجل التدقيق في ملامحي بعينه المحتقتين بالدم، لكنه لم يتعرّف إليّ، ولم يكن الأمر غريباً، فشعري كان مشدوداً إلى الوراء، لذلك لم يبدُ مذهري شبيهاً بسادي.

سألني: "هل أعرفك؟".

أجبت بهدوء: "لا، إنه اسم جميل فقط".

ضغطت الفتاة على زر إعادة ضبط الأهداف.

انتقلت إلى المحطة الثانية بينما رَفَعَ فانس البندقية ووضعها نصب عينيه.

قال بصوتٍ عالٍ: "الأبطال أولاً"، وبدأ بإطلاق التسديدات بتتابع سريع.

على الرغم من أنه مخمور بشكل واضح، إلا أنه تمكّن من إصابة عشرة أهداف من أصل اثني عشر هدفاً.

رَفَعَ البندقية عندما انتهى من إطلاق النار، وقبّل فوهتها ثم قال مشيراً نحوي: "ما زلت أمتلك الموهبة، دورك الآن، سيدتي".

أمسكت بالبندقية وصوّبتها نحو الهدف، إنني أمتلك ما يسمّيه عزرا قدرة رهيبية على التصويب، على الرغم من عدم امتلاكي أي موهبة رياضية بأي نوع من الألعاب الأخرى، فكانت يداي متعرقتين وأنا أغمض إحدى عيني وأذكر نفسي: "لا تبالغي في التفكير، فقط قومي بتوجيه البندقية وإصابة الهدف".

ضغطتُ على الزناد فأخطأت الهدف الأول، ولكن ليس بمسافة بعيدة، ثم قمتُ بتعديل تصويبي، وأصبتُ الهدف الثاني، بدأ الحشد خلفي يهتفون عندما أصبتُ بقية الأهداف في الصف العلوي، وبحلول الوقت الذي أصبتُ فيه تسعة أهداف، كانوا يصفقون بحرارة، فارتفع التصفيق عندما أصبت الهدف العاشر، وتحوّل إلى صيحات وهتافات عندما أصبت آخر هدف، وانتهت اللعبة بإصابتي أحد عشر هدفاً.

كان فانس يحدّق إلى وجهي بدهشة وهو يقول: "إنك مخادعة".

قال أحدهم: "تنحّ جانباً يا فانس، لقد ظهر لاعب محترف جديد في البلدة".

ضحك الحشد، وتجهّم وجه فانس، وللحظة لم أتوقّع أنه سيتحرّك ويغادر المكان، لكنه وضع بندقيته على المنضدة وتمتم: "اللعبة مغشوشة على أي حال"، وتراجع وهو يشقّ طريقه وسط الحشد.

استدارت الفتاة نحوي وهي تبتسم ابتسامة باهتة تعبّر عن الامتنان، وقالت: "شكراً لك، لقد كان هنا لمدة نصف ساعة تقريباً، وهو يخيف الجميع، فظننته سيبدأ بإطلاق النار على الحشد في أي دقيقة، إنها مجرد حبيبات مضغوطة، لكنها لا تزال خطيرة".

سَحَبْتُ منديلاً من تحت المنضدة، ومسحت مسدس فانس به، ثم أضافت: "أنا مدينة لك، هل تريدان أيها الرفيقان أساور مجانية لدخول بيت الرعب؟".

كدتُ أقول نعم، لكن بدلاً من ذلك سحبْتُ طلبي توظيفي أنا وعزرا، وقلت لها: "في الواقع، هل تمانعين رفع توصية بنا إلى رئيسك في العمل أو إلى من يقوم بالتوظيف هنا؟".

قالت الفتاة: "ولكن هناك مشكلة واحدة، إنهم يوظفون المراهقين من إيكو ريدج حصراً".

أجبتها بوجه مشرق: "ونحن ننتمي إلى هذا المكان، لقد انتقلنا للتو".

قالت لنا: "حقاً؟ أوه، هل أنتما..؟".

كنت أستطيع أن أرى الألغاز تتفكّك في عقلها وهي تنظر إليّ وإلى عزرا.

ثم أكملت: "لا بد أنكما توأم كوركوران".

بعد أن أمضينا حياتنا في مدار مدينة يكافح الجميع فيها من أجل الشهرة، يبدو الشعور غريباً أن يتعرّف إليك الناس بسهولة، لست متأكدة إن كنت أحبّ ذلك، لكن لم يسعني سوى أن أشعر بالسعادة عندما مدّت يدها نحو طلبي التوظيف لتأخذهما.

قالت: "أنا بروك بينيت، وسنكون في الصف نفسه الأسبوع القادم، وسأرى ما يمكنني فعله لمساعدتكما".

الفصل الخامس

مالكولم

الأحد، 8 أيلول

قالت ميا وهي تبحث في أعماق ثلاجتنا: "لديكم أربعة أنواع من الماء الفوار، لا أقصد النكهات، بل علامات تجارية، بيريه، سان بيلجرينو، لا كروا، وبولار، أتريد واحدة؟".

قلْتُ من دون حماسة: "أريد كولا".

ولم تكن مدبرة منزل عائلة نيلسون التي تقوم بكل أعمال التسوّق، من محبي السكر المكرر.

إنه يوم الأحد قبل بدء المدرسة، وأنا وميا وحدنا في المنزل، فقد غادرت أمي وبيتر للقيام بجولة في السيارة بعد تناول الغداء، وكانت كاترين وأصدقائها يتسوقون بمناسبة العودة إلى المدرسة.

قالت ميا وهي تسحب زجاجتين من صودا الليمون: "أخشى أنه ليس لدينا".

ثم أعطتني زجاجة، وأضافت: "تحتوي هذه الثلاجة على مشروبات صافية فقط".

وضعتُ الزجاجة على منضدة المطبخ بجوار كومة من الكتيبات الجامعية التي بدأت تصل إلى كاترين يومياً: جامعة براون، أمهيرست، جورج تاون، كورنيل. إن اختيار هذه الجامعات يدلُّ على المبالغة في تقدير قدراتها مقارنة بتدني معدلها، لكن بيتر يحبُّ أن يصوّب الناس عالياً. فتحت ميا

الزجاجة الخاصة بها وأخذت جرعة طويلة، ما جعل تعابير وجهها تتغير، وهي تقول: "طعمها مثل محلول التنظيف".

قلت لها: "يمكننا الذهاب إلى منزلك".

هزّت ميا رأسها بشدة لدرجة أن شعرها الداكن ذا الرؤوس الحمراء تطاير على وجهها، وقالت: "لا شكراً، هناك الكثير من التوتر في منزل عائلة كوون، يا صديقي، فالجميع مشغول بعودة ديزي".

قلت: "ظننتُ أن عودة ديزي إلى المنزل كانت مؤقتة".

أجابت ميا بصوت الراوي: "وهذا ما ظنناه جميعاً، ومع ذلك، هي باقية".

أنا وميا صديقان، لأن ديكلان وشقيقتها ديزي كانا صديقين منذ زمن طويل، كما كانت لاسي كيلدوف وديزي كوون صديقتين مقربتين منذ الروضة، لذلك بمجرد أن بدأ ديكلان ولاسي بالمواعدة، أصبحتُ أرى ديزي بقدر رؤيتي للاسي. كانت ديزي أول من أعجب بها، وهي أجمل فتاة رأيتها في حياتي، ولم أستطع أبداً معرفة ما رآه ديكلان في لاسي عندما كانت ديزي الأكثر جمالاً أمام عينيه.

أما ميا فكانت تحب كلاً من لاسي وديكلان، وبعد ذلك انهار كل شيء بموت لاسي، فغادر ديكلان البلدة، وهو مشتبه به ومُحتقر من قبل الجميع، والتحقّت ديزي بجامعة برينستون، ثم تخرجت بمرتبة الشرف، وحصلت على وظيفة رائعة في شركة استشارية في بوسطن، ومنذ ستة أسابيع استقالت فجأة وعادت إلى المنزل للعيش مع والديها، ولم يعرف أحد السبب، ولا حتى ميا.

فجأة سمعنا أصوات المفاتيح تُدار في القفل، ثم ارتفعت الضحكات الصاخبة في الردهة، فدخلت كاترين المطبخ مع صديقتها بروك وفيف، وكنّ مثقلات بأكياس التسوق ذات الألوان الزاهية.

قالت كاترين وهي تضع حقائبها على منضدة المطبخ: "مرحباً، لا تذهبا إلى مركز تسوق بلفيو اليوم، إنه أشبه بحديقة حيوان، والجميع يشتري فساتين حفل التخرج منذ الآن".

وتنهّدت تنهيدة عميقة، وكأنها لم تكن تفعل الشيء نفسه بالضبط.

تلقينا جميعاً بربداً إلكترونياً ترحيبياً من مدير المدرسة الليلة الماضية، وقد أشار إلى رابط تطبيق مدرسي جديد يتيح لك عرض جدولك والاشتراك به للحصول على بعض الأشياء عبر الإنترنت.

وقد نُشِرتْ صناديق الاقتراع لحفل التخرج، حيث يمكنك نظرياً التصويت لأي شخص ليكون عضواً في اللجنة، ولكن الجميع يعلمون أن أربعة من المراكز الستة يشغلها كل من كاترين وثيو وبروك وكايل.

هناك الكثير من الأمور في حياتي وحيات كاترين التي لا نتفق عليها، ويتصدّر أصدقاؤنا القائمة، فأعتقد أن بروك ليست بهذا السوء، لكن فيف هي الطرف الثالث غير المرغوب في صداقتها، وقلّة ثقتها بنفسها تجعلها بغیضة أو ربما هذا ما هي عليه.

مالتُ ميا إلى الأمام ووضعت إصبعها الأوسط على ذقنها، ولكن قبل أن تتمكن من التحدث، أخذتُ باقة من الزهور المكسوة بالسُلوفاًن عن المنضدة وقلت: "يجب أن نذهب قبل أن يبدأ المطر بالهطول، أو حتى البرد".

تَظَرَّتْ كاترين إلى الزهور وقالت: "لمن هذه".

أجبتها: "للسيد بومان".

ثم تلاشت ابتسامة كاترين المزعجة وأصدرتُ بروك صوتاً مخنوقاً، وامتلات عيناها بالدموع، حتى فيف بدت صامتة.

تنهّدت كاترين واتكأت على المنضدة، وقالت: "لن تعود المدرسة كما كانت من دونه".

نهضت ميا عن كرسيها وقالت: "إن نجات الناس من المحاسبة لارتكاب جرائم القتل في هذه المدينة يثير الغضب، أليس كذلك؟".

قالت فيف: "الاصطدام والهروب مجرد حادث".

ردّت ميا: "ليس بالنسبة إليّ، ربما الاصطدام نعم، لكن ليس الهروب، كان السيد بومان سيبقى على قيد الحياة، لو توقّف الشخص الذي صدمه وطلب له المساعدة".

وضعت كاترين ذراعها حول بروك التي بدأت تبكي بصمت، وكان يحصل ذلك كلما التقيت أحد تلاميذ المدرسة طوال الأسبوع الماضي، ففي

لحظة يكون فيها الجميع بخير، وفجأة يجهشون بالبكاء في اللحظة التي تليها، وهذا يعيد إليّ ذكريات وفاة لاسي، لكن من دون تسلط كاميرات الأخبار.

سألته كاترين: "كيف ستصل إلى المقبرة؟".

أجبتها: "بسيارة أُمي".

قالت كاترين: "لقد ركنت سيارتي أمامها، لذلك بإمكانك أن تأخذ سيارتي".

لا مانع لديّ، تمتلك كاترين سيارة بي أم دابليو ومن الممتع قيادتها، إلا أنها لا تعرضها عليّ كثيراً، لكنني أعتنم الفرصة عندما تفعل ذلك، فأمسكت بالمفاتيح، وخرجت على عجل قبل أن تغيّر رأيها.

قالت ميا ونحن نخرج من الباب الأمامي: "كيف يمكنك العيش معها؟".

ثم استدارت ونظرت إلى الورا، محدقة إلى منزل عائلة نيلسون الضخم، وأضافت: "أظنّ أن مزايا العيش في منزل كهذا ليست بسيئة، أليس كذلك؟".

فتحتُ باب السيارة، وبدأت أفكّر وأنا أدخلها في أنني ما زلت لا أصدّق أن هذا النمط أصبح نمط حياتي.

قلت: "من الممكن أن يكون الوضع أسوأ".

كانت الرحلة سريعة إلى مقبرة إيكو ريدج، قضت ميا معظمها في التقلب بين جميع محطات الراديو المبرمجة مسبقاً التي تستمع كاترين إليها.

استمرت ميا بالتقلب حتى اجتزنا البوابة المصنوعة من الحديد المطاوع. كانت إيكو ريدج تحتوي على واحدة من تلك المقابر التاريخية التي يعود تاريخها إلى القرن السابع عشر، والأشجار المحيطة بها قديمة وضخمة لدرجة أن فروعها تشبه المظلة فوقنا، والشجيرات الطويلة الملتوية تزيّن الطريق المملوء بالحصى، والمساحة بأكملها محاطة بجدران حجرية. كانت شواهد القبور كلها ذات أشكال وأحجام مختلفة، منها جذوع صغيرة بالكاد مرئية في العشب، أو ألواح طويلة بأسماء منحوتة من الأمام بأحرف كبيرة، وعدد قليل من تماثيل الملائكة أو الأطفال. وكان قبر السيد بومان في

القسم الأحدث من المقبرة، وقد وجدناه على الفور، فكان العشب الأمامي للقبر مغطى بالورود والحيوانات المحشوة والملاحظات الصغيرة، والحجر الرمادي البسيط وقد حُفر عليه اسمه وسنوات حياته وعبارة: أخبرني وسأنسى، علمني وربما سأذكرك، أشركني وسأفهم.

فتحتُ باقة الزهور ووضعتها بصمت على القبر، وظننتُ أنه سيكون لدي ما أريد أن أقوله عندما أصل إلى هنا، لكن حلقي جفّ، وأصابتنى موجة من الغثيان. كنت وأمي في نيو هامبشاير عندما توفي السيد بومان، لذلك فاتتنا جنازته.

شَعَرَ جزء مني بالأسف، لكن جزءاً آخر شَعَرَ بالارتياح، لأنني لم أحضر جنازة منذ أن حضرت جنازة لاسي منذ خمس سنوات، لقد دُفِنْتُ في ثوب الحفل الذي كانت ترتديه، فارتدى جميع أصدقائها ملابس الحفل في جنازتها، وكان الجو حاراً في أواخر شهر أكتوبر، وأذكر أنني كنت أتعرق وأنا أرتدي بذلتي المسببة للحكة وأنا أقف إلى جانب أبي، وكان الناس يحدّقون إلى ديكلان وهم يهمسون إلى بعضهم، وقد وَقَفَ أخي بعيداً عنّا، جامداً كالتمثال، بينما كان والدي يشدُّ ياقة قميصه وكان نظرات الناس كانت تخنقه.

استمرّت علاقة والديّ حوالي ستة أشهر بعد مقتل لاسي، ولم تكن الأمور رائعة قبل ذلك الحين. ظاهرياً كانت خلافتهما تدور دائماً حول المال، فواتير المياه والكهرباء وإصلاح السيارة والوظيفة الثانية التي اعتقدت أُمّي أن أبي يجب أن يحصل عليها بعد أن قلت ساعات عمله في المستودع. ولكن في الحقيقة، كان جوهر الخلافات أنه في مرحلة ما على مر السنوات، توقّفنا عن الإعجاب ببعضهما البعض. لم يصرخا في وجهي بعضهما أبداً، لكن كان جو الاستياء شديداً لدرجة أنه انتشر في جميع أنحاء المنزل مثل الغازات السامة، وفي البداية كنت سعيداً عندما غادره، ولكن عندما انتقل ليعيش مع امرأة بعمر ابنته، وتجاهل إرسال نفقات إعالتنا، شعرتُ بالغضب منه، لكنني لم أستطع إظهار ذلك، لأن الغضب أصبح موجّهاً من الناس إلى ديكلان بنظرات صامتة مليئة بالاتهام.

أعادني صوت ميا إلى الحاضر عندما قالت: "إن موتك أمر محزن، سيد بومان، شكراً لكونك كنت دائماً لطيفاً فلم تقارني يوماً بديزي، عليّ عكس كل معلم آخر في تاريخ العالم، شكراً لأنك جعلت العلم مثيراً للاهتمام، وأتمنى أن يلقي الفاعل عقابه ويحصل بالضبط على ما يستحقّه".

أغمضتُ عينيّ ثم نظرتُ إلى الجانب الآخر، فلمحت شيئاً أحمر اللون من بعيد.

قلت: "ما هذا؟".

تَظَرَّتْ مِيا إلى حيث كنت أنظر، وقالت: "ما الخطب؟".

من المستحيل أن نعرف من المكان الذي نقف فيه، لذا بدأنا نشقّ طريقنا عبر العشب، عبر قسم من القبور يبدو وكأنه من الحقبة الاستعمارية كانت على شكل منحوتة جماجم مجنّحة، ثم أصبحنا قريبين أخيراً بما يكفي لمعرفة ما لفت انتباهنا من بعيد عند قبر السيد بومان، فتوقّفنا فجأة، هذه المرة لم تكن مجرد رسوم على الجدران، بل كانت هناك ثلاث دمي تتدلى من أعلى الضريح، وأنشوفة حول أعناقها، وترتدي جميعها تيجاناً وفساتين طويلة لامعة مغموسة بالطلاء الأحمر، وكما حصل في المركز الثقافي، كانت الحروف الحمراء تسيل مثل الدم على الحجر الأبيض تحتها:

لقد عدت!

فلتختاري الملكة يا إيكو ريدج

حفل عودة سعيد إلى المدارس

كانت الورد متناثرة باللون الأحمر حيث زينت قبراً بجوار الضريح، وبدأت أشعر بألم في المعدة عندما عرفتُ هذا الجزء من المقبرة، كنت واقفاً في المكان نفسه الذي وقفتُ فيه تقريباً عندما دُفنتُ لاسي.

شهقت ميا شهقة غاضبة عندما أدركت الشيء ذاته، واندفعت إلى الأمام وكأنها على وشك أن تزيل الورد ذات المظهر الدموي من أعلى قبر لاسي، لكنني أمسكت بذراعها قبل أن تفعل ذلك.

قلت: "توقفي، لا يجب أن نلمس أي شيء".

ثم راودتني فكرة أخرى سيئة: "اللعنة، يجب أن أكون الشخص الذي يُبلغ عن أمر كهذا مجدداً".

لقد حالفني الحظ الأسبوع الماضي نوعاً ما، لأن الفتاة الجديدة، إليري، وثقت بي عندما توجّهنا إلى إخبار شخص بالغ، ولم تذكر أنها وجدتني ممسكاً بالعبوة، لكن الهمسات بدأت تنتشر في المركز الثقافي على أي حال، وهم يتابعون تحركاتي منذ ذلك الحين، وليس مناسباً أن يحصل ذات الأمر مرتين خلال أسبوع واحد، فذلك لا يتماشى مع إستراتيجية "أبق رأسك إلى الأسفل حتى تتمكن من الخروج بسلام" التي كنت أعمل عليها منذ أن غادر ديكلان المدينة.

قالت ميا وهي تنظر حولها: "ربما أبلغ شخص آخر رأى المشهد قبلنا بالفعل الشرطة، لكنها لم تصل إلى هنا بعد، إنه منتصف النهار والناس يدخلون ويخرجون من هنا طوال الوقت".

أجبتها: "لو أن الأمر كذلك كان الخبر سينتشر".

قنوات الترتة في إيكو ريدج سريعة ومضمونة، حتى أنا وميا أصبحنا مطلقين على آخر الأخبار الآن حيث إن كاترين لديها رقم هاتفي الخليوي.

عصت ميا على شفيتها وقالت: "يمكننا الهرب وترك شخص آخر يبلغ الشرطة، لكننا أخبرنا كاترين أننا قادمان إلى هنا، أليس كذلك؟ لذا لن ينجح هذا السيناريو، وسيبدو الأمر أسوأ في الواقع إذا أخفينا ما رأيناه، بالإضافة إلى أن الذي حصل في غاية الغرابة، هل تعتقد أن ذلك تهديد جدّي أو شيء من هذا القبيل؟ وكان ما حصل مع لاسي سيحصل مرة أخرى؟".

سيطرت على أعصابي، وتكلمت بهدوء شديد من دون أن يظهر توتري من خلال نبرة صوتي المرتجفة، على الرغم من أنني كدت أصاب بالجنون، وأنا أحاول فهم ما يحصل أمامنا: "يبدو أن هذا هو الانطباع الذي يريد المجرم تركه".

سحبت ميا هاتفها وبدأت بالتقاط الصور، ودارت حول الضريح حتى تتمكن من التقاطها من كل زاوية، لقد كادت تنتهي عندما سمعنا ضوضاء عالية جعلتنا نرتعب، فتملكني الخوف حين رأيت شخصية مألوفة تخرج من بين الشجيرات بالقرب من مؤخرة المقبرة، إنه فانس باكيت، كان يعيش خلف المقبرة وربما يمرّ من هنا كل يوم وهو في طريقه إلى... أودّ أن أقول إلى متجر الخمور، لكنه لا يفتح يوم الأحد، كان على بعد أمتار قليلة فقط عندما لاحظ وجودنا أخيراً، فتوقّف فجأة لدرجة أنه كاد يسقط، وقال: "ما هذا بحق الجحيم؟".

كان فانس باكيت الشخص الوحيد في إيكو ريدج الذي تدهورت حاله بعد المدرسة الثانوية بشكل أسوأ من أخي، فكان يدير شركة مقاولات حتى تمت مقاضاته بسبب خلل في الأسلاك أدّى إلى احتراق منزل في سولزبري، ومنذ ذلك الحين وهو مدمن كحول، كما كانت هناك سلسلة من الاقتحامات الصغيرة في حي نيلسونز في الوقت نفسه الذي ركّب فيه فانس صحن قمر صناعي على سطح بيتر، لذلك يفترض الجميع أنه وجد استراتيجية جديدة لدفع فواتيره، ومع ذلك، لم يقبض عليه أبداً بأي تهمة.

قلت له: "لقد وجدنا ذلك للتو".

لا أعرف لماذا شعرتُ بالحاجة إلى تفسير ما يحصل لفانس باكيت،
لكن ها نحن ذا.

اقترب ويده محشورتان في جيبي سترة الصيد الخاصة به ذات اللون
الأخضر الزيتوني، ودار حول الضريح، ثم أطلق صفيراً خافتاً عندما انتهى من
تفحص المكان، وكانت تفوح منه رائحة خمر خفيفة.

أخيراً قال: "الفتيات الجميلات يصنعن القبور، أتعرف تلك الأغنية".

أجبت: "هاه؟".

ثم قالت ميا: "فرقة ذا سيمثر".

لا يمكنك مجاراتها بأي شيء متعلق بالموسيقى.

أوماً إليها فانس بالإيجاب وقال: "تناسب الأغنية هذه المدينة، أليس
كذلك؟ تستمرّ إيكو ريدج بخسارة ملكات حفل العودة إلى المدرسة، أو
أخواتهن". جالت عيناه بين الدمى الثلاث ثم قال: "شخص ما أصبح مبدعاً".

ردّت ميا ببرود: "إنه ليس إبداعاً، بل أمر مروع".

أجابها فانس: "لم أقل عكس ذلك أبداً، لماذا لا تزالان هنا؟ اذهبا
وأخبرا السلطات".

لا أحبّ أن يأمرني فانس باكيت، لكنني لا أريد البقاء في هذا المكان
أيضاً.

ذهبنا باتجاه السيارة، لكن فانس استوقفنا مجدداً صارخاً ونحن في
منتصف الطريق، وقال وهو يشير نحوي بإصبع غير ثابت: "قد ترغب في
إخبار أختك بالتواري عن الأنظار على سبيل التغيير، فلا تبدو سنة رائعة لكي
تكون ملكة حفل العودة إلى المدرسة، أليس كذلك؟".

الفصل السادس

إيري

الاثنين، 9 أيلول

وصلت وعزرا منذ خمس عشرة دقيقة فقط، وكان هناك بالفعل عدد كبير من الأشخاص ذوي الشعر الأشقر والعيون الزرقاء أكثر مما رأيته في مكان واحد على الإطلاق.

حتى المبنى الذي تقع فيه ثانوية إيكو ريدج يتمتع بسحر بيوريتاني معين، إنه مبنى قديم أرضياته عريضة من خشب الصنوبر، ونوافذه عالية ومقوّسة، وأسقف مائلة.

كنا ننتج من مكتب مستشار التوجيه إلى حجرة الدراسة الجديدة، فبدأ الأمر وكأننا نقود مسيرة بسبب النظرات التي كانت تحدّق إلينا، على الأقل كنتُ أرتمي الملابس التي حضرت بها وأنا على متن الطائرة، وقد غسلتها الليلة الماضية استعداداً لليوم الأول في المدرسة، بدلاً من أن أرتمي ملابس متجر دالتون الرديئة. مررنا بلوحة إعلانات مغطاة بالنشرات الملونة، فتوقّف عزرا مؤقتاً لإلقاء نظرة ثم قال: "شيء ما يخبرني بأنه ليس لديهم منظمة تحالف لغير الأسوياء هنا، وأتساءل عما إذا كان هناك أشخاص يعترفون بميولهم غير السوية".

في العادة كنت أجيب أنه لا بد من أن يكون هناك من يعترفون بميولهم، لكن إيكو ريدج صغيرة للغاية، وهناك أقل من مئة طالب في صفّي، وبضع مئات أكثر في المدرسة كلها.

انتقلنا بنظرنا من لوحة الإعلانات إلى فتاة آسيوية لطيفة ترتدي قميصاً وتنتعل حذاء كعبه عال وهي تمشي أمامنا، وشعرها قصير من جانب وعليه خطوط حمراء في الجانب الآخر.

قال أحد الفتيان: "مرحباً، ميا، لقد نسيتِ قصّ النصف الآخر من شعرك!".

وهذا ما جعل الفتيين الآخرين اللذين يرتديان سترة كرة قدم يضحكان وهما يقفان إلى جانبه.

رَفَعَتْ الفتاة إصبعها الوسطى ودَفَعَتْهُ في وجوههم من دون أن تتوقّف عن متابعة المشي.

تَظَرَّ عزرا إليها باهتمام شديد، وقال: "مرحباً، أيتها الصديقة الجديدة".

انشقَّ الحشد الذي أمامنا فجأة، بينما سارت ثلاث فتيات على طول الممر بخطوات مثالية تقريباً، وكانت إحداهن شقراء، والأخرى ذات شعر داكن، والثالثة ذات شعر أحمر، ومن الواضح أنهن فتيات مهمات في ثانوية إيكو ريدج لدرجة أن الأمر استغرق مني ثانية لأدرك أن إحداهن هي بروك بينيت من ميدان الرماية في مزرعة الرعب، فتوقّفتُ فجأة عندما رأتنا وابتسمتُ ابتسامة مُرتبكة، ثم قالت: "اوه، مرحباً، هل اتصل مورف بكما؟".

قلت: "نعم، لقد فعل، ولدينا مقابلة نهاية هذا الأسبوع، شكراً جزيلاً لك".

تقدّمتُ الفتاة الشقراء إلى الأمام كأنها شخص اعتاد تولّي زمام الأمور، وكانت ترتدي زياً مثيراً، وهو عبارة عن قميص ذي ياقة تحت سترة ضيقة، وتنورة قصيرة منقوشة بنقوش مختلفة، وتنتعل حذاء ذا كعب عالٍ.

قالت: "مرحباً، أنتما توأم كوركوران، أليس كذلك؟".

أومأت إليها وعزرا بالإيجاب، فقد اعتدنا على سمعتنا السيئة المفاجئة. بالأمس بينما كنت أتسوّق من دكان البقالة برفقة نانا، خاطبتنا أمينة الصندوق التي لم أرها من قبل: "مرحباً نورا... وإليري" عندما جاء دورنا لدفع الحساب، بدّأت تطرح عليّ أسئلة عن كاليفورنيا طوال الوقت الذي كانت تعبئ فيه أشياءنا.

استكملت الفتاة الشقراء: "سمعنا كل شيء عنكما".

وتوقّفت عند هذا الحد، لكن نبرة صوتها تقول: وعندما أقول سمعنا كل شيء، أقصد قصة والدكما الذي هجركما بعد قضاء ليلة واحدة مع والدتكما، ومهنة والدتكما الفاشلة في التمثيل، وحادثة محل المجوهرات،

ودخولها مركز إعادة التأهيل. إنه أمر مثير للعجب، كم من الإحياءات يمكن جمعها في كلمة واحدة صغيرة.

ثم أضافت: "أنا كاترين نيلسون، وأعتقد أنكما قابلتما بروك، وهذه فيف"، مُشيرةً إلى الفتاة ذات الشعر الأحمر الواقفة إلى يسارها.

كان يجب أن أعرف، لقد سمعت اسم نيلسون باستمرار منذ أن وصلت إلى إيكو ريدج، وهذه الفتاة تبدو ملكة المدينة، إنها ليست بجمال بروك لكنها بطريقة ما أكثر إثارة للإعجاب. عيناها زرقاوان كريستاليتان، وتذكرانني بالقطط السيامية. تبادلنا جميعاً عبارات الترحيب، وبدا الأمر وكأنه نوع من الاختبار غير المريح، ربما بسبب النظرة التقييمية التي ترمقنا بها كاترين، كما لو أنها تحسب ما إذا كنا نستحق وقتها واهتمامها، وكان كل من في الممر يتظاهرون بالانشغال بخزائنهم بينما كانوا ينتظرون حكمها علينا.

رنّ الجرس فابتسمت، وهي تقول: "يمكنكما الانضمام إلينا على الغداء، فنحن نجلس على الطاولة الخلفية بجوار أكبر نافذة".

واستدارت من دون انتظار إجابة، وشعرها الأشقر يتناثر على كتفيها.

راقبهن عزرا وهن يغادرن، وقد ارتسم تعبير مرتبك على وجهه، ثم التفت إليّ وقال: "لدي شعور قوي بأنهن يرتدين اللون الوردى أيام الأربعاء".

لقد كان لدي أنا وعزرا الحصص نفسها في ذلك الصباح، باستثناء ما قبل الغداء مباشرة، فبينما أتوجّه إلى درس حساب التفاضل والتكامل، يذهب عزرا إلى درس الهندسة، فلم تكن الرياضيات المفضلة لديه، لذلك انتهى بي المطاف بالذهاب إلى الكافيتريا بمفردي.

كنت أشقّ طريقي عبر صف الطعام مفترضة أن عزرا سينضمّ إليّ في أي لحظة، لكن عندما خرجتُ بصينية ممتلئة، لم يكن عزرا قد حضر بعد.

وقفْتُ محتارة أمام صفوف الطاولات المستطيلة، أبحث في بحر الوجوه غير المألوفة، عندما سمعتُ أحدهم ينادي باسمي بصوت واضح وصریح، نظرتُ إلى أعلى، فرأيتُ كاترين تلوّح لي بذراعها، إنها تستدعيني، بدا الأمر كما لو أن الغرفة بأكملها تراقبني وأنا أشقّ طريقي إلى الجزء الخلفي من الكافيتريا، وكان هناك ملصق عملاق على الحائط بجانب طاولة كاترين، أمكنني قراءته وأنا في طريقي إليها:

احفظوا التاريخ

حفل العودة إلى المدرسة في الخامس من تشرين الأول!!!

صوّتوا الآن لملككم وملكتمكم

عندما وصلتُ إلى كاترين وأصدقائها، أفسّحتُ الفتاة ذات الشعر الأحمر، فيف، مجالاً لكي أجلس بجانبها على المقعد، فوضعتُ طبقي وجلستُ مقابل كاترين.

قالت كاترين: "مرحباً".

عيناها الزرقاوان الشبيهتان بعيني قطة تتفحصانني من الأعلى إلى الأسفل، وإن توجّب علي أن أرتدي ملابس متجر دالتون غداً، فستلاحظ بالتأكيد.

سألتني: "أين شقيقك؟".

أجبتها: "يبدو أنني أضعته، لكنه سيظهر في النهاية".

قالت كاترين: "سأراقبه إذاً".

حفرت ظفرها الوردي في برتقالة وأزالت جزءاً من القشرة، ثم أضافت: "يقتلنا الفضول لمعرفة المزيد عنكما أيها الرفيقان، فلم يلتحق بالمدرسة طلاب جدد منذ... لا أعلم، ربما منذ الصف السابع".

قوّمتُ فيف كتفيها، فبدت صغيرة وحادة النظر، وهي تضع أحمر شفاه وردي اللون لامعاً يتناسب بشكل مدهش مع شعرها، وقالت: "نعم، كنت أنا الطالبة الجديدة وقتها".

قالت كاترين: "حقاً؟ كان يوماً سعيداً".

ثم ابتسمت ولا يزال تركيزها عليّ: "لكن الانتقال إلى المدرسة في المرحلة الإعدادية شيء، والانتقال في مرحلة التخرج شيء آخر، إنه أصعب، خاصة عندما يكون كل شيء جديداً، كيف تجددين العيش مع جدتكما؟".

حسناً، على الأقل لم تسأل، مثل أمينة الصندوق في محل البقالة بالأمس، عما إذا كنت قد تركتُ شاباً وسيماً من هوليوود خلفي، والجواب هو لا بالمناسبة، لم أواعد أحداً منذ ثمانية أشهر.

أجبتها وعيناى تنظران صوب بروك: "إن العيش معها لا بأس به".

لم تقل شيئاً منذ أن رَحَّبْتُ بي عندما جلست.

ثم تابعت كلامي قائلة: "لكن الجو هادئ في الأرجاء، ماذا تفعلون لتمضية وقت مسلٍ؟".

كنت آمل أن أجذب بروك إلى المحادثة، لكن كاترين هي التي أجابت.

قالت وهي تشير إلى نفسها وإلى بروك: "نحن مشجعات، وهذا يأخذ الكثير من وقتنا في الخريف، أما أحياناً فيلعبون كرة القدم".

ثم نظرت بعينيها إلى بضع طاولات تبعد عن طاولتنا، حيث كان فتى أشقر يضع طبقه على الطاولة، وكانت الطاولة بأكملها عبارة عن بحر من السترات الرياضية باللونين البنفسجي والأبيض، عندما رآها الفتى غمز لها، وبالمقابل أرسلت كاترين له قبلة.

قالت: "هذا ثيو حبيبي، وحبیب بروك كایل، وهو يجلس بجواره، إنهما قائدان مشتركان".

لكنها لم تذكر أن فيف لديها حبيب، ما جعلني أشعر بموجة صغيرة من التضامن مع اتحاد الفتيات العازبات! لكن عندما ابتسمت لفيف، رمقتني بنظرة باردة، وفجأة انتابني شعور بأنني تطرقت إلى موضوع لا تفصل مشاركته مع أحد.

قلتُ بهدوء: "هذا يبدو ممتعاً".

لم أكن أبداً جزءاً من جمهور كرة القدم والمشجعين، على الرغم من أنني أقدّر الروح الرياضية والرشاقة.

قالت فيف: "قد لا تكون إيكو ريدج مثل هوليوود، لكنها ليست مملة".

لم أزعج نفسي بتصحيح كلام فيف وقول إن لا بوينتي على بعد أربعين ميلاً خارج هوليوود، إذ يفترض الجميع في إيكو ريدج أننا كنا نعيش وسط موقع تصوير أفلام، ولن يقنعهم أي شيء بخلاف ذلك.

قلت: "لم أقل إنها مملة، ولكن يمكن القول إن الكثير من الأمور تحصل هنا".

بدت فيف غير مقتنعة، لكن بروك تكلمت أخيراً وقالت: "لا شيء من هذه الأمور جيد".

كانت عيناها تلمعان وهي تستدير نحوي، وبدا أنها في حاجة ماسة إلى ليلة كاملة من النوم.

ثم خاطبته: "جدتك وجدت السيد بومان، أليس كذلك؟".

أوماًتُ إليها برأسي، وبدأتُ الدموع تنهمر على خديها الشاحيين.

تناولتُ كاترين قطعة من البرتقال ورّبت على ذراع بروك، وقالت: "عليك بالتوقف عن الحديث عنه يا بروك".

تنهّدت فيف تنهيدة دراميّة: "لقد كان أسبوعاً مروّعاً، أولاً السيد بومان، ثم كل ذلك التخريب المتعمد الذي ظهر في جميع أنحاء المدينة".

كانت نبرتها قلقة لكن عينيها تكاد تغمرهما اللهفة وهي تضيف: "سنُنشر كل هذه الأخبار في الجريدة المدرسية. ملخص ما كان يجري طوال الأسبوع، جنباً إلى جنب مع قصص الطلاب الخريجين هذا العام، وهم يتحدّثون عما تبدّل في حياتهم منذ خمس سنوات حتى الآن، إنها نوع الأحداث التي قد تلتقطها الأخبار المحلية".

ثم نظرت إلي نظرة دافئة وقالت: "يجب أن أجري مقابلة معك، لقد وجدتِ الكتابة على الجدران في المركز الثقافي، أليس كذلك؟ أنتِ ومالكولم".

أجبتها: "نعم" كان الأمر مروّعاً، لكن ليس بقدر ما حصل في المقبرة، فقد شعرتُ بالغبثان عندما سمعت القصة، خاصة عندما حاولت تخيّل شعور عائلة كيلدوف".

قالت فيف: "الأمر برّمته مرّوع".

ثم استدارت نحو كاترين وبروك وأضافت: "آمل ألا يحدث شيء سيئ عندما تُعلن أسماؤكما يوم الخميس المقبل".

سألته باستغراب: "إعلان ماذا؟".

قالت فيف وهي تشير إلى ملصق حفل العودة فوق كتف بروك: "سيعلمون عن أفراد محكمة حفل العودة إلى المدرسة خلال الاجتماع

المدرسي الصباحي يوم الخميس المقبل، والجميع يقوم بالتصويت، هل نزلت تطبيق ثانوية إيكو ريدج؟ التصويت في القائمة الرئيسية للتطبيق".

أجبتها: "لا، ليس بعد".

قالت فيف: "من الأفضل لك الإسراع، ينتهي التصويت الأربعاء المقبل، على الرغم من أن معظم أفراد اللجنة معروفون من الآن، فمن المضمون فوز كاترين وبروك".

قالت كاترين بلطف: "قد يتم ترشيحك أيضاً يا فيف".

على الرغم من أنني قابلتها للتو، لكن يمكنني القول إنها لا تعني ما تقوله.

أجابت فيف: "لا شكراً، لا أريد أن أكون على لائحة مجرم غريب الأطوار عاد لينتقم من جديد".

سألتها بفضول: "أتظنين حقاً أن هذا فحوى الأمر؟".

أجابتنني بإيماءة.

لقد كنت أفكر في أعمال التخريب من دون توقّف تقريباً خلال اليومين الماضيين، وأتوق إلى مشاركة نظرياتي، حتى ولو مع فيف.

قلت: "هذا بالتأكيد ما يريده القاتل أن نطئه، فالأمر مزعج بحد ذاته، أما أنا فما زلت أتساءل: حتى لو كنت وقحاً بما يكفي لتفلت من جريمة قتل، فكيف تتفاخر بفعل ذلك مرة أخرى بعد خمس سنوات؟ إلا أن طريقة العمل بدت مختلفة تماماً".

قالت كاترين: "طريقة العمل؟".

أجبتها بحماسة: "نعم، طريقة العمل، كما تعلمين الطريقة التي يستخدمها شخص ما لارتكاب جريمة، لقد تعرّضت لاسي للخنق، وهذه طريقة شخصية وعنيفة للغاية لقتل شخص ما، وليس من المحتمل أن تكون مع سبق الإصرار. أما هذه التهديدات فهي علنية وتتطلب التخطيط، بالإضافة إلى أنها غير مباشرة، بالنسبة إليّ، يبدو الأمر وكأنه تقليد، ولا أقصد القول إن هذا الشخص ليس خطيراً، لكنه قد يكون خطيراً بطريقة مختلفة".

كانت هناك لحظة صمت على الطاولة، حتى قالت كاترين: "هاه"، وهي تتناول شريحة من البرتقال، وهي تمضغ الشريحة بعناية، وعيناها مثبتتان في مكان ما فوق كتفي. وعلي ما أعتقد، فقد طردتني من جماعتها الشعبية، ولم يستغرق ذلك وقتاً طويلاً. لقد حذرني عزرا مئة مرة: "لا أحد يريد أن يسمع نظريات جرائم القتل خاصتك يا إليري".

من المؤسف أنه ليس معي لتناول الغداء.

ثم ظَهَرَ على وجه كاترين تعبير جديد، تعبير منزِع ومتسامح في الوقت نفسه، وقالت: "سوف تُطرد من المدرسة يوماً ما لارتدائك هذا القميص".

استدرتُ لأرى مالكولم كيلى يرتدي قميصاً رمادياً باهتاً مع كتابة "KCUF" على الجهة الأمامية بأحرف كبيرة.

أجابها: "لم يحدث ذلك بعد".

استطعتُ رؤيته بوضوح تحت أضواء كافتيريا ثانوية إيكو ريدج الساطعة، أفضل بكثير مما فعلت في المركز الثقافي، وكان يرتدي قبعة بيسبول بشكل معكوس، وشعره البني أشعث، وقد عرفني عندما التقت عيناها الواسعتان بعيني، فلوَّح لي بيده، وكادت الحركة تجعله يُسقط طبقه على الأرض، فكان الأمر محرّجاً، لكنه بدا لطيفاً أيضاً.

"أنا آسفة".

هذا ما قالته فيف بينما ابتعدَ مالكولم، فكانت أضعف نبرة اعتذار سمعتها في حياتي.

ثم أكملتُ: "لكنني أجد أنه من المثير للشبهات أن أول شخص رأى كلا التهديدين هو شقيق ديكلان كيلى الغريب الأطوار، فهناك أمر مريب في ذلك".

تنهَّدتُ كاترين، كما لو أنهن خضن هذه المحادثة عشرات المرات على الأقل من قبل، ثم قالت: "أوه فيف، إن مالكولم على ما يرام، إنه مهووس بالدراسة نوعاً ما لكنه على ما يرام".

ظَلَّتُ بروك هادئة لفترة طويلة لدرجة أنها عندما تَطَلَّقتُ، تفاجأ الجميع: "لا أظن أنه مهووس بالدراسة، ربما كان كذلك ولكنه أصبح وسيماً

في الفترة الأخيرة، وإن لم يكن بوسامة ديكلان".

ثم أخفضت رأسها مرة أخرى وبدأت تلعب بملعقتها بفتور، كما لو أن المساهمة في المحادثة استنزفت كل طاقاتها.

تَظَرَّتْ كاترين إلى بروك نظرة تأملية، وقالت: "لم أدرك أنك لاحظتِ يا بروك".

أدرتُ رأسي بحثاً عن مالكولم، فرأيتَه جالساً مع تلك الفتاة ميا وأخي معهما، لم أتفاجأ، حيث يمتلك عزرا موهبة الاندماج مع أي شريحة اجتماعية يقرّر الانضمام إليها، على الأقل سيكون لديّ أشخاص آخرون لأجلس برفقتهم عندما لا تتمّ دعوتي مرة أخرى إلى طاولة كاترين.

قالت فيف: "هذا هراء، إنه ليس وسيماً، وديكلان يجب أن يكون في السجن".

سألتهَا: "هل تظنّين أنه قتل لاسي كيلدوف؟".

فأومأت إليّ برأسها.

قالت كاترين وعلامات الحيرة على وجهها: "لكن ألم تقولي للتو إن من قتل لاسي هو الذي يترك تلك التهديدات في جميع أنحاء المدينة؟ ديكلان يعيش في ولاية أخرى".

اتكأْتُ فيف بمرفقها على الطاولة، وحدّقتُ إلى صديقتها، وعيناها مفتوحتان، وقالت: "أنت تعيشين مع عائلة كيللي ولا تعرفين؟".

عَبَسَتْ كاترين وقالت: "أعرف ماذا؟".

انتظرت فيف بضع ثوان لكي يكون للكلام وقع أكبر، ثم ابتسمت وقالت: "عاد ديكلان كيللي إلى المدينة".

الفصل السابع

مالكولم

الاثنين، 9 أيلول

في إيكو ريدج حانة واحدة، ويمكن القول إن نصفها فقط في إيكو ريدج لأنها تقع مباشرة على حدود سولزبيرري المجاورة، وعلى عكس معظم الأماكن في إيكو ريدج، تتمتع حانة بوكوفسكي بميزة جيدة وهي ترك الناس بمفردهم، فلا يقدمون الخدمات إلى القاصرين، لكنهم لا يطلبون الهويات عند الدخول، هذا هو المكان الذي قابلت فيه ديكلان بعد ظهر يوم الاثنين، وذلك بعد قضاء اليوم الأول من المدرسة متظاهراً بأني كنت أعرف أن أخي كان في المدينة. لا يبدو أن حانة بوكوفسكي تنتمي إلى إيكو ريدج، إنها صغيرة ومظلمة وفيها بضع طاولات متناثرة في جميع أنحاء الغرفة، ولوح سهام وطاولة بلياردو في الخلف، وهي تخلو من أي مظهر من مظاهر الجمال أو الجاذبية.

قلتُ وأنا أجلس في المقعد مقابل ديكلان: "أما أمكنك أن تنذرني أنك في المدينة؟".

كان هدفي أن أتكلم مباحراً، لكن الكلام لم يبدُ كذلك.

قال ديكلان: "مرحباً بك أيضاً، يا أخي الصغير".

لقد رأيتُه منذ أقل من أسبوع، لكنه يبدو الآن، أكبر مما كان عليه في شقة العمة لين في الطابق السفلي، ربما لأن ديكلان كان دائماً ذا أهمية وشهرة واسعة في إيكو ريدج، ولا يعني ذلك أننا كنا نتسكع في بوكوفسكي أو أي مكان آخر من قبل. خلال أيام المدرسة الابتدائية، عندما كان والدي يحاول إجباري على لعب كرة القدم، كان ديكلان يتنازل أحياناً للعب معي، ومع ذلك كان يشعر بالملل بسرعة، وكلما فاتتني الكرة، كان يرميها بقوة

أكبر، وعندما لا أحاول الإمساك بها، وأرفع يديّ لحماية رأسي، كان يتبرّم من ردّ فعلي، وهو يقول: "ما الخطب؟ أنا لا أحاول أن أضربك، وعليك أن تثق بي".

كان يقول ذلك وكأنه يحاول أن يكسب ثقتي.

قال ديكلان: "هل ترغب في شرب شيء ما؟".

أجبت: "أريد كولا".

لوّح ديكلان بيده لنادلة عجوز ترتدي قميصاً أحمر باهتاً، كانت تنظّف صناديق الجعة خلف المنضدة.

قال لها عندما وقفت أمام طاولتنا: "أريد اثنين من الكولا، لو سمحت".

أومأت إليه برأسها من دون أدنى اهتمام، فانتظرتها حتى ابتعدت، وسألته: "ماذا تفعل هنا؟".

أجاب ديكلان: "أنت تقول ذلك وكأنني انتهكت أمراً تقيدياً، إننا في دولة حرّة".

قلت له: "نعم، ولكن...".

توقّفت عن الكلام ما إن اقتربت النادلة ووضعت أمامنا المناديل وكوبين كبيرين من الكولا مع مكعبات الثلج.

كاد هاتفني ينفجر من كثرة الاتصالات أثناء الغداء بسبب انتشار خبر عودة ديكلان إلى إيكو ريدج، وكان يدرك تمام الإدراك أن ذلك سيحصل، كما يعرف بالضبط ردّ الفعل الذي سيثيره قدومه.

مالَ ديكلان إلى الأمام، واتكأ بذراعيه الضخمتين على الطاولة، فهو يعمل في مجال البناء عندما لا يكون عليه حضور صفوفه وإتمام دروسه، وهذا يجعله محافظاً على لياقته الجسدية، حتى إنه بدأ بحالة أفضل مما كان عليها عندما كان يمارس كرة القدم في المدرسة الثانوية.

قال بصوت منخفض، على الرغم من أن الشخصين الآخرين في بوكوفسكي كانا رجلين متقدّمين في السن ويعتمران قبعتي بيسبول

ويجلسان في نهاية الحانة: "لقد سئمت من معاملتي بصفتي مجرمًا، يا مال، لم أفعل شيئًا، أتدرك ذلك؟ أم أنك لا تصدّقي أيضاً؟".

أجبتة: "بالطبع أصدّقك، ولكن لماذا عدت الآن؟ لقد عادت ديزي أولاً، ثم عدت أنت بعدها، ما الذي حصل؟".

ظَهَرَتْ ملامح العبوس على وجه ديكلان عندما ذكرْتُ ديزي، ولكنها كانت ملامح خاطفة لدرجة أنني لم أكن لألاحظها تقريباً.

ثم قال لي: "أنا لم أعد، مال، ما زلت أعيش في نيو هامبشاير، جئت لرؤية أحدهم، وهذا كل شيء".

سألته: "من الذي تريد أن تراه؟ ديزي؟".

تنفّسَ ديكلان الصعداء، وقال: "لماذا أنت مهووس بديزي؟ هل ما زلت تكنّ مشاعر لها؟".

أجبتة: "لا، أنا فقط أحاول فهم ما يحصل، لقد رأيتك الأسبوع الماضي، ولم تقل إنك قادم، كما أن توقيتك سيئ نوعاً ما، في ظلّ كل هذا الهراء الذي يحصل في المدينة".

قال ديكلان: "وما علاقة ذلك بعودتي؟".

ثم ظَهَرَتْ على وجهه ملامح الغضب عندما تردّدت في الإجابة.

تابع كلامه قائلاً: "لحظة، هل أنت جاد؟ هل يظنّ الناس أن لي علاقة بما يجري؟ وماذا بعد ذلك؟ هل أنا المسؤول عن الاحتباس الحراري أيضاً؟ اللعنة، مال".

نظر أحد الرجلين المسنين الجالسين في الحانة إلينا، بينما كان ديكلان يسند ظهره إلى الكرسي، والغضب يرتسم على وجهه.

"لا بد أن أصحّح معلوماتك لنكون واضحين، لم أحضر إلى البلدة من أجل كتابة شعارات مريبة على اللافتات والجدران أو في أي مكان آخر".

صحّحتُ كلامه، قائلاً: "بل على القبور".

"أينما كانت لا يهمني".

أنا أصدقه، فلا يوجد عالم مُحتمَل يقوم فيه أخي المتهوّر بالباس ثلاث
دمى فساتين ملكات حفل العودة إلى المدرسة، وربطها بضريح، ومن
الأسهل تخيله وهو يضع يديه حول عنق لاسي ويخنقها.

يا للهول! ارتجفتُ يدي وأنا أمسك بكوبي، لا أصدّق أنني فكرتُ في
ذلك.

ارتشفت رشفة طويلة وبلعتها بسرعة، ثم قلت: "حسناً لماذا جئت؟
وإلى متى ترغب في البقاء؟".

شرب ديكلان كوب الكولا بأكمله ثم أشار بيده للنادلة.

"أحضري كأساً من الويسكي وكوب كولا، لو سمحت".

جالت نظراتها بيننا، ثم قالت: "أرني هويتك أولاً".

تردّد ديكلان للحظة قبل أن يعطيها الهوية، ثم قال: "أتعلمين؟ انسي
الأمر، أريد الكولا فقط".

هزّ ديكلان برأسه وكأنه يشمئز من نفسه ومن كلّ ما يجري حوله،
وقال: "هل رأيت ما فعلته للتو؟ تراجعت عن تناول المشروب، على الرغم
من أنني أرغب في ذلك، لأنني لا أشعر برغبة في الكشف عن اسمي لامرأة
لا أعرفها، وهذه هي حال حياتي اللعينة".

سألته: "حتى في نيو هامبشاير تخفي اسمك؟".

كان أحد المسّيين في الحانة يواصل التحديق إلينا، لا يمكنني معرفة
ما إذا كان السبب أنني دون السن القانوني أو...

أجابني ديكلان: "في كل مكان".

صمّت مرة أخرى بينما كانت النادلة تضع مشروب الكولا على
الطاولة، ثم رفع الكأس نحوي وكأنه يشرب نخباً.

ثم قال: "أتعلم، أنت وأمي أمور كما جيدة هنا يا مال، بينما بيتر
يتجاهلني، وكأنني غير موجود. إنه يحسن معاملتكما يا رفيقي، وربما
سيضمن لك مقعداً في الجامعة".

إنه على حق، الأمر الذي جعلني أشعر بالذنب، فقلت له: "يقول بيتر إنه تحدّث إلى السيد كوتس من أجل تأمين وظيفة لك".

إلا أن بن كوتس كان رئيس بلدية إيكو ريدج عندما توفّيت لاسي، وقد تمّ إجراء مقابلات عدّة مع ديكلان من أجل استجوابه حول الحادثة، وكان يقول دائماً إنه عمل مأساوي عشوائي، وقد ارتكبه شخص فاسد ومنحرف.

ضحك ديكلان، وقال: "أضمن لك أن كل هذا مجرد هراء".

قلت له: "لا، لقد اجتمعا معاً في عطلة عيد العمال".

قال: "بالتأكيد، وربما ذكرنا اسمي أيضاً، ولكن فكرة توظيفي ستكون بمثابة انتحار مهني له، وهذا ما سيكون عليه الأمر، مال، لن أكون مصدر إحراج بالنسبة إلى بيتر، فلا أريد أن أحدث شرخاً بينه وبين أمي أو بينه وبينك، وسأبتعد عن طريقكما".

قلت له: "لا أريدك أن تبتعد عني، أريد فقط أن أعرف لماذا عدت".

لم يُجب ديكلان على الفور، لكنه عندما تكلم، بدا متعباً: "أتعلم ما حدث بيني وبين لاسي قبل موتها؟ لقد فقدنا الاهتمام ببعضنا البعض لأننا نضجنا، لكننا لم نكن نعرف ذلك، لأننا كنا مراهقين غبيين، كنا معاً إلى الأبد، واعتقدنا أنه من المفترض أن نبقى على هذا النحو، ولو كنا شخصين عاديين، لكننا توصلنا في النهاية إلى الانفصال وإنهاء العلاقة من دون مشاكل، ولاستمرّ كل منا بمتابعة حياته حتى يجد الشخص المناسب له، هكذا كان يجب أن تنتهي الأمور".

تَهَضَّ الرجل الذي كان يحدّق إلينا وسار باتجاهنا، وعندما اجتاز نصف الحانة، أدركت أنه لم يكن عجوزاً كما اعتقدت، وربما كان في أوائل الخمسينات.

نهض ديكلان فجأة، ووضع الحساب على الطاولة، وقال: "يجب أن أذهب الآن، لا تقلق، حسناً؟ كل شيء سيكون على ما يرام".

مشى ديكلان أمام الرجل، الذي استدار نحوه، وقال: "مرحباً، هل أنت ديكلان كيلبي؟".

واصلَ ديكلان طريقه نحو الباب، فرَفَعَ الرجل صوته قائلاً: "أنت، إنني أتحدّث إليك".

أمسك ديكلان بمقبض الباب، وقال: "أنا لا أحد"، ثم اختفى في الخارج.

لم أكن متأكداً مما قد يفعله الرجل، هل سيستمّر بالتقدم نحوّي؟ ربما يفعل، أو سيتبع ديكلان إلى الخارج؟ لكنه هزّ بكتفيه وتوجّه نحو المشرب مستقراً على كرسيه، فمالَ صديقه نحوه، وتمتمّ كلاماً لم أفهمه، ثم ضحكا، فأدركتُ عندما أنهيتُ مشروبي بصمت، كم أن حياة ديكلان صعبة وغير مستقرة! وبعد نصف ساعة، كنت في طريقي إلى المنزل، لأنه لم يخطر ببال أخي قبل خروجه أن يسألني إذا كنت أحتاج إلى توصيلة، فمررت بمنزل لاسي القديم، وعندها لاحظتُ أمامي على بعد أمتار قليلة أحداً يجرّ حقيبة كبيرة خلفه على الطريق. عندما اقتربتُ منه بما يكفي ألقى التحية، فعرفت هوية هذا الشخص الذي رأيته من بعيد.

"هل ستغادرين المدينة؟"

استدارت إليري كوركوران بينما ارتطمت عجلات حقيبتها بحجر على الأرض، ما جعلها تتعثّر وتكاد تقع، ثم ثبتت في مكانها وقد استعادت توازنها بسرعة، ووقفت إلى جانب حقيبتها، وبينما كانت تنتظر اقترابي منها، سحبتُ شعرها إلى الخلف وعقدته بسرعة كبيرة، وبالكاد رأيتُ يديها تتحرّكان، فكانت حركاتها رشيقة ومرنة وساحرة.

قالت: "فقدت أمتعتي في المطار منذ أكثر من أسبوع، وقد أرسلت إلى منزل جيراننا، وأنا تسلمتها منهم للتو".

قلت لها: "هذا سيئ، ولكنك على الأقل وجدتها".

ثم أشرتُ إلى الحقيبة وسألتها: "أحتاجين إلى مساعدة في جرّها إلى المنزل؟".

أجابتنني: "لا شكراً، فمن السهل جرّها، ومنزل جدتي قريب من هنا".

هتّ نسيم تلاعب بخصلات شعر إليري التي تناثرت على وجهها الذي بدا شاحباً جداً، وقد برزت عظام وجنتيها الحادة لدرجة أنها كانت ستبدو قاسية الملامح، لو لم تكن عيناها سوداوين وكبيرتين ومائلتين قليلاً عند طرفيهما، بالإضافة إلى رموشها الطويلة والكثيفة للغاية لدرجة أنها بدت اصطناعية، ولم أدرك أنني أتفحصها حتى قالت: "ما الأمر؟".

وضعتُ يدي في جيبي وقلت: "أنا سعيد للقاءك، وقد أردت أن أشكرك على كتمانك ما رأيته ذلك اليوم في حفلة جمع التبرعات، ولأنك لم تفترضني أنني الجاني".

ابتسمت ابتسامة خفيفة ظهرت على طرفي فمها، وقالت: "لا أعرف الكثير عن المخربين، لكنني أتخيل أن معظمهم لا يبدون مرعوبين جداً من أعمالهم السيئة التي ارتكبوها".

قلت: "حسناً، إنه من السهل افتراض أنني الفاعل، فأغلب أهل البلدة يظنون ذلك، وهذا مسيء جداً بالنسبة إليّ".

قالت ببرود وكأننا نتحدّث عن الطقس: "لأن شقيقك مشتبه به في جريمة قتل لاسي؟".

أجبتها: "نعم".

تابعنا سيرنا وأنا أفكر في إخبارها عن لقائي ديكلان، فقد كان لديّ دافع قوي وغريب إلى فعل ذلك، ربما لأنني كنت أشعر بالضيق منذ أن غادرتُ حانة بوكوفسكي، ولكن لا جدوى من إخبارها لأن ذلك سيكون بمثابة إسراف في الكلام. لذلك اكتفيت بالقول: "لقد سبق وقابلتُ والدتك، عندما عادت إلى البلدة لحضور جنازة لاسي، وكانت لطيفة جداً".

لم تكن كلمة لطيفة تعبيراً دقيقاً، فقد كانت سادي كوركوران كتلة من الحيوية، وقد اجتاحت المدينة وصعقت الجميع، حتى في أثناء الحداد، شعرتُ بأنها تعتبر إيكو ريدج مسرحاً كبيراً، لكنني لم أمانع مشاهدة أدائها، فقد كنا جميعنا بحاجة إلى نوع من التشثيت الذهني.

قالت إليري: "من المضحك كيف يتذكّر الجميع سادي هنا، فأنا متأكدة من أنني أستطيع زيارة كل بلدة عشتُ فيها، ولن يلحظ أحد وجودي".

قلت لها: "لا أظنّ ذلك، هل تنادين والدتك باسمها الأول؟".

أجابتنني بالبرود نفسه: "نعم، اعتادت أن تجعلنا نتظاهر بأنها أختنا الكبرى عندما خضعت لاختبارات الأداء، واستمرّ الأمر كذلك، لأن أمّهات الأطفال قبل دخولهم المدرسة، لا يُعتبرن مثيرات بشكل خاص في هوليوود".

سمعنا هدير محرّك خلفنا، وبدا صوته ضعيفاً في البداية، ثم أصبح قوياً لدرجة أننا استدرنا في اللحظة نفسها.

سطع وميض المصابيح الأمامية من السيارة المتجهة بسرعة كبيرة نحونا، فأمسكْتُ بذراع إليري لإبعادها عن الطريق، فاختلَّ توازنها بعد أن أفلتت قبضتي صارخة، ما إن سَقَطَتْ الحقيبة في مسار السيارة القادمة.

سمعنا صرير الفرامل، ثم توقَّفت عجلات سيارة البي أم دبليو ذات اللون الأحمر الساطع أمام الحقيبة.

أخرجت كاترين رأسها من النافذة الجانبية، وقد كانت ترتدي سترة التشجيع الأرجوانية، بينما بروك تجلس في المقعد الأمامي بجانبها. فَتَظَرَّتْ كاترين إلى الحقيبة بينما كنت التقطها من الأرض وأعيدها إلى بر الأمان.

سألتني: "هل أنت ذاهب إلى مكان ما؟".

أجبتها: "بالله عليك يا كاترين، كدتِ تدهسينا".

قالت بسخرية: "ولكنني لم أفعل ذلك".

أَحَدْتُ إليري مقبض الحقيبة مني، بينما نظرتِ كاترين إليّ متجهمة، وقالت: "هل هذه حقيبتك يا إليري؟ لن تنتقلي مجدداً، أليس كذلك؟".

أجابت إليري: "لا، إنها قصة طويلة وسأرويها لك لاحقاً".

وبدأت إليري بدحرجة الحقيبة الضخمة باتجاه التلة العشبية إلى أن وصلت إلى أمام منزل جدتها، وقالت: "أنا تقريباً وصلت، أراكم لاحقاً، يا رفاق".

قلت لها: "أراك غداً"، بينما لوَّحت كاترين لها، وقالت: "وداعاً"، وهي تتصنَّع المودة.

ثم صفقت باب السيارة براحة يدها، ونظرت إليّ بعينيها الجاحظتين، وقالت: "إنك تخفي الأسرار عني، فلم تخبرني بأن ديكلان عاد إلى المدينة".

أجبتها: "لم يكن لديّ أدنى فكرة عن عودته حتى اليوم".

نظرت كاترين إليّ نظرة شكٍّ، فمالت بروك إلى الأمام في مقعدها، وهي تسحب كمّي سترتها التشجيعية الأرجوانية إلى معصمها، كما لو أنها

شعرت بلسعة برد.

تَفَلَّتْ عيناها بيني وبين كاترين، بينما سألتني كاترين: "هل تتوقَّع مني أن أصدِّق ذلك؟".

شعرتُ بالغضب الشديد، وقلت لها: "لا يهمني إن كنت تصدِّقيني أم لا، فأنا أقول الحقيقة".

أختي غير الشقيقة وأخي ليسا على اتصال ببعضهما، فلم يحضر ديكلان حفل زفاف والدتنا وبيتر، كما أنه لا يقوم بزيارتنا، بالإضافة إلى أن كاترين لم تذكر اسمه ولا حتى مرة واحدة طوال الأشهر الأربعة التي عشناها معاً.

بَدَتْ غير مقتنعة بكلامي، ولكنها أشارت برأسها إلى المقعد الخلفي، وقالت: "اركب، سنوصلك إلى المنزل".

ثم استدارت نحو بروك، وقالت بصوت عالٍ بما يكفي لسماعتها: "على الرحب والسعة".

تأفَّفت بروك بانزعاج، ولا أعرف لماذا، فلم يكن لديّ الفضول لأسألها، كما كانت كاترين في أمقت حالاتها المزاجية، ولكنني قد تعبتُ من المشي، لذلك جلست في المقعد الخلفي، وبالكاد أتحت لي فرصة إغلاق الباب، حتى داست كاترين دواسة البنزين وانطلقت مسرعة.

سألتني: "حسناً ما الذي يفعله ديكلان هنا، على أي حال؟".

أجبتها: "لا أعرف".

ثم أدركتُ أن ما أزعجني بعد إجراء المحادثة التي استمرَّت نصف ساعة مع ديكلان، منذ أن غادرتُ حانة بوكوفسكي، ليس لأنني لم أكن أعرف بعودته إلى البلدة فقط، بل لأنه تجنَّب الإجابة عن كل سؤال من أسئلتني أيضاً.

الفصل الثامن

إليري

الاثنين، 9 أيلول

بمجرد أن أغلقتُ الباب خلفي في منزل نانا، جنوت على ركبتي بجانب حقيبتِي، وأنا أتلمّس سحابها، وما إن فتحتها حتى بدا كل ما في داخلها في حالة فوضى عارمة، فقد تبعثرت الملابس ومستحضرات التنظيف واختلطت ببعضها، ولكنها بدت كلها مألوفة بشكل رائع لدرجة أنني جمعتُ ما استطعت حمله من الإغراض بين ذراعي، وضممتها إلى صدري بضع ثوان.

وَوَقَفْتُ نانا في المدخل بين المطبخ والقاعة، وقالت: "أيمكن القول إن كل أغراضك في الحقيبة؟".

أجبتها وأنا أمسك بسترتي المفضلة: "نعم، يبدو كذلك".

أُجِهتُ نانا إلى الطابق العلوي من دون أن تنطق بكلمة، فلمحنتُ وميضاً أحمر اللون منبعثاً من ملابسِي الداكنة: إنها الحقيبة الصغيرة المخملية التي تحتوي على مجوهراتي.

نثرتُ محتوياتها على الأرض، وتناولت قلادة من بين كومة المجوهرات، فكانت سلسلتها الرفيعة تحمل زينة فضية تشبه الزهرة، ولكن إن تفحصتها عن كثب تدرك أنها خنجر.

قالت سادي عندما أعطتني إياها في عيد ميلادي قبل عامين: "هذه السلسلة من أجل مدمنة جرائم القتل المفضلة لدي".

كنت أتمنى لو أنها تسألني عن سبب انجذابي إلى مثل هذه القضايا، فربما أمكننا خوض محادثة حقيقية عن سارة، لكنني أعتقد أنه كان من

الأسهل إهدائي الإكسسوارات فقط، فقمْتُ بثبِيت الخنجر حول رقبتِي عندما نزلت نانا الدرج، وهي تحمل حقيبة تسوق تتدلى من ذراعها.

قالت: "يمكنك إحضار أشياءك إلى الطابق العلوي لاحقاً، أريد زيارة متجر دالتون قبل العشاء للتسوق".

نظرتُ إليها نظرة استغراب، فقالت: "فلنُعد الملابس التي اشتريتها لك الأسبوع الماضي، فقد لاحظتُ أنك كنتِ تستعيرين من أخيك بدلاً من ارتدائها".

احمّرت وجنتاي، ثم قلت: "أوه، حسناً، أنا فقط...".

قالت نانا وهي تحضر مفاتيحها المعلقة على الحائط: "لا بأس، فأنا ليس لديّ إلمام بما يرتديه المراهقون، ولكن لا يوجد سبب لترك هذه الملابس تذهب سدى، في الوقت الذي يمكن أن يستفيد منها شخص آخر".

مشيتُ خلفها، وقلت: "هل سيرافقنا عزرا؟".

أجابتنِي: "لقد خرج للتنزه، أسرعِي، فأنا أريد أن أعود باكراً لأعدّ العشاء".

بعد قضاء عشرة أيام مع جدتي، لا أزال أجهل بعض الأمور عنها، والتي تبدو غريبة نوعاً ما.

ستقود جدتي مسافة خمسة عشر ميلاً من دون تجاوز الحد الأقصى المسموح للسرعة طوال الطريق إلى دالتون، وسنعود إلى المنزل قبل أن تصبح الساعة السادسة بأربعين دقيقة على الأقل، لأن ذلك هو الوقت الذي نتناول فيه الطعام، ولا تحبّ نانا الإسراع في الطهو، كما سنتناول البروتين والكربوهيدرات والخضروات، وتتوقع نانا منا أن نكون في غرفنا بحلول الساعة العاشرة مساءً، وهو ما لم نحتجّ عليه، لأنه ليس لدينا ما نفعله. لقد ظننتُ أنني سأستاء من الروتين اليومي ومن تكرار ما نفعله يومياً، لكن هناك ما يريح في روتين نانا، مقارنةً بالأشهر الستة الماضية التي أمضيها برفقة سادي، خاصة بعد أن وُجِدَتْ طبيباً يمنحها وصفة الفيكوڤين الخاصة بها بشكل متواصل، مما جعلها تنتقل من كونها مشنّنة وغير منظمة نوعاً ما إلى شخص فوضوي تماماً. لقد اعتدْتُ أن أتجوّل في شقتنا عندما كانت تتأخّر في العودة إليها، وأنا أكل المعكرونة بالجبن، وأتساءل، ماذا سيحلّ بنا إذا لم تعد إلى المنزل؟ أخيراً تحقّقت مخاوفي ذات ليلة، ولم تعد إلى المنزل أبداً.

انطلقت سيارة السوبارو على مهل باتجاه متجر دالتون، وهذا منحني متسعاً من الوقت للتحديق عبر النافذة إلى الأشجار الهزيلة التي تصطف على جانبي الطريق، وقد تناثرت أوراقها الصفراء على الأرض، وتمازج بعضها وأوراقها الخضراء النضرة.

قلت: "لم أكن أعرف أن الأوراق تتغير ألوانها خلال هذا الوقت المبكر".

إنه التاسع من أيلول، أي بعد أسبوع من عيد العمال، ولا تزال درجة الحرارة دافئة ولا تزال في فصل الصيف تقريباً.

قالت نانا بصوتها الذي يشبه نبرة المعلمة الجادة: "هذه أشجار رماد خضراء، تتغير في وقت مبكر، فلدينا طقس معتدل تتغير فيه ألوان أوراق الأشجار في مثل هذا الوقت من العام، وتكون الأيام دافئة والليالي باردة، وستلاحظين ظهور اللون الأحمر والبرتقالي خلال أسابيع قليلة".

لقد كانت إيكو ريدج إلى حد بعيد أجمل مكان عشت فيه على الإطلاق، فكل منزل تقريباً واسع وتتم صيانته جيداً، وهندستها المعمارية مثيرة للاهتمام، كما تم تشذيب الأشجار وجرّ الأعشاب في المروج حديثاً، وأحواض الزهور بدت نظيفة ومتناسقة، وجميع المباني في وسط المدينة من الطوب الأحمر، وذات نوافذ بيضاء ولافتات جميلة، ولا يوجد سياج معدني من الشبك أو متاجر سيفين إيليفين في الأفق، حتى محطة الوقود تبدو جميلة وذات مظهر تقليدي. أستطيع أن أرى الآن لماذا شعرت سادي بأنها محاصرة هنا، ولماذا تتجوّل ميا في المدرسة، كما لو أنها تبحث عن منفذ للهروب.

رَنّ هاتفي فكانت رسالة من لورد، تريد أن تطمئنّ على حالي، وتسألني عن مصير أمتعتي، وعندما أخبرتها بأنني استعدتُ حقيتي، أرسلت لي الكثير من الصور الاحتفالية المتحركة لدرجة أنني كدتُ أفوت كلمات جدتي التالية:

"مستشارتك الإرشادية اتّصلت بي".

تصلّبتُ في مقعدي، وأنا أحاول تخيّل حجم الخطأ الذي ارتكبته في اليوم الأول من المدرسة، فأضافتُ نانا قائلة: "لقد كانت تراجع تقريرك المدرسي وقالت أن درجاتك ممتازة، لكنها لم تجد بينها سجل يظهر خوضك اختبار القبول الجامعي".

أجبتها: "حسناً، هذا لأنني لم أخض أي اختبار أساساً".

قالت: "عليك بتقديم الطلبات هذا الخريف، ألم تقومي على الأقل بأي تحضيرات لذلك؟".

قلت لها: "لا، لا أظن... أنا أعني..".

ثم تلاشى صوتي، فسادي لم تحصل على شهادة جامعية، وقد حصلت على ميراثها من جدنا، بالإضافة إلى أن العمل المؤقت ووظيفة التمثيل العرضية أبعداها عن تحقيق ذلك، وعلى الرغم من أنها لم تمنعني أنا وعزرا من تقديم طلبات إلى الجامعة، لكنها وصَّحت لنا بأنها لن تقدّم لنا المساعدة في دفع الأقساط الباهظة. وفي العام الماضي، ألقى نظرة خاطفة عبر الإنترنت على رسوم أقساط الجامعة الأقرب إلى منزلنا، فخرجت من الموقع على الفور بمجرد رؤية المبلغ الهائل، فكان التخطيط للذهاب إلى المريخ أقل كلفة.

ثم أكملت كلامي: "لست متأكدة من أنني سألتحق بالجامعة".

قالت نانا: "حقاً؟ وأنا التي ظننتك ستصبحين محامية".

كانت عيناها مثبتتين بتركيز على الطريق، لذا لم تلحظ تعبير المفاجأة الذي ارتسم على وجهي، بطريقة ما تمكنت نانا من اكتشاف اهتماماتي المهنية الوحيدة، والتي توقفت عن ذكرها في المنزل لأن سادي كانت تعبر عن اشمئزازها من المحامين في كل مرة أذكر فيها الأمر.

قلت لها: "ما الذي جعلك تظنين ذلك؟".

أجابت: "حسناً، أنت مهتمة بالعدالة الجنائية، أليس كذلك؟ كما أنك فصيحة ولديك القدرة على التحليل المنطقي، ويبدو الأمر ملائماً لك".

شعرتُ بشعور دافئ بدأ بالانتشار في صدري، ثم ما لبث أن تلاشى عندما ألقى نظرة على محفظة النقود التي كانت في حقيبتي، فقد كانت فارغة، كما كان حسابي المصرفي.

عندما لم أجب على الفور، أضافت نانا: "سأساعدك أنت وأخاك بالطبع في دفع رسوم الأقساط الجامعية، شرط أن تحافظا على نيل درجات جيدة".

استدرتُ وحدّقتُ إلى وجهها، وقد اشتعلت شرارة الدفء في داخلي من جديد، وتدقّق الدم إلى عروقي، ثم قلت: "حقاً؟".

قالت: "نعم، لقد ذكرت ذلك لوالدتك قبل بضعة أشهر، لكنها لم تكن في حالة ذهنية تسمح لها بالتركيز على ما أقوله في ذلك الوقت".

قلتُ: "لا، لم تكن في أفضل حالاتها".

شعرتُ بتبدّل مزاجي للحظة فقط، ثم أكملتُ كلامي قائلة: "ستدفعين الرسوم حقاً؟ يمكنك تحمل نفقات الجامعة؟".

منزل نانا جميل لكنه ليس قصراً، وهي تستخدم القسائم للحصول على تنزيلات، على الرغم من شعوري بأن الأمر بالنسبة إليها أشبه بلعبة أكثر من كونها حاجة.

قالت: "يمكنك الالتحاق بجامعة حكومية، لكن عليك اجتياز اختبار القبول الجامعي أولاً، وأنت بحاجة إلى وقت للتحضير، لذا ربما يتعيّن عليك الاشتراك في جلسة كانون الأول".

كنتُ في قمة الحماسة، لذلك استغرق الأمر دقيقة قبل أن أستطيع الكلام من جديد: "شكراً نانا، هذا حقاً تصرّف رائع من قبلك".

قالت: "سيكون من المثير أن يكون لدينا خريج جامعي آخر في العائلة".

لا أشعر بأنني ونانا مقربتان، لكن ربما لن تطلق النار عليّ إذا سألتها السؤال الذي كنت أحبسه منذ وصولي إلى إيكو ريدج، لذلك قلت لها قبل أن أفقد الجرأة وأترجع عن طرح السؤال: "نانا، كيف كانت سارة؟".

لقد كنت أستطيع الشعور بتأثير غياب خالتي في هذه البلدة، والذي طغا على تأثير غياب والدتي؛ فعندما نخرج أنا وعزرا لأداء بعض المهام برفقة نانا، يتحدّث الناس إلينا وكأنهم يعرفوننا طوال حياتهم، ولكنهم جميعاً يتفادون الحديث عن إعادة تأهيل سادي، إلا أن لديهم الكثير من الأشياء الأخرى ليقولوها، إمّا يستشهدون بالجملة التي قالتها في دورها في مسلسل ديفيندر، أو يشيرون ممازحين إلى أن سادي حتماً لا تشتاق إلى فصل الشتاء في فيرمونت، أو يعبّرون عن تعجّبهم من مدى تشابه شعري بشعرها، لكنهم لم يذكروا سيارة أبدأ، ولا ذكرى عنها أو حكاية جرت معها، أو حتى الإقرار بوجودها يوماً، لدرجة أنني كنت أعتقد في بعض الأحيان أنني أرى أن لديهم

دافعاً كبيراً ليذكروها، ولكنهم دائماً يصمتون عند الحديث عنها، أو يشيخون بنظرهم بعيداً، ثم يغيرون الموضوع.

التزمت نانا الصمت لفترة طويلة لدرجة أنني تمنيت لو أبقى في مغلقة، ولكن عندما تحدثت في النهاية، كانت نبرتها هادئة ودافئة: "لماذا تسألين؟".

قلت لها: سادي -أقصد أمي- لا تتحدث كثيراً عنها، ولطالما تساءلت كيف كانت".

لم تعترض نانا ولا مرة على أن ننادي والدتنا باسمها الأول، ولكن يمكنني القول إنها لا تحب ذلك، والآن ليس الوقت المناسب لإزاجها. ثم بدأت أمطار خفيفة بالهطول، فقامت نانا بتشغيل ماسحتي الزجاج الأمامي فكانتا تصدران صريراً كلما تحركتا.

قالت أخيراً: "كانت سارة من النوع المفكر والمثقف، فهي تقرأ باستمرار وتشكك في كل شيء، وقد اعتقد الناس أنها كانت هادئة، لكن كان لديها حس فكاهة من النوع الذي لا يتوقعه أحد، وكانت تحب أفلام روب رينر وتحفظ أفلامه عن ظهر قلب، وكانت فتاة ذكية جداً وخاصة في مادة الرياضيات والعلوم، كما كانت تحب علم الفلك وتتحدث عن حلمها بالعمل في وكالة ناسا عندما تكبر".

امتصت كلماتها مثل إسفنجة عطشى، وأنا مندهشة لأنها أخبرتني بالكثير خلال جلسة واحدة، وما كان عليّ سوى أن أطرح عليها مزيداً من الأسئلة.

سألته: "هل كانت هي وأمي على وفاق؟".

أجابت: "أجل، لطالما كانتا على وفاق، حتى إنهما كانتا تكملان جمل بعضهما، كما تفعلين أنتِ وشقيقك، ولكن شخصيتيهما كانتا متعارضتين جداً، وكان في إمكانهما تقليد بعضهما بشكل كبير، لدرجة أنهما كانتا تخدعان الناس طوال الوقت".

قلت بعد أن تذكرت أنني لم أخبر نانا مطلقاً بقصة التوأم الذي امتصته الرحم: "أندي من المطار سيشعر بالغيرة".

قالت نانا: "ماذا؟".

أجبتها: "لا شيء، مجرد مزحة، تبدو سارة شخصاً رائعاً".

"كانت رائعة حقاً".

شعرت بنبرة دافئة في صوت نانا لم أسمعها من قبل، ولا حتى عندما تتحدّث عن طلابها السابقين، وحتماً ليس عندما تتحدّث عن والدتي. ربما كان ذلك أمراً آخر في إيكو ريدج لم تستطع سادي تحمّله.

قلت: "أتظنين.. أنها لا تزال.. في مكان ما؟ أعني، أيمكن أن تكون قد هربت أو قامت بشيء من هذا القبيل؟".

ندمتُ على تسرّعي في الكلام، وكأنني أتّهم نانا بسوء معاملتها، ولكنها هزّت برأسها بشكل حاسم، وقالت: "من المستحيل أن تهرب سارة".

ثم انخفض صوتها قليلاً، وكأن الكلمات أصبح وزنها ثقيلًا، وقالت: "أتمنى لو استطعتُ مقابلتها".

دخلت نانا موقف السيارات في الجهة المقابلة لدالتون وركنت السيارة فيه.

قلت لها: "وأنا أيضاً".

ألقيت نظرة خاطفة على وجهها خشية أن أرى دموعها، لكن عينيها كانت جافتين وملامح وجهها هادئة، ولا يبدو أنها تمنع الحديث عن سارة على الإطلاق، وربما كانت تنتظر أن يسألها أحد عنها.

قالت: "إيري، هل يمكنك إحضار كيس البلاستيك من المقعد الخلفي من فضلك؟".

أجبتها: "نعم".

كانت أفكارى مبعثرة، وكدثُ أسقط الكيس على الأرض المبللة بالمطر بجوار الرصيف عندما خرجتُ من السيارة، وضعت مسكتي الكيس حول معصمي لإبقائه آمناً، ثم لحقتُ بنانا إلى متجر دالتون.

ألقت أمينة الصندوق التحية على نانا وكأنهما صديقتان قديمتان، وأخذتُ كومة الملابس بلطفٍ من دون أن تسأل عن سبب إعادتها، ثم تفحصت ملصقات السعر المعلقة على الملابس، والتي لم أزلها مطلقاً، ثم سمعنا خلفنا صوتاً ناعماً يقول: "أريد أن أرى انعكاس صورتني على النافذة الكبيرة يا أمي!".

بعد ثوانٍ ظَهَرَتْ فتاة ترتدي ثوباً أزرق غامقاً، إنها ابنة ميلاني كيلدوف الصغيرة، وتبلغ من العمر حوالي ست سنوات، وقد وقفت في مكانها عندما رأتنا.

قالت نانا: "مرحباً جوليا، تبدين جميلة جداً".

كانت تستعرض فستانها، وقد بدت نسخة صغيرة من ميلاني، حتى في الفراغ البارز بين أسنانها الأمامية.

قالت: "هذا الفستان من أجل حفلتي الراقصة".

ثم ظَهَرَتْ ميلاني خلفها، وبرفقتها مراهقة جميلة ترتسم على وجهها تعابير العبوس والامتعاض.

قالت ميلاني وهي تبتسم ابتسامة خفيفة: "أوه، مرحباً، تريد جوليا أن ترى كيف سيبدو مظهرها على المسرح، كما تسميه".

ركضت جوليا ووقفت على منصة مرتفعة محاطة بالمرايا بالقرب من واجهة المتجر.

قالت الموظفة: "بالطبع، لقد صُنع هذا الفستان لكي يلائمها".

أحضرت نانا حقيبتها التي كانت على المنضدة، بينما كانت جوليا تقفز إلى المنصة وهي تدور حول نفسها، وفستانها يرفرف حولها.

"أبدو مثل أميرة، تعالي وشاهديني يا كارولين!".

قالت كارولين بصوت خافت وهي تحدّق إلى رف فساتين حفل العودة إلى المدرسة: "أميرة، يا له من شيء سخيف تتمنى أن تكونه!".

ربما لم تكن كارولين تفكّر في لاسي، أو في الدمى المعلّقة في المقبرة بفساتينها الحمراء، وربما كانت مجرد مراهقة متقلبة المزاج، ومنزعجة لإجبارها على التسوق مع أختها الصغيرة، وربما كان الأمر أعمق من ذلك. وبينما كانت جوليا تدور على المنصة، شعرت وكأن صاعقة من الغضب اجتاحتني فصعقت داخلي. لقد سئمتُ من التورط في أسرار إيكو ريدج، ومن الأسئلة التي لا تنتهي أبداً ولا أحصل على أجوبتها، أريد أن أساعد هذه الفتاة الصغيرة وأختها وميلاني ونانا وأمي أيضاً، أريد أن أفعل شيئاً للفتيات المفقودات والمنسيات.

الفصل التاسع

مالكولم

الخميس، 19 أيلول

"مرحباً أيها الفاشل".

لقد توثرتُ لجزء من الثانية قبل أن تدفع كتف كايل مكنولتي كتفي، لذلك تعثرتُ ولكنني لم أصطدم بالخزانة.

"ألا يزال أخوك المغفل في المدينة؟".

أجبتُه: "اللعة عليك، مكنولتي".

إنه ردي المعتاد على كايل، بغض النظر عن الموقف الذي نواجهه، إلا أنه يصلح لكل الحالات.

ارتعش فكاً كايل بينما كان ثيو إلى جانبه يبتسم ابتسامة ماكرة، كنت ألعب كرة القدم مع كليهما في المدرسة الابتدائية، عندما كان والدي لا يزال يأمل أن أتحوّل إلى النسخة الثانية من ديكلان، ولم نكن أصدقاء حينها، لكننا لم نكن نكره بعضنا، وقد بدأ ذلك الكره ينمو في المدرسة الإعدادية.

قال كايل: "من الأفضل له أن يبقى بعيداً عن أختي".

أجبتُه: "ديكلان لا يكثر لأمر أختك".

إن ذلك صحيح، وهو الأمر الذي جعل كايل بنسبة تسعين بالمئة لا يتحمّل وجودي.

قطّب حاجبيه، واقترب مني أكثر، وكنا على وشك البدء بالعراك.

فجأة سمعنا صوتاً من الخلف، وشعرت بيد تشدني من كمي:
"مالكولم، مرحباً".

استدرتُ لأرى إليري متكئة على الخزانة، ورأسها مائل قليلاً، وهي تمسك بأحد تقاويم ثانوية إيكو ريدج التي يقوم معظم الناس بتدوير خاناته على الفور، وقد بدتْ منهمكة لدرجة أنها لم تلاحظ أنها تقاطع عراكاً وشيك الحدوث، لو لم تحدق إلى كايل لبضع ثوانٍ.

ثم أكملت: "هل تمنع أن تدلني على مكان القاعة؟ أعلم أن لدينا تجمّعاً الآن، ولكنني أجهل طريق الذهاب".

قال كايل بسخرية: "يمكنني أن أعطيك تلميحاً، إن المكان بعيد عن هذا الفاشل".

تملكني الغضب، لكن إليري لم تعره الكثير من الانتباه.

قالت: "أوه، مرحباً كايل، هل تعلم أن سخابك مفتوح؟".

أبجتهت عينا كايل تلقائياً إلى بنطاله، وقال نافياً: "لا، إنه ليس كذلك".

أتى المدرب غانيون من خلفنا وربت على كتفي كايل وثيو، وقال: "تحركا أيها الشبان، لا تريدان التأخر عن التجمع المدرسي، لقد ألغيت الفترة الأولى اليوم، لذلك يمكن اقتياد المدرسة بأكملها إلى القاعة لإلقاء خطابات تحفيزية حول موسم كرة القدم وإعلانات اللجنة الخاصة بحفل العودة إلى المدرسة".

وبعبارات أخرى، إنه عرض كايل وثيو، فالتفتُ إلى إليري التي انغمست في تقويمها مرة أخرى، وقد أثار إعجابي رد فعلها نحو كايل وتمكنها من وضع حد له بسهولة شديدة ومُحرجة، فقد اعتبرت أن عليها القيام بذلك للدفاع عني، وقد بدت عيناها البتيتان غامقتين لدرجة ميلهما إلى السواد، وكانتا محاطتين برموش سميكة، ثم لاحظتُ أن خديها قد تلوّنا بلون أحمر وردي، فأدركتُ أنني أتفحصها مجدداً.

قلت لها: "لم تكوني مضطرة إلى القيام بذلك، فأنا أستطيع التعامل مع هذين الشابين".

يا إلهي! أبدو كطفل صغير منتفخ يحاول التصرف بحزم، وكايل على حق، فأنا فاشل، ولكن إليري تظاهرت بأنها لم تسمعني.

قالت وهي تضع التقويم في حقيبتها: "في كل مرة رأيت فيها كابل كان يُسيئ معاملته أحدهم، ولا أفهم سبب تعظيمه مكانته، كما لا أدري ما الذي تراه بروك فيه".

إنها محاولة واضحة لتغيير الموضوع لكنه سؤال عادل، فأجبتها: "لا أعلم".

ثم انضمنا إلى تيار الطلاب المتجهين نحو القاعة.

سألت إليري: "ما الذي عناه بالنسبة إلى أخته؟ وهل تدرس هنا؟".

أجبتها: "لا، إنها أخته الكبرى، وكانت ليز في صف ديكلان، وقد تواعدا لمدة ثلاثة أشهر تقريباً، عندما كانا طالبين في السنة الثانية، وكانت مهووسة به نوعاً ما، وقد انفصل عنها من أجل لاسي".

هزّت إليري رأسها، وقالت: "أظنّها لم تتقبّل ذلك بشكل واعي".

أجبتها: "على الإطلاق".

دفعنا الباب المزدوج للقاعة، واصطحبتُ إليري إلى الزاوية الأبعد عن المدرجات، حيث نجلس أنا وميا دائماً، فقد بدأ كل من إليري وعزرا يتناولان الغداء برفقتنا منذ الأسبوع الماضي، وكنا نتحدّث بمواضيع تقليدية لتتعرّف إلى بعضنا أكثر كنوع الموسيقى والأفلام المفضلة والاختلافات بين كاليفورنيا وفيرمونت. وهذه المرة الأولى التي أكون فيها بمفردي مع إليري منذ أن رأيتها تجرّ حقيبة سفرها، وتماماً كما حصل حينها، تخطينا كوننا متحفّظين، وانتقلنا مباشرة إلى الحديث عن المواضيع العميقة المظلمة.

لست متأكداً من السبب، لكنني اندفعت قائلاً: "توقّفت ليز عن الذهاب إلى المدرسة لفترة، واضطّرت إلى إعادة السنة، فاستغرق تخرّجها عامين إضافيين".

اتّسعت عينا إليري من الصدمة وقالت: "واو، حقاً؟ فقط لأن شاباً انفصل عنها؟".

جلستُ على مقعد في أعلى المدرجات، واستقرتُ إليري بجانبني، ونزعت حقيبتها ووضعتها عند قدميها، فبدأ شعرها أكثر ترتيباً مما كان عليه في المرة الأولى التي رأيتها فيها، ولكنني أفتقد مظهرها السابق نوعاً ما.

قلت: "حسناً، لم تكن متميزة في المدرسة، لكن عائلة مكنولتي ألقت اللوم على ديكلان، لذا يكرهني كايل لأن ديكلان أخي".

قالت إليري: "هذا ليس عدلاً، لا ينبغي لومك على كل ما يرتكبه أخوك".

انتابني شعور بأننا لا نتحدّث عن علاقته مع ليز مكنولتي فقط.

قلت لها: "مرحباً بك في حياتك الجديدة في بلدة صغيرة يحكم فيها الناس عليك استناداً إلى أفضل أو أسوأ ما تقوم به عائلتك".

قالت إليري: "أو وفقاً لأسوأ ما حدث لها".

أدركتُ وقتها السبب الذي يجعل الحديث معها يبدو مألوفاً جداً في بعض الأحيان، وهو أننا وجهان لعملة واحدة، فكلانا عالقان في أحد ألغاز إيكو ريدج المستعصية، باستثناء أن عائلتها فقدت ضحية، أما أحد أفراد عائلتي فمشتبه في ارتكابه جريمة قتل. أحسستُ بأن عليّ أن أواسيها في حزنها لخسارة خالتها، أو على الأقل التلميح إلى أنني أعرف ما الذي تتحدّث عنه، وبينما كنت أحاول العثور على الكلمات المناسبة سمعنا أحدهم يقول: "مرحباً، أيها الصديقان".

كانت ميا تتّجه نحونا برفقة عزرا، وكلاهما يرتديان قميصي فريق مزرعة الخوف باللونين الأسود والأبيض، وعندما رفعتُ حاجبي بدهشة، قالت ميا: "لم نخطط لارتداء الملابس نفسها، بل كانت محض صدفة".

لقد نسيت أن التوأم بدأ بالعمل في مزرعة الخوف هذا الأسبوع، فنصف تلاميذ المدرسة يعملون هناك، وأنا واحد من الشباب القلائل في ثانوية إيكو ريدج الذين لم يسبق لهم أن تقدّموا إلى العمل فيها، وحتى لو لم تُخفني المزرعة عندما كنت أصغر سناً، فقد كان فيها الكثير من الذكريات التي ترتبط بلاسي.

قلت وأنا أستدير نحو إليري: "كيف يسير العمل هناك؟".

أجابت: "ليس سيئاً، فنحن نعمل في بيت الرعب".

قالت ميا بحسد: "إنه الأفضل على الإطلاق، لقد قدّمت بروك لكما معروفاً كبيراً من خلال تعيينكما هناك، فهو أفضل بكثير من تقديم مشروب السلاش للأطفال الصغار".

ميا ليست من محبّي الأولاد تحت سن الثانية عشرة، لكنها عالقة في العمل في قسم الأطفال في مزرعة الخوف لأكثر من عام، وفي كل مرة تطلب تغيير عملها يرفض رئيسها طلبها.

قالت ميا: "لقد حان الوقت، أخيراً سنكتشف من سيحلّ في المرتبة الثالثة لاختيار ملكة حفل العودة إلى المدرسة".

بدأت صفوف المقاعد الأمامية القريبة من خشبة المسرح تغصّ بالناس، بينما اتّجه المدرب غانيون إلى المنصة في مقدّمة القاعة.

قال عزرا وهو يحاول التخمين: "هل ستكون فيف كاتريل؟ فقد كانت تنشر صوراً لفستانها عبر إنستغرام".

قالت ميا بدهشة: "هل تتابع فيف عبر إنستغرام؟".

ردّ عزرا: "تعرفين كيف تحصل هذه الأمور، فقد تابعت صفحتي، فتابعْتُ صفحتها في لحظة ضعف، وهي تنشر ما يتعلق بحفل العودة بكثرة، لكن على الرغم من ذلك لا أعتقد أن لديها من تواعده بعد".

قالت ميا بنبرة تحذير وكأنها تسدي إليه نصيحة: "يجب عليك إلغاء المتابعة، لديك معلومات عن فيف أكثر مما يجب أن يحتاجه أي شخص، على أي حال ليس لديها فرصة أن تكون عضواً في لجنة حفل العودة، وقد تفوز كريستي كابور".

ثم أضافت ميا عندما نظر إليها عزرا نظرة استغراب: "إنها عضوة في مجلس الطلاب، ويحبّها الآخرون، بالإضافة إلى أنها واحدة من ثلاثة طلاب آخرين من ذوي البشرة السوداء في صفنا، لذلك سيشعر الجميع بالتحرر من التعصّب عندما يصوّتون لها".

سألها عزرا: "ومن الآخرا اللذان بشرتهما سوداء في الصف؟".

أجابت ميا: "جين بيشوب وتروي لاتكينز"، ثم نقلت نظرها بين عزرا وإيري وأكملت كلامها قائلة: "وربما أنتما أيضاً، أيها الرفيقان؟ هل أنتما من أصل لاتيني؟".

هزّ عزرا كتفيه وقال: "ربّما، من الممكن ذلك، فنحن لا نعرف والدنا، ولكن سادي قالت إن اسمه كان إما خوسيه أو خورخي، لذا فالفرص كبيرة".

قالت ميا بإعجاب: "والدتكما أسطورة، كانت ملكة حفل العودة أيضاً، أليس كذلك؟".

أوما عزرا إليها برأسه بينما نظرتُ إلى ميا متسائلاً: "كيف تعرفين ذلك؟".

أجابت: "ديزي أخبرتني، إنها مهووسة بتاريخ ملكات العودة في إيكو ريدج، ربما لأنها حلت في المرتبة الثانية".

ثم أضافت عندما رمقتها إليري بنظرة فضولية: "تخرّجت أختي منذ خمس سنوات، وكانت دائماً وصيفة الشرف وليست العروس، وأقصد بالعروس ملكة العودة".

مالَتْ إليري إلى الأمام، وبَدَتْ مهتمةً بحديثها، فقالت على الفور: "هل كانت تغار؟".

أجابت ميا: "لو كانت كذلك فلن نعرف أبداً، فديزي فتاة لطيفة جداً، وهي الابنة الكورية المثالية، أو كانت كذلك باستثناء الفترة الأخيرة".

أصدر ميكروفون المنصة صريراً بينما كان ينقر المدرب غانيون عليه: "هل هذا الشيء يعمل؟".

ضحك نصف الحاضرين في الغرفة، بينما تجاهلُ النصف الآخر، وشخصياً كنتُ من الذين تجاهلوه، وتوقّفوا عن الاستماع إليه، ثم سحبْتُ هاتفي خلسة، فلم يكلمني ديكلان منذ أن قابلته في حانة بوكوفسكي، وأرسلتُ إليه رسالة نصية: "هل ما زلت في المدينة؟"، وصلته الرسالة وقرأها، ولكنه لم يجب عليها، هكذا كان حاله طوال الأسبوع.

"صباح الخير، ثانوية إيكو ريدج، هل أنتم مستعدون لمعرفة نتائج لجنة حفل العودة؟".

نظرتُ إلى الشخص المتحدث، وحاولتُ ألا أتذمّر عند رؤية بيرسي جيلبين على المنصة، فيبرسي هو رئيس صف الخريجين، وكل ما يتعلق به يجعلني أشعر بالضيق، من طاقته المفرطة، وشعره النابض، إلى سعيه الدؤوب إلى الحصول على مكاتب إيكو ريدج الثانوية الانتخابية، أما السترة الأرجوانية فهو يرتديها في كل حدث مدرسي منذ أن كنا في السنة الأولى، كما أنه على علاقة صداقة وطيدة بغيث كاتربيل أيضاً، وهذا على الأرجح كل ما يحتاج أي شخص إلى معرفته عنه.

"دعونا نبدأ بالإعلان عن الفائزين".

فتح بيرسي المغلف بلباقة، وكأنه على وشك الإعلان عن الفائزين بجوائز الأوسكار.

"ستختارون الملك من بين هؤلاء الزملاء الثلاثة الرائعين، تهانينا لثيو كوليدج، وكايل مكنولتي، وتروي لاتكينز".

كان عزرا يراقب بيرسي مذهولاً وهو يرفع ذراعيه وسط الصيحات والتهنئات: "ما خطب هذا الشخص؟ إنه يشبه أحد مضيفي برامج الألعاب المتقدّمين في السن في جسد مراهق".

قالت ميا وهي تتأهب: "وصفك مثالي، وسارت الأمور كما هو متوقع بالضبط، وأنا سعيدة لتروي، لأنه ليس بالشخص السيئ، لكنه لن يفوز".

بعد أن هدأ الهتاف، فتح بيرسي مغلفاً آخر وقال: "والآن حان وقت إعلان أسماء السيدات في ثانوية إيكو ريدج، فلنستمع إلى التهنئات إلى كاترين نيلسون، بروك بينيت، و...".

توقّف عن إعلان الاسم الثالث وهو ينظر إلى الحاضرين حائراً، ثم أعاد النظر إلى الورقة التي في يده مرة أخرى، وعمّ الصمت للحظات ثم بدأ الجميع بالتساؤل عن الاسم المجهول وهم في مقاعدهم، وبدأ بعضهم بالتصفيق وإطلاق الصفير ظناً منهم أنه انتهى من إعلان الأسماء، ثم تقدّم بيرسي إلى الميكروفون مجدّداً بينما كان يترقّب الجميع.

مالت ميا إلى الأمام، وعلى وجهها علامات الارتباك، وقالت: "لحظة، هل بيرسي جيلين عاجز عن الكلام؟ هذا مشهد جميل لكنه غير مسبوق".

استدار بيرسي نحو المدرب غانيون، الذي أشار إليه للمضي قدماً وقد نفذ صبره.

قال بيرسي: "آسف، فقدت تركيزي للحظة، حسناً، حسناً مبروك إليري كوركوران!".

جمدت إليري في مكانها وعيناها المستديرتان تحدّقان بذهول، ثم قالت وخداها قد تلطّخا باللون الأحمر، بينما كان التصفيق متقطعاً في القاعة: "ما هذا بحق الجحيم؟ كيف حدث ذلك؟ الأمر غير منطقي، لا أحد يعرفني هنا".

قالت ميا: "بالطبع يعرفونك".

تماماً عندما صرخ أحدهم: "من تكون؟".

لكن ميا على حق، الجميع يعرفون من هما توأم كوركوران، ليس لأنهما يحتلان مكانة مرموقة في المدرسة، ولكن لأن سادي كوركوران والدتهما كادت أن تصبح نجمة في هوليوود، وكانت ذائعة الصيت في البلدة، ولأن سارة كوركوران خالتهما هي ابنة إيكو ريدج الأصيلة والمفقودة منذ زمن.

قال عزرا: "كفك يا أميرة".

عندما لم تستجب، ضرب يده بيدها، وأكمل قائلاً: "لا تكوني كئيبه هكذا، هذا انتصار كبير".

قالت إليري مجدداً: "هذا غير منطقي".

وبينما بيرسي لا يزال على المنصة يتحدث عن التجمّع الحماسي الأسبوع المقبل، بدأ اهتمام القاعة يتحوّل عنها بالفعل.

قالت إليري: "هل صوّت لي؟".

أجاب عزرا: "لا، ولكن لا تأخذي الأمر على محمل شخصي، لم أصوّت لأحد".

وجّهت إليري إليّ وإلى ميا السؤال نفسه، فأجبنا قائلين: "لا، لم نصوّت لأحد".

قالت إليري: "لم أكمل أسبوعي الثاني في المدرسة، وبالكاك تحدثت إلى أي شخص غيركم أنتم الثلاثة، وإذا لم تصوّتوا لي يا رفاق، وصدقوني لا أشعر بالإهانة، لأنني لم أصوّت لأحد أيضاً، إذاً لماذا قد يصوّت لي أي شخص آخر؟".

قلت لها بفتور: "ربما للترحيب بك في البلدة؟".

نظرت إليّ نظرة استنكار، وأنا لا ألومها لذلك، وحتى بعد أقل من أسبوعين على مجيئها إلى البلدة، عليها أن تعرف أن ثانوية إيكو ريدج لا تنتمي إلى هذا النوع من الأماكن.

كان مزاج كاترين سيئاً للغاية صباح الجمعة، وقد قادت السيارة بتهوّر أكثر من أي وقت مضى، وعندما وصلنا ركنت السيارة بشكل منحرف، مما أدّى إلى اعتراض طريق شاب آخر كان يتّجه نحونا، فترجّلت من السيارة، وتوجّهت إلى مدخل المدرسة من دون النظر إلى الخلف، فكان اليوم من تلك الأيام التي تتظاهر خلالها بأنني غير موجود، وقد استغرق دخولي المبنى بعض الوقت، وبمجرد وصولي إلى الرواق، شعرتُ بحصول شيء ما غير طبيعي، وكان هناك ضجيج صاخب وغريب، ومقتطفات لمحادثات التقطتها ولا تبدو تشبه النميمة أو الشتائم المعتادة.

"يجب أن يكون قد اقتحم المكان".

"شخص ما يكرههن".

"ربما الأمر ليس مزحة كما نظنّ".

"لا يشبه ذلك، ما ارتكبه أي شخص بحقّ لاسي".

تجمّع في الممرّ حشد من الطلاب، وقد التصقت رؤوسهم ببعضها، وكان أكبر حشد متحلقاً حول خزانة كاترين، والمجموعة الأصغر قد تجمّعت حول خزانة بروك، فشعرت بانقباض معدتي التي بدأت تؤلمني، ثم لاحظتُ أن عزرا وإيري يقفان إلى جانب خزانتهما أيضاً، وقد أولتني إيري ظهرها، ولكن وجه عزرا كان مواجهاً لي، وقد بدت تعابيرها غير مطمئنة، يعد أن اختفت عن ملامحه الهادئة علامات الراحة، وبدا وكأنه يستشيط غضباً ويريد قتل شخص ما، وعندما اقتربتُ منهما أدركت السبب، فقد كانت خزانة إيري ذات اللون الرمادي الداكن قد تناثر عليها طلاء أحمر، بينما تتدلّى من المقبض دمية ملتوية ملطخة باللون الأحمر، تشبه تلك الدمى المعلقة في المقبرة على قبر لاسي تماماً.

نظرتُ إلى آخر الرّدهة، فرأيتُ ما يكفي لأعرف أن خزانتي كاترين وبروك قد حلّ بهما ما حلّ بخزانة إيري، وقد طبعت حروف سوداء سميكة وسط الطلاء الأحمر على خزانة إيري:

أتذكرين مردرلاند، أيتها الأميرة؟ أنا أتذكّر

قال عزرا: "هذا جنون".

استدارت إيري وكان وجهها شاحباً، ولكنها سيطرت على توتّرها، وقد ابتسمت ابتسامة خفيفة تعوزها روح الدعابة، وقالت بكلّ هدوء: "إنهم

يرحّبون بي في البلدة، أليس كذلك؟".

الفصل العاشر

إليري

السبت، 21 أيلول

سألني عزرا: "عمّ تبحثين؟".

أجبتُه وأنا أضع كدسة من الكتب السنوية على المكتب أمامه: "لا أعرف على وجه الدقة، على ما أظنّ أبحث عن أي شيء غريب".

كنا في مكتبة إيكو ريدج صباح يوم السبت، مُسلّحين بفنجانين ضخمين من القهوة السريعة التحضير من مطعم باركلي، ولم أكن واثقة من أننا سنتجاوز أمينة المكتبة. لكنها كانت امرأة في الثمانينات من عمرها وتغط في نوم عميق على كرسيها.

قال عزرا: "إل، لقد وصلنا إيكو ريدج منذ ثلاثة أسابيع، وقد أبلغنا فور وصولنا عن العثور على جثة، وحصلنا على وظيفتين في موقع ارتكاب جريمة، واستهدفنا شخص يتتبع ملكات العودة إلى المدرسة، وعلى نحو أدقّ استهدفك وحدك، لذا يجب عليك أن تكوني أكثر وضوحاً في كلامك".

جلسْتُ على مقعدٍ مقابل له، ورفعت كتاباً وسط كومة الكتب، كُتب عليه "نسور إيكو ريدج"، وقد خُتم عليه تاريخ مضى عليه ست سنوات، أي السنة الثانوية الثالثة للوسي وقبل وفاتها بسنة واحدة.

قلتُ له: "أريد أن أتحقّق من هويات زملاء لاسي في الصف، إنه أمر غريب، أليس كذلك؟ كيف عاد بعض هؤلاء الأشخاص إلى المدينة، والذين كانوا مقرّبين منها خلال الفترة التي سبقت موتها؟ تماماً في الوقت الذي بدأت فيه كل هذه الحوادث تجري؟".

رفع عزرا حاجبيه وقال: "ماذا يعني كلامك؟ أتظنّين أن شقيق مالكولم له علاقة بما يحصل؟ أو أنها أخت ميا؟ ربما كان علينا دعوتهما لتناول القهوة وحلّ الغاز تلك الحوادث".

أجبتّه وأنا أفتح الكتاب السنوي: "أنسيت جملتك المشهورة يا عزرا؟ لا أحد يريد سماع نظرياتي المتعلقة بجرائم القتل، خاصة عندما يتعلق الأمر بأخويهما، وهذا ما عليك فهمه".

بعد قضاء حياتنا مع سادي اكتسبنا شهادة ماجستير في التظاهر بأن كل شيء على ما يرام، ولكنني بالكاد أكلتُ منذ الأمس، وحتى عزرا الذي يستنشق في العادة طهو نانا كما لو كان يحاول تعويض سبعة عشر عاماً من تناول وجبات العشاء المجمّدة، لكنه رَقَصَ تناول طعام الفطور قبل مغادرتنا، وهو في الوقت الحالي يلقي نظرة على الكتب السنوية المتبقية.

قال: "ماذا يجب عليّ فعله؟ هل أتفقد سنتهم الأخيرة؟ قد يكون الأمر محزناً للغاية، أن نقوم بهذا النوع من الأشياء في ذكرى موت لاسي".

أجبتّه وعيناى تنظران إلى أسفل الكتب المكدسة: "يمكنك فعل هذا أو... كتاب سادي السنوي موجود هناك أيضاً، إن كنت فضولياً".

قال عزرا: "أكون فضولياً بشأن ماذا؟".

أجبتّه: "ما كانت عليه في المدرسة الثانوية، وكيف كانتا في تلك الفترة، هي وسارة".

قال: "وما علاقة هذا بكلّ ما يجري؟".

تقدّمتُ إلى الأمام بينما كنت أُلقي نظرة سريعة حول الصالة الصغيرة، وإلى أمينة المكتبة النائمة، فلم يكن في المكتبة أحد باستثناء أم تقرأ بهدوء لطفلها الصغير.

قلت له: "ألم تتساءل يوماً لماذا لم نزر إيكو ريدج من قبل؟ أو لماذا لا تتحدّث سادي عن أختها؟ ما أعنيه لو أنك اختفيت فجأة، فلن أنتقل من البلدة إلى مكان آخر بعيد، وأتصرّف وكأنك لم تكن موجوداً من قبل".

قاطعني عزرا قائلاً: "لا تعرفين ما كنت ستفعلينه، ولا تعرفين ما تفكّر فيه سادي حقاً".

أجبتّه: "لا، أنا لا أعرف، وأنت أيضاً لا تعرف، وتلك هي وجهة نظري".

استدارتُ وإلّدة الصبي الصغير نحونا، فأخفضتُ صوتي بينما كنت أضغط الخنجر المعلق على قلاذتي، ثم أكملت: "لقد كنا ننتقل من بلدة إلى أخرى، لأن سادي كانت تهرب من مشاكلها، ما عدا أنها في النهاية وقعت في ورطة ولا يمكنها تجاهلها، وها نحن قد عدنا إلى المكان الذي بدأ فيه كل شيء".

نظر عزرا إليّ بثبات، وعيناه الداكنتان حزيتان، وقال: "لا يمكننا إصلاح أمني يا إليري".

ألقيتُ نظرة على الصفحات التي أمامي، كانت تظهر صفوفاً من الأولاد في مثل سنها، وكلهم يتسمون للكاميرا، وبما أنني وعزرا ليس لدينا أي كتب سنوية، فلم نشعر أبداً بالارتباط الكافي بأي من مدارسنا، لكي نحفظ بتذكّار الأيام التي قضيناها فيها ونبقيها في الذاكرة.

قلت له: "أنا لا أحاول إصلاحها، أنا أحاول أن أفهم فقط، بالإضافة إلى أنني أظنّ أن سارة لها علاقة بما يحصل الآن بطريقة ما. عزرا، لم يصوّت لي أحد في هذه المدرسة لأكون في لجنة حفل العودة وأنت تعلم ذلك، شخص ما زوّر النتائج، وأنا متأكّدة من ذلك، لأنني قريبة لسارة".

كانت خزانتي نظيفة وقد أعيد طلاؤها يوم الجمعة بحلول وقت الغداء، فبدت كما لو أنه لم يحدث شيء على الإطلاق، لكنني شعرت بأنني معرّضة للهجوم منذ ذلك الحين، وكنْتُ أشعرُ بوخز في رقبتني عندما أفكر في أن شخصاً ما، وفي مكان ما، حاول جاهداً إضافة اسمي إلى تلك اللجنة وقد نجح في ذلك، فأخبرتُ فيف بأنني لا أعتقد أن المخرب وقاتل لاسي هما الشخص نفسه، وبموضوعية يُعدّ ذلك منطقياً، أما بالنسبة إليّ شخصياً، فإن الأمر برمته يجعلني أشعر بالغيثان.

بدا عزرا مرتاباً وهو يقول: "كيف يمكن أن يزوّر أحدهم النتائج؟".

أجبتُه: "من خلال اختراق التطبيق، وذلك ليس من الصعب حصوله".

قال بعد أن أخذ كلامي بعين الاعتبار: "كلامك يبدو مبالغاً فيه".

أجبتُه: "أوه، والدمى المملّخة بالدماء أليست مبالغة؟".

قال: "أنتِ عليّ حق، حسناً، ماذا بعد؟ هل تظنّين أن قضيتي لاسي وسارة مرتبطنان أيضاً؟".

أحبته: "لا أعلم، يبدو ارتباطهما غير محتمل، أليس كذلك؟ الفرق بين الحادثتين كان عشرين عاماً، وبالتأكيد شخص ما له صلة بكل هذه الأحداث، ويجب أن يكون لديه سبب لذلك".

لم يقل عزرا شيئاً آخر، لكنه أخذ الكتاب السنوي الذي يعود إلى سادي من أسفل كدسة الكتب وفتحه.

قمتُ بسحب كتاب لاسي السنوي إلى مكان أقرب مني وتصفحْتُ صور صف السنة الثالثة حتى وصلت إلى حرف الكاف، فكانوا كلهم ظاهرين، الأسماء التي سمعتها منذ وصولي إلى إيكو ريدج: ديكلان كيلبي، لاسي كيلدوف، وديزي كوون، لقد رأيتُ لاسي من قبل من خلال النشرات الإخبارية، ولكنني لم أرَ ديزي، فبدت تشبه في بعض الملامح ميا، لكنها أكثر جمالاً من الناحية التقليدية، أما ديكلان كيلبي فيذكرني بمالكولم، ويكاد يكون وسيماً بشكل عدواني، بعينين ثاقبتين، وشقٌّ في ذقنه. هؤلاء الثلاثة يبدوون مثل المراهقين الذين تجدهم في عروض البرامج التلفازية، ووسامتهم لا تُصدق. أما قسم حرف الرء فكان أقل جاذبية؛ شكل الشرطي ريان رودريغيز في المدرسة الثانوية كان مزيجاً مؤسفاً من تفاحة آدم البارزة وحب الشباب وقصة شعر سيئة، لقد تحسَّن في السنوات الست الأخيرة رغم ذلك، وهذا جيد.

أدْرْتُ الكتاب السنوي لكي أريه لعزرا، فقلت له: "هذا جارنا".

ألقي عزرا نظرة على صورة الشرطي رودريغيز من دون أن يوليها الكثير من الاهتمام، وقال: "ذكرته نانا هذا الصباح، ولديها بعض صناديق الكرتون تريد منا إحضارها، تقول إنه باع المنزل أو أنه سيبيعه، على أي حال إنه يحزم الأشياء".

قلت له: "هل سيغادر المدينة؟".

هزَّ عزرا بكتفيه وقال: "لم تقل شيئاً كهذا، قالت إن المنزل أصبح كبيراً جداً بالنسبة إلى شخص يعيش وحده الآن بعد وفاة والده فقط، وربما حصلَ على شقَّة قريبة أو شيء من هذا القبيل".

أعدتُ النظر إلى الكتاب السنوي الذي كان أمامي لكي أتصفح الصور، فكانت لاسي جزءاً من كل نشاط تقريباً، على سبيل المثال: كرة القدم والتنس ومجلس الطلاب والجوقة الموسيقية... أما ديكلان فكان في الغالب يلعب كرة القدم، على ما يبدو، وكان لاعب وسط بارعاً بما فيه الكفاية لدرجة أن الفريق فاز ببطولة الولاية في ذلك العام. أما الصورة

الأخيرة في قسم طلاب السنة الثالثة فهي للصف بأكمله، وهم يقفون أمام بحيرة إيكو ريدج خلال نزهة نهاية العام، وقد وَقَعَ نظري على لاسي على الفور، فكانت في الوسط تضحك، وشعرها يتطاير مع الريح، وكان ديكلان خلفها في الصورة يلفّ ذراعيه حول خصرها، ورأسه مَتَكِيٌّ على كتفها، وكانت ديزي تقف إلى جانبهما ويبدو عليها الدهول، كما لو أنها لم تكن مستعدة لالتقاط الصورة، وفي طرف الصورة، وقف ريان رودريغيز، بعيداً عن الآخرين، ومع ذلك فإن ما لفت انتباهي ليست وقفته الغريبة بل أنّ الكاميرا التقطته وهو يحدّق مباشرة إلى لاسي، وعلى وجهه تعبير الشوق الشديد لدرجة أنه بدا غاضباً تقريباً من قرب ديكلان منها، ربما كان معجباً بها، إذ كانت لاسي جميلة. ثم بدأتُ أدرس الوجوه الثلاثة: ديكلان وديزي ورايان، وهذا الأخير لم يغادر البلدة أبداً - ربما حتى الآن - أما الاثنان الآخران فقد عادا، ولا يعرف مالكولم أين يقيم ديكلان، لكن ميا ذكرت أكثر من مرة أن أختها عادت إلى غرفتها القديمة. ماذا قالت ميا عن ديزي خلال الاجتماع المدرسي الخميس؟ كانت دائماً وصيفة لكنها لم تكن عروساً.

أدار عزرا الكتاب السنوي الذي كان يطّلع عليه نحوي، بعد أن مرّره على الطاولة، وقال: "أهذا ما أردتِ رؤيته؟".

كانت الفتاة ذات سحابة من الشعر الداكن المجعّد في أعلي الصفحة، وابتسامتها مشرقة للغاية، إنها أمي منذ ثلاثة وعشرين عاماً، باستثناء أن الاسم الموجود أسفل الصورة هو "سارة كوركوران". تفحّصت الصورة من جديد، لأنني أحمل في تفكيري صورة سارة التوأم الجادة وشبه الكئيبة دائماً، لدرجة أنني لم أميّز هذه الشخصية السعيدة. قلبتُ إلى الصفحة السابقة فرأيتُ صورة سادي في الأسفل، إنها متطابقة، من حيث إمالة الرأس والابتسامة، والاختلاف الوحيد هو لون سترتيهما، لقد التُقِطَتْ هذه الصورة في سنتهما الأخيرة، ربما في أيلول بعد بضعة أسابيع، بعد فترة وجيزة من تتويج سادي ملكة حفل العودة، واختفاء سارة بعد ذلك، فأغلقْتُ الكتاب عندما أصابتنني موجة من الإرهاق.

أجبتُه: "لا أعرف ما أردته، متى علينا أن نكون في العمل؟".

نظر عزرا إلى هاتفه وقال: "خلال ساعة".

قلت له: "هل يجب أن نزور ميا، وتتاكّد إذا كان لديها دوام اليوم؟".

أجاب عزرا: "ليس لديها دوام اليوم".

كّررتُ سؤالِي: "هل يجب أن نزور ميا ونتأكّد إذا كان لديها دوام اليوم؟".

أغمض عزرا عينيه في ارتباك، ثم هزّ رأسه وكأنه استيقظ للتو، ثم قال: "أوه اعذريني، هل تقترحين أن نقوم بمهمة استطلاع؟".

أجبتُه: "لا أمانع مقابلة ديزي الغامضة".

قال: "أفهمك الآن".

ثم أكمل وهو يشير إلى كدسة الكتب السنوية المكدسة بيننا: "هل ستفقدين أيّاً من هذه الكتب؟".

أجبتُه: "لا، أنا فقط... انتظر لحظة".

أخرجتُ هاتفِي والتقطتُ بعض الصور للكتب السنوية التي شاهدناها للتو.

قال عزرا الذي كان يراقبني بارتباك: "ماذا ستفعلين بها؟".

أجبتُه: "فقط لتوثيق بحثنا".

لا أعرف ما إذا كان هذا الصباح قيّماً، ولكن على الأقل يبدو مثمراً، وعندما انتهيت من التقاط الصور، أخذتُ كل منا مجموعة من الكتب السنوية وأعادها إلى القسم المخصّص لها، ثم رميتُ فنجانِي القهوة الفارغين في صندوق إعادة التدوير، مما أحدث ضجيجاً أعلى مما توقّعتُه، وأيقظتُ أمينة المكتبة النائمة التي نظرت إلينا بعينين دامعتين خاليتين من التركيز، ونحن نجتاز مكتبها.

قالت لنا وهي تتأهب: "هل أستطيع مساعدتكما؟".

أجبتُها: "لا، شكراً، كل شيء على ما يُرام".

وأنا أحتّ عزرا على أن يسرع الخطى حتى نتمكّن من الخروج قبل أن تعرف من نكون فيتوجّب علينا قضاء خمس عشرة دقيقة ونحن نخوض محادثة مهذبة عن كاليفورنيا.

خرجنا من الباب الأمامي للمكتبة إلى ضوء الشمس الساطع، ونزلنا إلى الرصيف. عدتُ أنا وعزرا إلى المنزل من المدرسة برفقة ميا منذ

يوميين، فمزلها على بعد مبنى واحد فقط من المكتبة، ويُعتبر منزل عائلة كوون ذا تصميم غير مألوف بالنسبة إلى بيوت إيكو ريدج، فهو بناء حديث يشبه الصندوق وتحيط به مساحة كبيرة من العشب. وهناك ممر حجري من الرصيف إلى الدرج الأمامي، وبينما نحن في منتصف هذا الطريق لاحظنا سيارة نيسان رمادية متوقفة في الممر، وكانت نافذة باب السائق نصف مفتوحة، مما أظهر فتاة ذات شعر داكن طويل، تمسك بعجلة القيادة وكأنها حزام للنجاة. كانت النظارة الشمسية الكبيرة تغطي نصف وجهها، لكن أمكنني أن أرى ما يكفي لأقول إنها ديزي، فرَفَعَ عزرا يده، وكان على وشك إلقاء التحية، ثم أخفضها عندما قرّبت ديزي الهاتف من أذنها.

قلْتُ وأنا ألقى نظرة سريعة بين السيارة والباب الأمامي: "لا أعتقد أنها ترانا، ربما علينا فقط رن الجرس".

قبل أن نتمكن من التحرك، أسقطت ديزي هاتفها، وعقدت ذراعها فوق عجلة القيادة، وخفضت رأسها نحوه، وبدأت كتفاها بالارتجاف، فتبادلت وعزرا نظرات استغراب، ثم وقفنا هناك لما بدا أنه عشر دقائق، على الرغم من أنها ربما كانت أقل من دقيقة، قبل أن يخطو عزرا خطوة إلى الأمام.

قال: "أعتقدين أنه يجب علينا...".

لكنه تراجع عندما رَفَعَتْ ديزي رأسها فجأة، وأطلقت صرخة خفيفة مخنوقة، وضربت يديها بقوة على جانبي عجلة القيادة، ثم خلعت نظارتها الشمسية، ومسحت عينيها بيديها كما لو أنها تحاول محو أي أثر للدموع، ثم وضعت النظارة مجدداً، وبعد ذلك تراجعت بالسيارة إلى الخلف، وتوقفت عندما رأتنا من النافذة، فقام عزرا بالتلويح لها بخجل وكأنه يعرف أنه قد شَهِدَ للتو لحظة سرية عن طريق الخطأ، فكانت إشارة ديزي بعد أن رآته أن رفعت زجاج نافذتها وشقت طريقها في الممر، وغادرت في الاتجاه الذي أتينا منه.

قال عزرا وهو يشاهد السيارة تغادر عند المنعطف: "حسناً، أردتِ مقابلة ديزي الغامضة، ها قد رَحَلَتْ".

الفصل الحادي عشر

مالكولم

الخميس، 26 أيلول

عندما أطللت برأسي على غرفة ميا، كانت محاصرة بجبل صغير من الوسائد على سريرها، وكان حاسوبها المحمول في حضانها، وكانت تستخدم سماعتي الأذن الخاصتين بها، وتتمايل على أنغام الموسيقى، فاضطررتُ إلى النقر على الباب مرتين حتى سمعتني.

قالت بصوت عالٍ جداً قبل أن ترفع السماعتين عن أذنيها: "مرحباً، هل انتهيت من التمرين؟".

أجبتها: "لقد تجاوزت الساعة الرابعة".

نشاطي الوحيد في ثانوية إيكو ريدج هو الفرقة الموسيقية، فقد شجّعني السيد بومان في الصف التاسع عندما اقترح أن أتلقّى دروساً في القرع على الطبل، وأنا أقوم بذلك منذ ذلك الحين، لكن الأمور ليست كما هي من دونه، فالمرأة التي حلت مكانه ليست مرحة مثله، وقد جعلتنا نكرر الهراء القديم الذي قمنا به العام الماضي، ولست متأكداً من أنني سألتزم بممارسة هذا النشاط، ولكن في ليلة الغد سنؤدّي عرضاً في تجمع حماسي، وسأقرع على الطبل وأنا أغني أغنية منفردة لا يعرفها أحد.

مدّت ميا ذراعيها فوق رأسها، وقالت: "لم ألاحظ وجودك، كنت على وشك إرسال رسالة نصية إليك".

أغلقتُ حاسوبها المحمول ووضعتُه جانباً، ثم أنزلت ساقها عن السرير إلى الأرض.

قالت: "لقد تحقّق أحد أعزّ أحلام فيف، فقد تلقّفت صحافة برلنغتون الحرة قصّتها عن التخريب، والآن تقوم بتغطيتها وكتابة مقال بمناسبة الذكرى السنوية الخامسة لموت لاسي، وقد اتصل المراسل منذ فترة قصيرة، ويحاول التكلم مع ديزي".

اضطربت معدتي مثل سمكة تحتضر، وقلت: "تياً".

لا ينبغي أن أتفاجأ، فقد كان مجرم حفل العودة مشغولاً مؤخراً، وقد تَرَكَ، أو تَرَكَتْ، قطعاً من اللحم النيء على غطاء سيارة بروك يوم الإثنين، ما جعلها تتقيأ ما إن رأتها، بينما لم تفلت إليري من العقاب حيث رُش الطلاء على جانب أحد المحلات وكتب: بنات الكوركوران ملكات قاتلات. بالأمس كان دور كاترين، في الشارع حيث توفي السيد بومان، وفي الزاوية التي تحوّلت إلى نصب تذكاري مؤقت حيث يضع الجميع الورود، قد أضاف شخص ما نسخة كبيرة الحجم من صورة لكاترين وقد اقتُلعت عينها وعليها تاريخ وفاة في الخامس من تشرين الأول، وهو موعد رقصة حفل العودة في نهاية الأسبوع المقبل. وعندما اكتشف بيتر الأمر، كان على وشك أن يفقد أعصابه لدرجة أنه أراد إلغاء حفل العودة، وبالكاد أقنعت كاترين ألا يتصل بالمدير سليت. وهذا الصباح تلقينا إعلاناً يذكرنا بإبلاغ المعلمين عن أي شيء مريب نلاحظه، ولكن حتى الآن لا يزال حفل العودة إلى المدرسة قائماً.

تناولت ميا قميصاً أسود مرصّعاً من خلف كرسي مكتبها، وقالت: "ألم يخبرك ديكلان بذلك؟ ظننتُ أن المراسل ربما حاول الوصول إليه أيضاً".

أجبتها: "لا، لم يخبرني بشيء".

أخيراً، أجاب ديكلان على رسائلي خلال عطلة نهاية الأسبوع ليخبرني بأنه عاد إلى نيو هامبشاير، وبخلاف ذلك لم نتحدّث منذ أن التقينا في حانة بوكوفسكي، وما زلت لا أعلم ماذا كان يفعل في البلدة أو أين كان يقيم.

قالت ميا وهي ترتدي القميص: "ديزي مختبئة في غرفتها منذ ورود المكالمة، ولكن تلك طبيعتها، وليس ذلك بالشيء الغريب".

سألتها: "هل ما زلتِ ترغيبين في الذهاب إلى باركلي لتناول العشاء؟ لقد استعرت سيارة أُمي، لذا لا يتعيّن علينا السير على الأقدام".

يعمل كل من الدكتور والسيد كوون في وقت متأخر يوم الخميس، ولدى بيتر ووالدتي موعد غرامي، لذلك أنا وميا متجهان إلى مطعم إيكو ريدج الوحيد.

أجابت ميا: "نعم بالتأكيد، عليّ الخروج من هذا المنزل أيضاً، قمْتُ بدعوة التوأم، لذا فهما ينتظراننا، لقد أخبرتهما بموعدنا الساعة الخامسة، ويمكننا التسكع وتناول القهوة حتى ذلك الحين".

وَصَعَتْ ميا مفاتيحها في جيبها، واتَّجَهَتْ نحو الباب ثم تردَّدتْ عندما وصلت إلى الردهة.

قالت: "أنا فقط سأتحقّق...".

تراجعتْ بضع خطوات إلى باب مغلق مقابل غرفة نومها، وطرقت عليه: "ديزي؟".

لم تتلقَّ إجابة، لذا طرقت ميا بقوة أكثر: "ديزي؟".

ثم أتانا صوت هادئ من الغرفة: "ماذا؟".

"أنا ومالكولم سنتناول العشاء في بارتلي، هل تريدان مرافقتنا؟".

أجابت ديزي: "لا، شكراً، أعاني من صداع".

قالت ميا: "قد تشعرين بتخسّن بعد تناول بعض الطعام".

اشتدَّت نبرة ديزي حدّة، وقالت: "قلت لك لا أريد يا ميا، سأقضي الليلة في المنزل".

قالت ميا وقد ارتسمت على وجهها تعابير العبوس: "حسناً، لا أعرف لماذا أزعج نفسي، سأدع والديّ يقلقان عليها".

ثم نزلت الدرج، وكأنها لا تطيق الانتظار حتى تخرج من المنزل.

دائماً ما نحسد أنا وميا بعضنا عليّ نمط الحياة التي يعيشها كل واحد منا، والمستوى المعيشي في المنزل، فأنا أحب منزل عائلة كوون المشرق والحديث، وأسلوب والديها في إشراكنا في حديثهما، كما لو أننا نملك أدنى فكرة عما يحدث في العالم، وهي تحبّ عدم اكتراث بيتر وأمي بما أقوم به، فهما بالكاد ينتبهان إلى أي شيء أفعله، ولطالما أراد آل كوون أن تكون ميا مثل ديزي حلوة ومثابرة ولها شعبية كبيرة، ويمكن الاعتماد عليها والقيام بكل الأشياء الصحيحة من دون ارتكاب أي أخطاء، باستثناء أنها تغيّرت منذ فترة.

سألتُ ميا ونحن نخرج إلى ممر السيارة: "ما رأي والديك؟".

أجابت ميا: "من يعلم، يقولان أمامي فقط، أوه، أختك كانت تعمل بجد، وكانت بحاجة إلى استراحة، ولكنهما يخوضان كل هذه المحادثات المتوترة في غرفتهما والباب مغلق".

ركبنا سيارة والدي وسألتهما: "ماذا تقصدين بالمحادثات المتوترة؟".

قالت ميا: "لا أعرف، أحاول التنصت عليهما، لكن لا يمكنني سماع أي شيء باستثناء نغمة الصوت".

انطلقت السيارة من أمام منزل ميا، ولكنني بالكاد تحركت عندما اهتزاز هاتفي في جيبِي.

قلت: "لحظة، أريد التأكد من أن المتصل ليس ديكلان".

وضعت مبدل سرعة السيارة على وضع الانتظار، لكي أتفقد هاتفي، فتجهّم وجهي عندما رأيتُ اسم المتصل.

"إنها كاترين".

سألت ميا: "ما الذي تريده؟".

أجبتها: "تقول إنها تريد أن تطلب مني معروفًا".

أمسكتُ ميا بذراعي وقد انتابتها حالة رعب وهمية، وقالت: "لا تُجبها يا مال، مهما يكن الأمر، فأنت لا تريد أن تكون جزءاً منه".

لم أُجب، لكن كاترين لا تزال تكتب، وقد ظلّت النقاط الرمادية ظاهرة لفترة طويلة لدرجة أنني كنت أتساءل عما إذا كانت قد أغلقت هاتفها ونسيت إنهاء الرسالة، ثم ظهرت في النهاية: بروك انفصلت للتو عن كاي، ولا أعرف السبب، لكن حفل العودة سيكون في نهاية الأسبوع القادم، وهي تحتاج إلى رفيق، وكنت أفكر في أن ترافقها إلى الحفل، يبدو أنها تحبّك، وربما بصفتك صديقاً فقط، ولكن أياً كان، لم تكن ذاهباً على أي حال، أليس كذلك؟ انتظر، وسأرسل لك رقمها.

أريث الرسائل لميا التي قالت: "يا لها من فتاة متعطسة!".

ثم وصلتني رسالة أخرى من كاترين، تحتوي على معلومات الاتصال الخاصة ببيروك، فقمْتُ بحفظها تلقائياً، ووضعتُ هاتفي جانباً.

قلتُ: "إنها محقّة، لم أكن ذاهباً".

عصّتُ ميا على شفّيتها من دون أن تجيب، ورفعْتُ حاجبيّ باستغراب، وسألتهَا: "ماذا؟ هل كنتِ..".

أجابَتْ: "ربما".

ثم نظرتُ إليّ بغضب عندما بدأتُ بالضحك، وقالت: "لا تعاملني هكذا، مال، يمكنني الذهاب إلى الحفل إذا أردتُ ذلك".

أجبتها: "أعرف أنه في إمكانك الذهاب، أنا فقط مندهش من رغبتك في الذهاب، فأنت لديك أقل لهفة على النشاطات المدرسية من أي شخص قابلته على الإطلاق، واعتقدتُ أن ذلك وسام شرف بالنسبة إليك".

قالت ميا: "لا أعلم، اتصل أحد أصدقاء ديزي القدامى لإخبارها بأن مجموعة منهم سيكونون مرافقين للحفل، وسألوها عمّا إذا كانت تريد الذهاب أيضاً، وأعتقد أنها كانت تفكّر في الأمر، وسيكون ذلك أول ما ستفعله بعد الاختباء في غرفة نومها منذ عودتها إلى المنزل، لكنها قالت بعد ذلك "حسناً، لكن ميا لن تذهب"، لذلك قلت: "لا سوف أذهب"، والآن أعتقد أنني مضطّرة إلى فعل ذلك، ويمكنك مسح تلك الابتسامة الغبية عن وجهك متى أردت".

تلاشت ابتسامتي، وأنا أقول: "أنتِ أخت جيدة، أتعلمين هذا؟".

أجابتنني: "أياً يكن الأمر، كنت أفكّر في أن أطلب من تلك الفتاة المثيرة التي تعمل في مقهى لونا مرافقتي، إذا رفضت، فإن عزرا هو صديقي الاحتياطي".

قلت لها: "عزرا هو صديقك الاحتياطي؟ لقد تعرّفتِ إليه منذ أسبوعين فقط".

أجابت: "هناك تقارب بيننا، فنحن نحبّ الموسيقى نفسها، وليس لديك أي فكرة عن مدى روعة أن يكون لديك أخيراً صديق غير سوي في المدرسة".

لا أستطيع لومها على ذلك، فقد تعرّضتُ ميا للكثير من المضايقات من شباب مثل كایل وٲيو لأنها ثنائية الميول.

قلت لها: "عليك الذهاب برفقة عزرا إذًا، وانسي الفتاة التي تعمل في مقهى لونا فهي متكبرة".

أمالتُ ميا إليّ برأسها، وكأنها تفكّر في الموضوع، ثم قالت: "وربما يجب عليك أن تذهب مع إليري، فأنت معجب بها، أليس كذلك؟".

قلت لها بتصنّع: "بالطبع أنا معجب بها".

أجابت ميا: "يا إلهي! مالكولم، نحن لسنا في الصف الرابع، ولا تجعلني أسأل ما إذا كنت تحبّها، لا أعرف ما الذي تنتظره، وأعتقد أنها تحبّك أيضاً".

بينما كانت ميا تسرح شعرها، وهي تنظر إلى المرأة الخلفية للسيارة، تجمّدتُ فجأة في مكانها، وقالت: "ما هذا بحق الجحيم؟".

لم أكن متأكدًا مما إذا شعرت بالارتياح أو بخيبة أمل لأن هناك ما شئتُ انتباهها.

سألتها: "ما الخطب؟".

لكنها كانت تحدّق إلى خارج النافذة عابسة، ثم قالت: "إلى أين هي ذاهبة؟ ظننّتها ستقضي الليلة في المنزل".

استدرتُ لأرى سيارة ديزي النيسان الرمادية تتراجع في ممّر كوون، متجهة في الاتجاه المعاكس لنا.

قالت ميا فجأة: "اتبعها".

ثم ضربتني على ذراعي، وقالت: "هيا يا مال، أرجوك، أريد معرفة ما تفعله، إنها كتومة جدًّا في الفترة الأخيرة".

قلت: "ربما خرجت لشراء الدواء".

ولكن كان لديّ الفضول نفسه أيضاً، فتبعناها إلى وسط المدينة وبعد مقبرة إيكو ريدج، جلّستُ ميا بشكل مستقيم في مقعدها، بينما تباطأت سيارة النيسان، ولكن ديزي لم تتوقّف.

أتساءل عما إذا كانت قد فكّرت في زيارة قبر لاسي، ولكنها لم تستطع إجبار نفسها على القيام بذلك، غادرت ديزي إيكو ريدج وشققت طريقها عبر بلديتين متجاورتين، وبدأت في تتبعها، من دون إيلاء المكان الذي وصلنا إليه كثيراً من الاهتمام، وكانت الساعة الرابعة والنصف، وقد تجاوزنا تقريباً النقطة التي سنكون قادرين فيها على الوصول إلى بارتلي في الوقت المناسب لمقابلة التوأم، وعندما وصلت السيارة أخيراً إلى ممر مبنى فيكتوري أبيض، أوقفنا سيارتي بعيداً قليلاً بينما كنا ننتظر خروج ديزي من السيارة، وكانت تضع النظارة على الرغم من أن أشعة الشمس كانت ضعيفة وقد انخفض قرصها في الأفق، فتوجّهت بسرعة إلى الباب الجانبي للمبنى، وعندما دخلته، تقدّمتُ بالسيارة إلى الأمام حتى أتمكن وميا من قراءة اللافتة المعلقة في الخارج:

ديورا كريتون، دكتورة في علم النفس.

قلتُ وأنا أشعر بالضيق: "هاه؟ حسناً، هذا كل شيء".

كنت أعتقد أن ما تفعله ديزي سيكون أكثر إثارة للدهشة.

قالت ميا: "ديزي تزور طبيباً نفسياً؟ لماذا لم تخبرنا؟ لماذا تتسلل دائماً؟".

قلتُ: "ربما تريد بعض الخصوصية".

قالت ميا: "كل ما لديها هو الخصوصية، إنه أمر غريب جداً، مال، كان دائماً لديها مليون صديق، والآن ليس لديها أي صديق، أو على الأقل، لم تعد تراهم أبداً".

قلت لها: "أتظن أنها مكتئبة؟ لأنها فقدت وظيفتها؟".

صححت ميا كلامي قائلة: "لقد تركت وظيفتها بإرادتها، ولا تبدو مكتئبة بل هي منعزلة وبعيدة عن الجميع فقط، لكنني لا أعرفها حقاً، وبالكاد أعرف من هي الآن".

ثم استرخت في مقعدها ورفعت صوت الراديو جداً لدرجة أننا لم نعد نستطيع الحديث بعد الآن، قادت السيارة بصمت حتى اجتازت لافتة إيكو ريدج ترحب بكم واتجهت إلى شارع مانشستر، فتوقّفنا تحت الضوء أمام الطريق العام.

نظرت ميا إلى اليسار، وقالت: "إنهم يعيدون طلاء أرمسترونغ".

يجب أن يكون هناك طبقة طلاء واحدة فقط على جدار محل أرمسترونغ حتى الآن، لأنه لا يزال في إمكانك رؤية الخطوط العريضة الباهتة لعبارة: "بنات الكوركوران ملكات قاتلات".

كان هناك سلّم على الحائط، وقد شاهدنا رجلاً يشقّ طريقه عبره ببطء إلى الأسفل.

قلتُ متسائلاً: "هل هذا فانس باكيت؟ أيمن أن يسمح أحدهم لهذا الرجل باستخدام السلم؟ أو أن يثق به لكي يدهن خطوطاً مستقيمة؟".

إن مجرم إيكو ريدج المزعوم والسكران دائماً ليس بالرجل المناسب للقيام بالوظائف الفردية، ولا بد أن أصحاب المحل كانوا تواقين إلى إنجاز العمل بسرعة.

رفعت ميا عنقها، وقالت: "انتظر، هل رفيقتك التي ستصطحبها في المستقبل إلى حفل العودة في طريقها إليه؟".

ظننتُ للحظات أنها تعني إليري، حتى خرجت بروك بينيت من سيارة متوقفة بمحاذاة الرصيف، وأغلقت الباب خلفها، ومشيت بسرعة نحو فانس، فبدت كما لو أنها تنتظره حتى ينتهي من عمله، فأخرجت ميا هاتفها لرؤيتهما عن قرب.

قالت: "ما الذي يمكن أن يتحدّث عنه هذان؟".

سألته: "هل تستطيعين رؤية شيء ما؟".

أجابتنني: "ليس تماماً، فكاميرا هاتفها سيئة، لكن إيماءات يدها تبدو نوعاً ما مضطربة، ألا تعتقد ذلك؟".

بدأت بروك تبتعد عن فانس، وكنتُ أراقبه في حال كان على وشك القيام بأي شيء مريب لها، لكنه لا يتحرّك ولا يبدو أنها تتراجع، وعندما استدارت نحو الشارع، لمحتُ وجهها قبل أن يتغيّر الضوء، إنها لا تبدو خائفة أو مستاءة أو تبكي كما كانت تفعل خلال الأسبوعين الماضيين، بل تبدو قوية العزيمة.

الفصل الثاني عشر

إليري

الجمعة، 27 أيلول

هذه المرة كان هاتف عزرا الذي يرُّ وقد ورد الاتصال من كاليفورنيا.
رفعه نحوي، وسأل: "سادي؟".

فقلتُ وأنا أنظر بشكل فطري إلى الممر: "ربما".

كنا في غرفة الجلوس نمضي بعض الوقت في مشاهدة نيتفلكس بعد
العشاء، وكانت نانا في الطابق السفلي تكوي الملابس، فهي تكوي كل
شيء، بما في ذلك قمصاننا، لذا فقد استغرقها ذلك نصف ساعة في
الأسفل، ومع ذلك وقف عزرا واتَّجَّه نحو السلم فتبعته.

قال في منتصف الطريق: "مرحباً".

"مرحباً، لقد اعتقدنا أنها أنتِ، انتظري فنحن في طريقنا إليك".

جلسنا في غرفته والباب مغلق، جلس عزرا إلى مكتبه، وأنا في
المقعد المجاور للنافذة قبل أن يرفع هاتفه ويشغّل تطبيق فيس تايم.

صاحت سادي: "ها أنتِ ذا"، كان شعرها مصففاً على شكل ذيل
حصان وقد أرخت خصلات شعرها المتناثرة في كل اتجاه، وهذا جعلها تبدو
أصغر سنًا، وكنت أبحث في وجهها عن أدلةٍ تخبرني عن حالها، لأن مكالماتنا
عبر سكايب لا تخبرني بأي شيء، ولا نانا أيضاً. لكن سادي كانت تظهر
التعابير المرحية والحازمة نفسها التي كانت تتمتع بها في كل مرة لمحتها

فيها خلال الأسابيع القليلة الماضية، التعابير التي تقول إن كل شيء على ما يرام وليس لديّ ما أشرحه أو أعتذر عنه.

"ماذا تفعلان في المنزل ليلة الجمعة؟"

أجاب عزرا: "في انتظار رحلتنا، فنحن ذاهبان إلى تجمع حماسي في مزرعة الرعب".

حكّت سادي خدّها، وقالت: "تجمع حماسي؟ أين؟".

قلت لها: "في مزرعة الرعب، إنهم يقومون بنشاطات مدرسية هناك أحياناً، ونحصل على مجموعة من التصاريح المجانية حتى يتمكن الأشخاص من قضاء بعض الوقت الممتع".

"هذا ممتع! مع من ستذهبان؟"، صمت كلانا، ثم قال عزرا أخيراً: "لقد كوّنّا صداقات جديدة".

كنا صادقين في معظم ما قلناه، فنحن سنلتقي بميا ومالكولم هناك، ولكن رحلتنا الفعلية مع الشرطي رودريغيز، لأن نانا لم تسمح لنا بمغادرة المنزل حتى صادفته في وسط المدينة، وعرضَ اصطحابنا، ولا يمكننا إخبار سادي بذلك، على الرغم من وقوعنا في ورطة إذا أخفينا عنها شيئاً ولم نخبرها به.

قبل أن نبدأ بمكالماتنا الأسبوعية عبر سكايب مع سادي، أرسلت منشأة هاملتون لإعادة التأهيل دليل تفاعلات المقيمين المكون من ثلاث صفحات والذي افتتح بـ "التواصل الإيجابي المعزز بين النزلاء وأحبائهم هو حجر الأساس في عملية التعافي"، وبعبارة أخرى، حصلوا على خلاصة الأمور فقط، لكن ها نحن نتلقّى مكالمة مفاجئة غير رسمية بالتأكيد وتتلاعب بالقواعد. إن الحاجة إلى مرافقة الشرطة بعد استهدافنا من قبل مطارِد مجهول ليس مدرجاً في قائمة موضوعات إعادة التأهيل التي تمّت الموافقة عليها.

سألت سادي بينما كانت ترمش عيناها: "هل من أحدٍ مميز؟".

توتّرت أعصابي، لأن عزرا كان لديه حبيب في موطنه، وهي تعرف جيداً أنه ليس من النوع الذي يتخطى أحبتّه بعد شهر، فقلتُ لها: "إنهم أصدقاء من المدرسة فقط".

"إننا مشغولان هنا، ولدينا التجمع الحماسي الليلة، وحفلة الخريجين ستقام يوم السبت المقبل".

إن لاحظت سادي البرودة في صوتي، فلن تستجيب، ولكنها قالت: "يا إلهي! هل حان وقت حفل الخريجين بالفعل؟ هل ستذهبان إلى حفلة الرقص؟".

أجاب عزرا: "أنا ذاهب برفقة ميا"، تحوّلت نظراته نحوي، فقرأت في عينيه ما لا يقوله: "ما لم يتمّ إلغائه".

قالت سادي: "هذا يبدو ممتعاً، إنها تبدو رائعة، وماذا عنك يا إل؟".

أخذت ألمس الشقّ في بنطالي الجينز. عندما أخبرني عزرا الليلة الماضية أن ميا طلبت منه الذهاب إلى الحفل، صدمني ذلك، فقد أصبحت أميرةً من دون رفيق، على الرغم من ثقتي بأن الأصوات كانت مُعدّة مسبقاً، إلا أن شيئاً ما بشأن ذلك لا يزال يثير قلقي، ربما لأنني حتى الليلة الماضية افترضت أن أصدقاءنا الجدد ليسوا من محبي حفلات الرقص المدرسية، والآن بئُ اعتقد أن مالكولم وحده ليس كذلك، معي على الأقل.

لكن سادي لا تعرف شيئاً عن ذلك، فقلتُ لها: "لم أقرّر بعد".

أصرت عليّ وقالت وهي تغمزني: "يجب أن تذهبي، وخذي معك ذاك الشاب الوسيم، فقد شعرت ببعض الانجذاب بينكما في آخر مرة تحدّثنا فيها، هل أنا على حق؟".

استدار عزرا نحوي بابتسامة قائلاً: "ماذا الآن؟ هل تتحدّث عن مال؟".

شعرتُ بوخز على بشرتي من شدة الاستياء، فلا يحقّ لسادي أن تفعل ذلك بي، إنها لا تستطيع أن تخرجني بهذه الطريقة وأنا لم أجدّ مشاعري تجاهه بعد، في حين أنها لا تخبرنا أبداً بأي شيء مهمّ عن نفسها، فشددت كتفيّ وأملت رأسي، كما لو كنا نلعب الشطرنج، وقد اكتشفت للتو حركتي التالية، فقلتُ لها: "حفلة الترحيب كانت ذات شأن عظيم هنا، أليس كذلك؟ الناس مهووسون بحلبة الرقص حتى إنهم يتذكرون أنك كنت ملكة منذ عشرين عاماً".

تحولت ابتسامة سادي الصادقة إلى ابتسامة مصطنعة، وانحنيتُ إلى الأمام مقتربةً من الهاتف، فوجدت أنها أصبحت غير مرتاحة، فشعرت بأنني

سعيدة لذلك، لأنني قد سئمت من كوني دائماً المُحرّجة، وقلت: "لم تتحدّثي أبداً عن ذلك، لا بدّ أنها كانت ليلةً ممتعة".

كانت ضحكتها خفيفة وهشّة مثل غزل البنات تماماً، فأجابتنني: "ممتعة كأيّ حفلٍ راقص في بلدة صغيرة، حتى أنني أكاد لا أذكرها".

ضغطت عليها بقولي: "ألا تتذكّرين أنكِ كنتِ ملكة الحفل؟ هذا غريب!"

كان عزرا متوتراً بجانبني، وعلى الرغم من أنني لم أشح بنظري عن سادي، ففي إمكاني أن أشعر بأنه يحدّق إليّ.

لا نقوم بذلك أبداً، ولا نبحث عن المعلومات التي لا تريد سادي أن تقدّمها إلينا، بل نتابع حديثها دائماً.

لعلقت سادي شفيتها وقالت: "لم يكن الأمر عظيماً، ربما يكون حدثاً أكبر الآن حيث يمكن للمراهقين توثيق كل شيء عبر وسائل التواصل الاجتماعي".

ثم نظرت إلى عزرا، وقالت: "بالحديث عن ذلك، أنا أحبّ قصص الإنستغرام الخاصة بك، إنك تجعل المدينة تبدو جميلة جداً، وأكاد أفتقد العيش فيها".

فتح عزرا فمه ليُجيب، لكنني تحدثت أولاً: "من رافقك إلى الحفل؟".

كانت نبرة صوتي تنمّ عن تحدّي، فكنت أتحدّثها أن تحاول تغيير الموضوع مرة أخرى، ويمكنني أن أقول إنها تريد ذلك بشدة لدرجة أنني كدت أراجع عن ذلك بنفسي.

لا أستطيع التوقّف عن التفكير في ما قالته كارولين كيلدوف في متجر دالتون، كانت تريد أن تكون أميرة، يا له من شيءٍ سخيف أن تحلم به! سادي كانت واحدة منهن، والدتي المنفتحة والتي تحب إثارة الانتباه، وقد وصلت إلى القمة المطلقة ونالت شعبية كبيرة في المدرسة الثانوية، ولم تتحدّث عنها أبداً.

يجب أن أجعلها تتكلّم في هذا الأمر.

في البداية، اعتقدتُ أنها لن تجيب، لكن عندما تخطّت الكلمات شفيتها بدّت متفاجئة بقدرتي.

قالت: "فانس بوكيت".

لم أكن مستعدة لسماع ذلك، وبدأ عزرا يتنفس بعمق بجانبني، وظهرت علامات عبوس بين عيني سادي، فارتفعت نبرة صوتها، وهي تنظر إلى كلينا قائلةً: "لماذا؟ هل التقيتما به؟".

قال عزرا: "لفترة وجيزة".

وفي الوقت نفسه سألتها: "هل كانت علاقتك جادةً معه؟".

سحبت سادي أحد قرطبيها وقالت: "لم أكن جادةً بشأن أي شخص في ذلك الوقت".

كانت تلك حركتها التي تدلّ على توترها، فلففت خصلةً من شعري حول إصبعي، وكانت تلك حركتي الخاصة، وإذا كرهت سادي هذا النوع من الاستجواب فسوف تكره السؤال التالي.

قلتُ: "من رافقت سارة؟".

وكانني تناولت ممحاةً ومسحتُ تعابير وجهها، لم أسأل عن سارة منذ سنوات، فقد درّبتني سادي ألا أجهد نفسي في السؤال، وبدأ عزرا يفرقع براجمه، وتلك حركة التوتر الخاصة به. كنا جميعاً غير مرتاحين إلى حد كبير وفهمتُ فجأةً لماذا ينصح هاملتون هاوس بالتواصل الإيجابي المعزز.

سألت سادي: "المعذرة، ماذا؟".

"من كان رفيق سارة في الحفل؟ هل كان شخصاً من إيكو ريدج؟".

قالت سادي وهي تنظر من فوق كتفها: "لا، لم يكن من البلدة؟ حسناً".

عادت تعابير مشرقة مصطنعة ترتسم على وجهها، وقالت: "أعتذر، لكن عليّ الذهاب، فليس من المفترض أن أستخدم هذا الهاتف لأكثر من دقيقتين، أحبكما، واقتضيا وقتاً ممتعاً الليلة، سأحدثُ إليكما قريباً".

أرسلت لنا قبلةً وانقطع اتصالها.

حدّق عزرا إلى الشاشة الفارغة، وقال: "لم يكن هناك أحد خلفها، ولكن أيمكن أن يكون هناك أحد؟".

قلت له: "لا"، بينما سمعنا جرس المنزل يرن.

قال عزرا: "عمّ كان كل هذا؟".

لم أجه لأنني لا أستطيع أن أشرح الدافع الذي كان يحثني على أن أجعل سادي تخبرنا بأي شيء مثير للاهتمام، بالنسبة إلى كل ما يتعلق بالوقت الذي قضته في إيكو ريدج. جلسنا صامتين حتى ارتفع صوت نانا على الدرج.

"إيري، عزرا، جاء من سيصحبكما".

وضع عزرا هاتفه في جيبه ونهض على قدميه، فتبعته إلى الردهة، وقد شعرت بالضييق وعدم الارتياح، وظهرت لديّ رغبة مفاجئة في الإمساك بيد أخي بالطريقة التي اعتدت عليها عندما كنا صغاراً، كانت سادي تحب أن تقول إننا ولدنا ممسكان بأيدي بعضنا البعض. وعلى الرغم من أنني متأكدة من أن ذلك مستحيل جسدياً، إلا أن لديها العشرات من الصور التي تظهرنا ونحن نمسك بأصابع بعضنا في سريرنا، ولا أعرف ما إن كانت سادي تفعل ذلك مع سارة، لأنها لم تتحدّث عن ذلك مطلقاً، فكان ذلك مفاجئاً.

عندما نزلنا إلى الطابق السفلي، كان الشرطي رودريغيز ينتظر في بهو نانا بزيه الرسمي الكامل، وكانت يده مشبوكتين بقوة أمامه، وأستطيع أن أرى تفاحة آدم ترتفع وتنخفض بينما يتلع، قال: "ما أخباركما، أيها الرفيقان؟".

قال عزرا: "نحن بخير، شكراً على التوصيلة".

أجابه الشرطي: "ما من مشكلة، أنا لا ألوم جدتك علي قلقها، لكننا نعمل مع طاقم مزرعة الرعب ومديري المدارس للتأكد من أن التجمع هو بيئة آمنة لجميع الطلاب".

بدا وكأنه يقرأ كلامه من نص مكتوب أمامه، ويمكنني أن أرى المراهق الأخرق يطلّ من تحت مظهر شرطي جديد. لقد ذكرت لنانا كيف وصفتُ سادي خلال مكالمتنا الأولى في إيكو ريدج، وأنه كان منكسر القلب ومنهاراً في جنازة لاسي، لكنها أطلقت ذلك الصوت قائلة: "صه".

حاولت البدء بأحاديث معها عن سادي، ولكنها كانت تقول، وهي منزعة: "لا أذكر ذلك، والدتك تتصرّف بطريقة درامية".

إنه ردّها المعتاد حول سادي، وأعتقد أنني لا أستطيع لومها. لكنني ما زلت أنظر إلى صورة نزهة لاسي المدرسية التي التقطتها عبر هاتفي، عندما أقوم بتكبير صورة ريان رودريغيز البالغ من العمر ستة عشر عاماً، يمكنني رؤيته بوضوح، وأستطيع أن أتخيل ذلك الفتى الحزين ينهار بسبب فقدانها، لكن ما لا أستطيع قوله هو ما إذا كان سيفعل ذلك لأنه كان حزيناً أم لأنه كان غاضباً.

طوّت نانا ذراعيها، ونظرت في وجه الشرطي رودريغيز، بينما كنا نلتقط أنا وعزرا معطفينا، وقالت: "كل طالب، نعم لكن عليك أن تكون يقظاً بشكل خاص بشأن الفتيات الثلاث المتورطات"، تجعّد فمها وتابعت قائلة: "سأكون أكثر سعادة إذا ألغوا الحفل تماماً، لماذا نمح من يقف وراء ذلك فرصاً أكبر؟".

قال الشرطي رودريغيز: "حسناً، الجانب الآخر من النقاش هو: لماذا منحهم المزيد من القوة؟".

أغمضت عينيّ وقد تفاجأت من ردّه، لأن ذلك منطقي بالفعل.

تابع حديثه قائلاً: "إذا كان هناك أي شيء يجدر ذكره، فهو أننا نشعر أن الأمان سيكون سائداً بين ظل الأعداد التي ستحضر، فمزرعة الرعب دائماً تكون ممثلة يوم الجمعة، ومن نتعامل معه يحبّ العمل متوارباً عن الأنظار، لذلك أنا متفائل لأنه سيبقى بعيداً عن الأنظار تماماً الليلة".

أخرج مفاتيحه فكاد يسقطها، ولكنه التقطها في اللحظة الأخيرة باندفاع، ما جعله يشعر بالإحراج، ومن خلال لحظة قصيرة يمكن إبراز الكفاءة.

قال رودريغيز: "هل أنتم جاهزان؟".

قال عزرا: "كما لم نكن في أي وقت مضى".

تبعنا الشرطي رودريغيز خارج الباب إلى سيارته المركونة في الممر، فجلستُ في المقعد الأمامي، بينما صعد عزرا في المقعد الخلفي، وما زلت منزعةً من حديثي مع سادي، لكنني لا أريد أن أفوّت فرصة مراقبة الشرطي رودريغيز من مسافة قريبة.

سألتُ وأنا أضع حزام الأمان: "حسناً سيكون هذا في منطقة بلودي بيع توب، أليس كذلك؟".

قال الشرطي رودريغيز: "نعم، نفس المسرح حيث سيُقام عرض حفلة الرجل الميت".

رأيتُ عيني عزرا في مرآة الرؤية الخلفية، بالنسبة إلى بلدة مهووسة بماضيها المأساوي، فإن إيكو ريدج تبدو غريبة الأطوار حول حفلة مدرسة ثانوية في مسرح جريمة.

سألتهُ بينما كان يخرج من الممر: "هل ستحضر الحفل إن كنتَ خارج أوقات العمل؟"

أجاب الشرطي بمرح: "التجمع؟ لا، هذه الحفلات لكما أيها الرفيقان، وليست للكبار".

قلت له: "لكنك تخرّجت منذ مدة ليست ببعيدة، وظننت أن هذا الاحتفال هو المكان الذي سيجتمع فيه الناس عندما يعودون إلى المدينة، مثل صديقتي ميا وربما ستحضر أختها".

هذه كذبة حسبما أعرف، فهي ماتزال تحبس نفسها في غرفتها.

"لقد تخرّجت منذ فترة، ديزي كوون هل تعرفها؟".

"بالطبع، الجميع يعرف ديزي".

لم يُثر اسمها أي رد فعل، وبقيَ صوته هادئاً، لكنه بدا مشغول البال قليلاً وهو ينعطف إلى الطريق الرئيسي، لذا ضغطتُ على وترٍ آخر: "وعاد ديكلان كيلبي أيضاً، أليس كذلك؟ لكن مالكولم لم يكن متأكداً من قدرته على الحضور الليلة".

ركل عزرا مقعدي بخفة بينما كان يسأل: "ما مخططاتك؟".

تجاهلت سؤاله، واستأنفتُ حديثي قائلة: "هل تعتقد أنه سيكون موجوداً؟".

تشجّجت عضلة في فك الشرطي رودريغيز وقال: "لا أعرف".

"أنا أشعر بالفضول بشأن ديكلان، هل كنتما صديقين في المدرسة الثانوية؟".

أطبقَ شفّتيه حتى أصبحتا خطأً ربيعاً، وأجاب: "بالكاد كنا نتحدّث معاً".

سأل عزرا من المقعد الخلفي: "هل كنت صديقاً لاسي كيلدوف؟".
أخيراً فهم مقصدي، وأن تصل متأخراً خير من ألا تصل أبداً، لكن ذلك لم يفدني شيئاً، فقد مدّ الشرطي رودريغيز ذراعه وقلب مقبضاً على لوحة القيادة، وملاً السيارة بأصوات خافتة ومستقرّة، وقال: "أحتاج إلى التحقق من وجود تحديثات من المركز، هل يمكنكما الحفاظ على الهدوء لثانية؟".

تحرك عزرا من مكانه في المقعد الخلفي، وانحنى إلى الأمام حتى يتمكن من الهمس إليّ في أذني: "لثانيتين".

الفصل الثالث عشر

إليري

الجمعة، 27 أيلول

رافقنا الشرطي رودريغيز إلى نهاية المنتزه البعيد مروراً بأفعوانية ديمون مع شلالها الأحمر الدموي ومدخل متاهة دارك ويتش، وكان هناك فتاتان تضحكان بتوتر، بينما كان يسلمهما مشرف مقنع مصباحين يدويين، وهو يقول لهما: "ستحتاجان إلى هذين المصباحين للتنقل في السرداب الأسود الذي ستدخلانه، لكن كونا حذرتين في هذه الرحلة، لأن الرعب يترقبكما كلما تقدمتما".

تفحصت إحدى الفتاتين مصباحها اليدوي، ثم سلطته نحو الجدار المظلل في المتاهة، وسألت: "هذه المصباح سوف تتعطل عندما نحتاج إليها أليس كذلك؟".

كرّر المشرف وهو يتنحّى جانباً: "الرعب ينتظركما كلما تقدّمتما أكثر".

برزت يدٌ ذات مخالب من الحائط وحاولت أن تمسك بأقرب فتاة إليها، فصرخت وتراجعت لترتطم بصديقتهما.

قال الشرطي رودريغيز وهو يرفع غطاء إحدى خيام بلودي بيغ توب: "تلك الخدعة تنال من الجميع كل مرة، سأترككما الآن، أيها الرفيقان، حظاً سعيداً في العثور على مقعدين فارغين".

كانت المدرجات التي تحيط بخشبة المسرح دائرية ومليئة بالكامل، بينما كنتُ وعزرا نتفحص الحشد رأينا ميا وهي تلوّح لنا بقوة. قالت عندما

وصلنا إليها: لقد وصلتما في الوقت تماماً، وقد كان صعباً جداً الحفاظ على هذين المقعدين محجوزين".

وقفت في الحال والتقطت معطفها من المقعد بجانبها، بينما نظر عزرا إلى الأسفل، فكان هناك منصة صغيرة أقيمت على يسار المسرح.

قال عزرا: "سأذهب لأحضر شراباً، أترغبان في أن أحضر لكما شيئاً ما، يا رفاق؟".

أجبتة: "لا، أنا بخير". بينما هزّت ميا رأسها.

ثم نزل عزرا الدرج، وقد حشرت نفسي باتجاه ميا في تلك المساحة الصغيرة جداً، لكنني لم ألاحظ بريق الشعر الأحمر حتى جلست بجانبها.

قالت فيف: "لا شك في أنك تحبين المشاهدة عن كثب".

كانت ترتدي سترةً قطنيةً خضراء وبنطال جينز، وكانت تضع وشاحاً أصفر اللون حول رقبتها، وقد جلست إلى جانبها فتاتان أخريان، وكل منهما تحمل كوباً بلاستيكياً يتصاعد منه البخار.

نظرت إليها ثم إلى خشبة المسرح حيث كانت كاترين وبروك والمشجعون الآخرون يصطفون، وقلت لها بارتباك: "اعتقدت أنك مشجعة".

اصطنعت ميا سعلَةً مزيفة، وقالت: "هذا محرج".

فقالت فيف مُعتدَّةً بنفسها: "ليس لديّ وقت للتشجيع، فأنا أدير صحيفة المدرسة".

تسلَّل الغرور إلى نبرة صوتها، وهي تشير إلى الممر أمام المسرح، حيث كان هنالك رجلٌ يقوم بإعداد كاميرا كبيرة الحجم، وتابعت: "تغطي القناة الخامسة في برلنغتون قصة التخريب بناءً على مقالتني، وهم يستعينون بالناس المحليين".

انحنيتُ إلى الأمام، وقلت بمكْرٍ ظهر رغماً عني: "هل تسمح المدرسة لهم بذلك؟".

قالت فيف بعجرفة: "لا يمكنك إيقاف الصحافة الحرة"، وأشارت إليّ امرأة ملفتة للنظر ذات شعر داكن تقف بجوار الكاميرا، والميكرفون يتدلى من إحدى يديها، وأضافت بصيغَةً أقرب إلى الوقار: "هذه ميلي دينغلاسا،

تخرّجت من إيكو ريدج قبل عشر سنوات وذهبت إلى كلية الصحافة في كولومبيا".

قالت ذلك وهي تلفّ وشاحها حتى بدت طيّاته فنيّةً للغاية، وأردفت قائلة: "سيبدو مظهرها رائعاً على شاشة التلفاز، وقد بدأت أعتقد أن هذا هو الغرض من ذلك، أنا أطلق أحكاماً مسبقة، لكنني آمل أن تذكّرني بصفتي مرجعاً لمعلوماتها".

في الجانب الآخر أمسكت ميا بكمّي، وقالت: "الفرقة الموسيقية على وشك البدء".

عاد عزرا في الوقت المناسب يحمل زجاجة ماء في إحدى يديه.

أبعدتُ عينيّ عن المراسلة، بينما كان عشرات الطلاب يحملون آلات موسيقية، وهم يتقدّمون عبر المدخل الخلفي، وينظّمون أنفسهم على خشبة المسرح، كنت أتوقّع أن أرى زيّ فرق المسيرة التقليدية، لكنهم جميعاً كانوا يرتدون بناطيل رياضية سوداء وقمصاناً أرجوانية كتب عليها "ثانوية إيكو ريدج" في الجانب الأمامي بحروف بيضاء، وكان مالكولم واقفاً في الصف الأول، ومجموعة من الطبول ملفوفة حول رقبته.

قفز بيرسي غيلين إلى خشبة المسرح مرتدياً السترة الأرجوانية نفسها التي ارتداها أمام الهيئة الأسبوع الماضي، ووقف على منصة مؤقتة، وضبط الميكروفون، ثم رفع يديه في الهواء، بينما بدأ الناس في المدرجات بالتصفيق.

"مساء الخير إيكو ريدج، هل أنتم مستعدون لقضاء بعض الوقت من المرح؟ في هذه الليلة الحافلة سندعم فريق إيكو ريدج ايغلز غير المهزوم، والذي يتوجّه غداً لخوض مباراة ضد ثانوية سولزبيري".

أصدر الحشد المزيد من الهتافات، وصفقت ميا بجانبها تصفيقةً خفيفة: "مرحى".

صاح بيرسي: "دعونا نبدأ الحفلة!".

احتلت المشجعات أماكنهن في منتصف المنصة على شكل حرف V وكرات التشجيع الملونة باللونين البنفسجي والأبيض مثبتة بإحكام على المعصمين، وخرجت فتاة صغيرة من القسم النحاسي للفرقة، وحدّقت

باتجاه الأضواء العلوية اليمنى، ثم نفخ بيرسي صافرةً لتضع الفتاة آلة ترومبون على شفيتها.

عندما صدحت النغمات الأولى لأغنية باراديس سيتي، انحنيتُ وعزرا أمام ميا وتبادلنا نظرات متفاجئة، فسادي متعصبة لفرقة غانز أند روزز، وقد نشأنا ونحن نصغي إلى هذه الأغنية التي كانت تصدح في أرجاء كل شقة عشنا فيها، وظهرت شاشةٌ مضيئة في الجزء الخلفي من المسرح تستعرض لقطات مميزة من مباريات كرة القدم، وخلال ثوانٍ وقف كل الجمهور.

في منتصف الحفل تقريباً، بينما بدأ كل شيء في التصاعد، وتوقف قارعو الطبول الآخرون، انطلق مالكولم يقرع على الطبول قرعاً انفرادياً حماسياً، فتحرّكت عصيّ الطبل الخاصة به بسرعة لا تُصدّق، وبدأت عضلات ذراعيه تضطرب مع كل جهد يبذله، وهنا رفعتُ يدي للتلويح قبل أن أدرك ما أفعله، وكانت المشجعات متناغمات على إيقاع مثالي مع الموسيقى، وهن يؤدّين رقصةً طاقتها عالية، وتنتهي بإلقاء بروك في الهواء التي حلقت فتطايرت تسريحة ذيل الحصان الخاصة بها، ثم التقطتها الأيدي التي كانت بانتظارها في اللحظة التي انتهت فيها الأغنية، وانحنت الفرقة بأكملها بشكلٍ موحد.

صققتُ بشدة حتى ألمتني راحتا يدي، بينما استدارت ميا نحوي، وابتسمت قائلةً: "أليس كذلك؟ أفقد كل ما أملك من سخرية عندما تغني الفرقة، إنها القوة الموحّدة لايكوريدج".

ارتطمتُ بفيف عن طريق الخطأ وأنا أتحرّك في مقعدي، فابتعدت بتجهم وقالت بحدة: "لا توجد مساحة كافية على هذا المقعد".

ثم التفتت إلى صديقتها وأكملت قائلةً: "أعتقد أن الرؤية أفضل في الأسفل".

تمتت ميا: "يا لها من مكافأة!".

بينما نهضن ثلاثتهن، أضافت قائلة: "لقد أخفناها".

بعد بضع دقائق ظهر ظلٌّ على مقعد فيف الشاعر.

نظرت إلى الأعلى لأرى مالكولم وهو لا يزال يرتدي قميصه الأرجواني، ولكن من دون الطبول، ويقول: "مرحباً، أديكم مساحة لشخصٍ إضافي؟".

كان شعره أشعث أما خدّاه فمتوردان، ما جعله يبدو لطيفاً حقاً.

قلتُ: "نعم بالطبع"، واقتربتُ من ميا، ثم أضفتُ: "لقد كنت رائعاً".

فابتسم لي، وكانت إحدى أسنانه الأمامية معوجة قليلاً، مما خفّف من حدة مزاجه المعتاد، وأشرتُ إلى المسرح حيث يقف المدرب غانيون ويتحدّث بشغف عن التقاليد وعن تقديم أفضل ما لدى اللاعبين، ولا تزال الصور تُعرض على الشاشة خلفه.

"سوف تفرع على الطبول ثانية؟".

"لا، لقد انتهينا هذه الليلة، وحن وقت الحديث عن كرة القدم".

استمعنا لدقائق قليلة إلى خطاب المدرب الذي أصبح مكرراً، فسألته: "ماذا حدث قبل ست سنوات؟ إنه يذكر هذا الموضوع بكثرة".

قال مالكولم: "بطولة الولاية، فازت إيكو ريدج بها عندما كان ديكلان طالباً في السنة الأولى".

ثم تذكّرت الكتاب السنوي في المكتبة المليء بصور الانتصار الضخم في مباريات الإياب على مدرسة كبرى، وديكلان كيلبي محمولاً على أكتاف زملائه بعد ذلك.

قلتُ: "هذا صحيح لقد ألقى أخوك لمستهُ الملائكية قبل ثوانٍ من انتهاء المباراة، أليس كذلك؟".

ربما يكون غريباً بعض الشيء مدى تذكّري للعبةٍ لم أحضرها قط، لكن مالكولم أوماً إليّ برأسه فقط.

"لا بد أن هذا كان مذهلاً".

ظهرت ملامح كبرياءٍ خجول وتردّد على وجه مالكولم: "أظنّ أن ديكلان كان يتفاخر لأسابيع بأنه سيفوز بتلك المباراة، وقد سخر منه الناس، لكنّه حقّق الفوز".

مرر يده عبر شعره المبلل بالعرق، وقد ارتفعت خصلاته فبدت غير متناسقة، ولا ينبغي أن تكون جذابة، ولكنها بدت بالنسبة إليّ كذلك.

ثم أكمل كلامه قائلاً: "لطالما فعل ذلك".

لا أستطيع أن أعرف ما إذا كانت شكوكي المزعجة تجاه ديكلان هي التي تجعل كلمات مالكولم تبدو متشائمة: "أكنتما مقربين من بعضكما؟".

بمجرد خروج الكلمات من فمي، أدركت أنني جعلت الأمر يبدو وكأن ديكلان قد مات، فعدّلت سؤالي: "هل أنتما مقربان؟".

قال مالكولم بصوت هادئ، وهو يميل إلى الأمام مسنداً مرفقيه إلى ركبتيه ومثبناً عينيه على المسرح: "لسنا مقربين، لا في الماضي ولا الآن".

بين الحين والآخر أبدو ومالكولم كأننا نحري نوعاً من المحادثات الجانبية التي لا نعترف بها، ومن المفترض أننا نتحدّث عن كرة القدم وشقيقه، لكننا بدأنا نتحدّث عما حدث قبل الفاجعة وبعدها أيضاً. هكذا أفكر في سادي، أنها كانت شخصيةً مختلفة قبل تلك الخسارة، والنوع القادر على تمزيق عالمك، فقد أصبحت نسخةً مختلفةً من نفسها بعد ذلك، على الرغم من أنني لم أعرفها إلا بعد موت سارة بفترة طويلة، وأنا متأكدة من أن ذلك صحيح.

أريد أن أسأل مالكولم أكثر، لكن قبل أن أتمكّن من ذلك، مدّت ميا يدها عبري ولكمته على ذراعه، وقالت: "مرحباً، هل فعلت ذلك الأمر؟".

قال مالكولم متجنباً نظرة ميا: "لا".

حدّقت إلينا وابتسمت، فراودني شعورٌ واضح بأن هناك شيئاً ما يفوتني.

كان المدرب غانيون يقول وقد انعكست على رأسه الأضلع ظلال إضاءة ملعب بيغ توب، فبدا وكأنه كائن فضائي متحمس بشكل استثنائي: "دعونا لا ننسَ بعد أن نهزم سولزبيرري غداً، وسنفعل ذلك، فلدينا أكبر تحدٍ هذا الموسم من خلال مباراة العودة الأسبوع المقبل، كانت هزيمتنا الوحيدة العام الماضي في المباراة التي خضناها ضدّ فريق لوثيران، ولكنها لن تتكرّر هذه المرة، لأنّ هذه المرّة..".

ملاً أذني صوت طقطقة كعب عالٍ، مما جعلني أجفل، ثم انطفأت الأضواء الساطعة، فتحوّلت الشاشة المضيئة إلى اللون الأسود، ثم أضيئت مرة أخرى وكان الفراغ يملأ الشاشة، تلاه صورة لاسي مرتديّة تاج حفلة التخرج، وهي تبتسم للكاميرا، فشهب الجمهور، وتجمّد مالكولم بجانبني.

ثم انشقت صورة لاسي شقيين، واستبدلت بعد ذلك بصور لثلاث فتيات: بروك وكاترين وأنا، وكانت صوراً مدرسية، لكن صورتي كانت بيضاء وكنت أشيح بوجهي بعيداً عن الكاميرا، فسرت القشعريرة في عمودي الفقري عندما تعرّفت إلى السترة التي ارتديتها بالأمس، عندما مشيت أنا وعزرا الى وسط المدينة لمقابلة مالكولم وميا في بارتلي، وكان ثمة من يراقبنا ويتبعنا.

بدأت أصوات موسيقى مرعبة تنبعث عبر مكبرات الصوت، والأصوات المخيفة ملأ صداها الخيمة، وقد بدا أن دماً سميكاً يقطر من الشاشة، يتخلله أحرف بيضاء عريضة: "قريباً". وفور انتهائه، ظلّ بلودي بيغ توب صامتاً تماماً، بينما كان الجميع مصدومين في نهايته، باستثناء شخص واحد، وهو ميلي دينغلاسا من القناة الخامسة، التي سارت بعزمٍ إلى المنصة نحو المدرب غانيون، وهي تحمل ميكروفونها الممدود، والمصور يتبع خطاها.

الفصل الرابع عشر

مالكولم

السبت، 28 أيلول

وصلتني الرسالة النصية من ديكلان بينما كنت أسير عكس الحشود
المغادرة مزرعة الرعب ليلة السبت: "أنا في المدينة لبضع ساعات، لا
تفرع".

كدت أن أرددّ على الرسالة: "أنا في مسرح جريمتك المزعومة، لا
تفرع".

لكنني تمكّنت من السيطرة على نفسي، واكتفيت بطرح سؤال
بسيط: "من أجل ماذا؟".

لكنه تجاهل سؤالتي، فوضعت الهاتف في جيبتي، وإذا كان ديكلان يتابع
الأخبار المحلية فهو يعلم أن حماسة الليلة الماضية تحوّلت إلى عرض جانبي،
وآمل أنه كان في نيو هامبشاير محاطاً بالناس عندما حدث كل ذلك، وإلا
سيجعل التكهنات أسوأ.

ولكن ما يفعله ديكلان ليس مشكلتي، والليلة سأكون مجرد سائق
أقلُّ إليري وعزرا بعد انتهاء دوام عملهما، لأن جدّتهما لم تعد تسمح لهما
بالسير على الأقدام في الغابة بعد ما حدث الليلة الماضية، ولأكون صريحاً،
كنت متفاجئاً قليلاً بأنها وافقت على السماح لي بأن أقلّهما، وقد أبلغتني
إليري أن الإغلاق سيكون قبل ساعتين من موعد نوم السيدة كوركوران
المعتاد.

توقّعت أن يكون بيت الرعب فارغاً، لكن الموسيقى والضحك تدقّقا نحوي ما إن اقتربت من المبنى، وقد تمّ بناء المنتزه بأكمله حول هذا المنزل المبنّي على الطراز الفيكتوري، وهو قديم ويقع على حافة منطقة كانت مكتظة بالأشجار فيما مضى، وقد رأيت صوراً له قبل أن يصبح منتزهاً ترفيهياً، فكان دائماً فخماً، لكن أبراجه بدت وكأنها على وشك الانهيار، والدرجات المؤدية إلى الشرفة العريضة ستتخطم إذا لم أخط عليها بحذر شديد، وكما يبدو أن الحال سيبقى على ما هو عليه، لكنه الآن أصبح جزءاً من الجو العام للمكان.

لم أحضر إلى هذا المكان منذ كنت في العاشرة من عمري، وقد أحضرني ديكلان وأصداؤه، لكنهم غادروا ما إن وصلنا إلى منتصف البيت. لقد تصرّفوا كالأوغاد الذين اعتادوا أن يرتكبوا هذه الأفعال الشنيعة، فاضطرت إلى المرور ببقية المنزل بمفردي، وقد أرعبتني كل غرفة دخلتها، فراودتني الكوابيس لأسابيع عديدة حول رجل في حوض استحمام مليء بالدماء، وكانت رجلاه من جذوع الأشجار.

أخيراً ضحك أخي عندما خرجت من بيت الرعب، وأنا مذعور وأنفي يسيل، وقال ساخراً: "لا تكن جبناً، لا شيء من ذلك حقيقي يا مال".

ارتفع صوت الموسيقى بينما كنت أصعد الدرج، أدت مقبض الباب، فلم يتزحزح ولم أجد جرساً، فطرقت عدة مرات، ولكن شعوراً غريباً انتابني، وأنا أتساءل من كنت أتوقّعه أن يسمع طرقات الباب ويفتحه في المنزل المسكون، أليس ذلك غريباً؟ لا أحد سيفعل ذلك، لذلك عدت إلى أسفل الدرج، واتجهت نحو الخلف، وعندما استدرت رأيت في الزاوية درجات خرسانية تؤدّي إلى باب محشور بقطعة من الخشب، فنزلت الدرج وفتحت الباب.

دخلت غرفة تشبه القبو، كان قسم منها يبدو مثل غرفة تبديل ملابس، والقسم الآخر مثل غرفة الموظفين، وقد كانت مساحتها كبيرة، وإضاءتها خافتة، وغصّت بالرفوف التي وُضعت الملابس على قسم منها، وكان هنالك مرآة كبيرة مبهرجة مبالغ في حجمها مرمية في الزاوية، وسطحها مغطى بالعبوات والزجاجات الفارغة، وتصطفّ أريكتان من الجلد المهترئ بمحاذاة الجدار، وتتوسطهما طاولة مغطاة بالزجاج، إلى جانب حمام بحجم الخزانة يقع إلى اليسار، والباب الذي كان مشقوقاً أمامي يؤدّي إلى مكتب صغير.

سرت بضع خطوات نحو الداخل باحثاً عن طريق يؤدّي إلى الطابق العلوي، فجأة دفعت يدُ ستارة مخملية مهترئة في الطرف المقابل للغرفة، فجعلتني تلك الحركة المفاجئة ألهث مثل طفل خائف، وقد ضحكت الفتاة التي ظهرت من خلف الستارة. كانت بطولي تقريباً، وهي ترتدي كنزة سوداء بلا أكمام تُظهر الوشوم على جلدها البني، كما تبدو أكبر مني بضع سنوات، قالت: "بو".

ثم عقدت ذراعيها وضغطت على رأسها، وهي تقول: "هل أنت مقتحم الحفلات؟".

طرفت عيناها، وقلت مرتبكاً: "ماذا؟".

"لا تدّعي البراءة، أنا خبيرة المكياج، وأعرف الجميع، وأنت تتعدّى على ملكية الآخرين".

ما إن فتحت فمي للاعتراض على كلامها، حتى أطبقته بعدما تحوّلت ملامح وجهها الصارمة إلى ابتسامة عريضة، وقالت: "كنت أتلاعب بك ليس إلا، اصعد إلى الطابق العلوي وابحث عن أصدقائك".

توجّهتُ إلى ثلاجة صغيرة، وسحبت زجاجتين من الماء، مشيرة إليّ محدّرة: "لكن هذه الحفلة من دون مشروبات، مفهوم كلامي؟ وسيتمّ إغلاق كل شيء إذا كان علينا التعامل مع مجموعة من المراهقين الثملين خاصةً بعد الذي حدث بالأمس".

"بالتأكيد، حسناً".

حاولت أن أبدو وكأنني أعرف ما الذي تتحدّث عنه، فلم يقل لي عزرا وإليري شيئاً عن الحفلة، وبعد ذلك أزاحت الفتاة الطويلة الستارة المخملية جانباً لتسمح لي بالمرور.

صعدت بضع درجات قادتني إلى بهو آخر يطلُّ على غرفة تشبه الزنزانة، فتعرّفت إلى الغرفة التي سبق أن زرتها برفقة ديكلان، ولكنها بدت أقل رعباً، وقد غصّت بضيوف الحفلات، ولا يزال بعضهم يرتدون زيهم التنكري، وقد أزالوا أقنعة وجوههم أو رفعوها إلى جبهاتهم، وكان رجل منهم يحمل رأساً مطاطياً تحت ذراعه وهو يتحدّث إلى فتاة ترتدي زي ساحرة.

شعرت بيد تشدّ كمّي، فنظرت إليها لأرى أظافر قصيرة حمراء زاهية، وما إن تتبععتها بدءاً من اليد إلى الوجه حتى أدركت أنها فيف، وبينما كانت

تحدّث إليّ لم أتمكّن من سماع أي كلمة نطقت بها بسبب ارتفاع صوت الموسيقى، فوضعتُ يديّ على أذنيّ بينما رفعت فيف صوتها، وهي تقول: "لم أكن أعرف أنك تعمل في مزرعة الرعب".

قلت لها: "أنا لا أعمل هنا".

تجهم وجه فيف، وقد فاحت منها رائحة عطر الفراولة، فهي تضع هذا العطر الذي عبقت رائحته الزكية، ولكنها توحى بأنها تعود إلى طفل صغير، قالت لي: "لماذا أتيت إلى حفلة الموظفين؟".

أجبتها قائلاً: "لم أكن أعرف أن هناك حفلة، فقد حضرت لأقلّ إليري وعزرا إلى منزلهما".

"حسناً، توقيتك جيد، كنت أرغب في التحدث إليك".

رمقتها بحذر، فأنا ألتقي بفيف كل أسبوع تقريباً منذ أن انتقلتُ إلى منزل نيلسون، ولكننا بالكاد تتبادل بضع الكلمات طوال الوقت، وكانت علاقتنا بأكملها -إذا أمكن تسميتها علاقة- قائمة على عدم الرغبة في التحدّث إلى بعضنا، فسألتنني: "هل يمكنني إجراء مقابلة معك من أجل مقالي التالي؟".

لا أعرف ما الذي تسعى إليه، ولكنه لا يمكن أن يكون جيداً، فسألته: "لماذا؟".

"أنا اعمل على مقال بعنوان أين هو الآن؟ وهو عن مقتل لاسي، اعتقدت أنه سيكون مثيراً للاهتمام الحصول على وجهة نظر شخص عاش على هامش الحياة بعد وقوع الجريمة، وما يعنيه أن يكون أخوك شخصاً مهماً؟ نستطيع أن..".

"هل فقدت عقلك؟".

رفعت ذقنها، وهي تُجيب عن سؤالي قائلة: "كلا، سأكتبه على أي حال، ألا تريد أن تعطي رأيك؟ قد يجعل ذلك الناس أكثر تعاطفاً مع ديكلان، ما إن يسمعوا قصته على لسان أخيه".

ابتعدت من دون أن أجيبها، فقد كانت فيف وسط التغطية الإخبارية المحلية للحدث التشجيبي، وكانت تجري المقابلات وكأنها أحد خبراء جرائم إيكو ريدج. كانت تحت جناحي كاترين لفترة طويلة، ولامجال لتضييع فرصتها

والأضواء مسلطة عليها، لكنني لست مضطراً إلى تقديم المساعدة في إطالة الخمس عشرة دقيقة من الشهرة الخاصة بها، فنظرت إلى الحشد، وأخيراً عثرت على إليري، فمن الصعب ألا ترى شعرها الذي يبدو كسحابة سوداء حول رأسها، أما عيناها الكبيرتان اللتان تبدوان وكأنهما تستوليان على معظم وجهها، فقد جعلتاها تبدو وكأنها شخصية من شخصيات الأنمي الهمجية، ولست متأكداً مما تقوله عيناها على لساني. ما إن لمحتني حتى لوّحت لي بيدها، وهي تقف إلى جانب رجل أكبر منا ببضع سنوات يربط شعره، وله لحية صغيرة، ويرتدي قميصاً ضيقاً أزرق مفتوحة. من خلال النظرة الأولى يتبين أنه شاب جامعي يتصيّد فتيات المدارس الثانوية، فكرهته على الفور. قالت إليري عندما وصلت إليهما: "مرحباً، يبدو أن هناك حفلة الليلة".

أجبت وأنا أرمق الشاب الجامعي بنظرة عدائية: "لاحظت ذلك".

ولكنه لم يبدو منزعجاً، بل أوضح لي قائلاً: "إنه تقليد بيت الرعب، وهو يُقام دائماً يوم السبت الأقرب إلى عيد ميلاد المالك، ولكنني لا أستطيع البقاء طويلاً، فلدي طفل صغير في المنزل لا ينام أبداً، ويجب أن أُمّنح زوجتي فترة استراحة".

مسح وجهه والتفت إلى إليري، وهو يقول: "هل أزلت كل الدماء؟".

تفحّصت إليري وجهه، وقالت: "نعم، وأنت تبدو على ما يرام".

"شكراً، أراك لاحقاً".

وشقّ طريقه بين الحشد.

قلت له: "الى اللقاء"، وشاهدته يغادر وقد شعرت بتوتر أقل بعد أن أدركت أنه لم يكن يضايق إليري. سألتها: "الدم الذي يشير إليه هو مجرد مكياج، أليس كذلك؟".

ضحكت إليري وقالت: "نعم، دارين يقضي الليل كله في حوض استحمام ممزوج بالدماء، وبعض الناس لا يزيلون مكياجهم حتى يصلوا إلى المنزل، وقد فعل ذلك مرة فأرعب طفله، والطفل المسكين قد يبقى خائفاً مدى الحياة".

"عندما كنت في العاشرة من عمري شعرت بالخوف الشديد عند مروري بتلك الغرفة".

اُتسعت عينا إليري اللتان بدتا عملاقتين، وهي تسألني: "من أحضرك إلى هنا عندما كنت في العاشرة؟".
"أخي".

بدت إليري مستغرقة في التفكير، وهي تقول: "حسناً".

كما لو أنها ترى الجزء المخفي من عقلي الذي أحاول عدم زيارته كثيراً، لأنه مخزن أسئلتني حول ما حدث بالفعل بين ديكلان ولاسي. هذا الجزء يجعلني أشعر بالرعب والخجل في الوقت نفسه، لأنه من حين إلى آخر أتخيّل أخي يفقد أعصابه في اللحظة الخطأ تماماً.

أبتلع ريقني بصعوبة وأدفع هذه الفكرة جانباً، وأقول: "أنا مندهش نوعاً ما من أنهم أقاموا هذا الاحتفال بعد الذي حدث الليلة الماضية".

"أعلم، ذلك صحيح، لكن الجميع هنا يعملون في مزرعة الرعب، وهم لا يخافون بسهولة".

"هل تريدان البقاء قليلاً؟".

بدت قلقة وهي تقول: "الأفضل ألا أفعل، فلم ترغب نانا في أن نعمل الليلة، لأنها خائفة جداً".

"هل أنت خائفة؟".

تردّدت وهي تشدّ خصلة من خصلات شعرها المتناثرة، ثم لفتها حول إصبعها، وهي تقول: "أنا... أريد أن أقول لا، لأنني أكره حقيقة أن بعض غربيي الأطوار المجهولين يمكن أن يزعجونني، لكن نعم، أنا خائفة، إنهم... قريبون جداً".

ارتجفت عندما مرّ شخص يرتدي قناع فيلم الصرخة وراءها، ثم أكملت: "أستمرّ في إجراء هذه المحادثات مع والدتي التي ليس لديها أي فكرة عما يحدث، وكل ما يمكنني التفكير فيه هو أنه لا عجب في أنها لم ترغب أبداً في إحضارنا إلى هذا المكان، فاختفاء أختها التوأم ومقتل ابنة جليسة الأطفال المفضلة لديها كافيان لجعلها تشعر وكأن البلدة بأكملها ملعونة، وماذا بالنسبة إلى ما يحصل الآن؟".

"والدتك لا تعرف شيئاً؟".

"لا، من المفترض أن نتواصل معها تواملاً ببناء فقط".

أطلقت شعرها وأكملت قائلة: "أنت تعلم أنها تخضع لإعادة تأهيل، أليس كذلك؟ كنت أحسب أن المدينة بأكملها تعرف".

"هم يعلمون".

ضحكت ولكن الحزن المتواري خلف هذه الضحكة ضغط على صدري: "أنا آسف لأنك تتعاملين مع كل ذلك، آسف بشأن خالتك، وأنا أعني بصدق كل كلمة نطقت بها، وأعلم أن كل شيء قد حدث قبل أن نولد، لكن هذا يثير الاشمئزاز، بطريقة واضحة على نطاق واسع".

غصت إليري طرفها، وهي تقول: "أنا متأكدة من أن ذلك كان السبب الذي أدّى بنا في نهاية المطاف إلى ما وصلنا إليه، ولا أعتقد أن سادي أحسنت التعامل مع الأمر لأنه لا نهاية له، كما أنني لم أقم بربط الأمور ببعضها عندما ماتت لاسي، ولكن عندما بدأت الأمور تتدهور بدأت بربطها معاً، ولابد أنني استعدت ذكريات سيئة أعدت التفكير فيها ملياً، ولكن ما يثير السخرية أنها لا تزال غارقة في الظلام الآن، ولكن ماذا يمكنك أن تفعل؟".

رفعت عبوة الماء وكأنها تلقي تحية ساخرة، وهي تكمل كلامها: "إنها ثلاث مكالمات هاتفية فقط من أجل التواصل البناء. على أي حال، ربما يجب أن أعتري على عزرا، أليس كذلك؟ قال إنه متوجّه إلى الطابق السفلي لإحضار بعض الماء".

شقنا طريقنا بين الحشد للخروج من الزنزانة المزدهمة، ونزلنا السلالم إلى غرفة الموظفين، لكننا لم نجد أثراً لعزرا فيها، وقد كان الجو أكثر برودة مما كان عليه في الطابق العلوي، لكنني لا أزال أشعر بالحر والعطش قليلاً، فتوجّهت إلى الثلاجة الصغيرة، وأخرجت زجاجتين من الماء، ووضعت إحداهما على طاولة التجميل وأعطيت الأخرى إلى إليري.

قالت: "شكراً".

مدّت يدها لتأخذها مني، لكن توقيتنا كان غير متزامن، وأفلتتها قبل أن تمسك بها، فسقطت على الأرض بيننا، وعندما حاولنا التقاطها معاً، كاد رأسانا أن يتصادما، فضحكت إليري وهي تضع يدها على صدري.

وقالت: "تولّيت أمرها".

التقطتها وانتصبت واقفة، وعلى الرغم من الإضاءة الخافتة أمكنني رؤية مدى احمرار خديها.

"نحن رشيقان جداً، أليس كذلك؟".

قلْتُ لها: "كان هذا خطئي"، لقد جعلنا التقاط زجاجة الماء نقف أقرب مما يجب أن نكون عليه، لكن لا أحد منا تحرّك بعيداً عن الآخر، فابتسمت ورفعت رأسها إلى الأعلى، فقلت لها: "معالجة سيئة، يمكنك أن تري لماذا لم أنجح في أن أكون لاعب كرة قدم، يا لجمال هاتين العينين!".

احمّرت وجنتها، وقالت: "شكراً".

"أوه". قلت ذلك بصوت عالٍ.

اقتربت مني قليلاً، وما إن لامس جسدها جسدي حتى شعرت بتيار كهربائي يحتاج كياني، هل نحن.. هل يجب علي...

لا تكن أحرق يا مالكولم.

يا إلهي! من بين كل الأوقات أسمع الآن صوت أخي الغبي.

مددت يدي ممزّراً إبهاميّ على امتداد فكي إليري، فبدت بشرتها ناعمة تماماً كما تخيلت، وشفثتها كذلك، فابتلعْتُ ريقِي بصعوبة، وعندها انبعثت ضوضاء عالية خلفنا، وقال أحدهم: "اللعنة!" بنبرة إحباط.

ابتعدنا عن بعضنا، ودارت إليري حول المكتب، وعبرت الغرفة خلال ثانية، لتفتح الباب المشقوق.

سقطت بروك بينيت على الأرض، محشورةً بين المكتب وسلّة إعادة تدوير عملاقة، فاقتربت إليري منها وجثت على ركبتيها أمامها.

سألتها: "بروك؟ هل أنت بخير؟".

تناثر شعر بروك علي وجهها، وعندما دفعته جانباً كادت تغرز عينها بشيء صغير حادّ وفضي، فأخذته إليري من يدها، واستطعت أن أرى من مكاني أنه مشبك ورق، وكان مفتوحاً بحيث كانت حوافه مكشوفة، وقد وقع واحد آخر مثله على الأرض إلى جانبها، قالت بروك متلعثمة: "هذا أصعب مما قيل لي إنه سيكون".

سألت إيري وهي تضع كِلا المشبكين على المكتب: "من قال ذلك؟ وما الصعب؟".

غمغمت بروك قائلة: "هذا ما قالته".

يبدو أن أحداً لم يُبلغ بروك أن الحفلة ستكون الليلة جافة، فسألتها وأنا أمسك بزجاجة الماء التي لم أمسّها: "أتريدين قليلاً من الماء؟".

أخذتها بروك مني، وفتحت غطاءها، وشربت الماء بنهم، ثم سكبت بعضه على جبهتها قبل أن تعيدها إليّ، وقالت: "شكراً مالكولم أنت لطيف جداً، ألطف بكثير من أي أحد آخر يقيم في منزلك"، ومسحت فمها بكم قميصها وركّزت نظرها على إيري وهي تقول: "تبدين مختلفة، هل هاتان عيناك حقاً؟".

تبادلْتُ وإيري النظرات ونحن نحاول كبت ضحكاتنا، فقد كانت بروك ثملة نوعاً ما ومسلية، فسألتها إيري: "ماذا تفعلين في الأسفل؟ أتودّين الصعود؟".

هزّت بروك رأسها بشدة قائلة: "كلا، أريد استرجاعها، لا يجب عليّ أن... ما كان يجب أن.. يجب أن أريهم ذلك، هذا ليس صحيحاً، ليس جيداً".

سألتها: "تريهم ماذا؟ ماذا حدث؟".

انهمرت الدموع فجأة من عينيها، وهي تقول: "ذلك السؤال يساوي مليون دولار، أليس كذلك؟ ماذا حدث؟"، وضعت إصبعاً على شفيتها وهممت بصوت عالٍ: "تريدان أن تعرفا؟".

سألت إيري: "هل هذا يتعلّق بالحفلة؟".

"كلا"، تعثّرت بروك وهي تضغط على معدتها: "أوو، لا أشعر أنني بحالة جيدة".

أمسكْتُ سلّة مهملات وقرّبتها منها، وقلت: "هل تحتاجين إلى هذه؟".

أخذتها بروك، ولكنها حدّقت إلى القاع بفتور، وقالت: "أنا بحاجة إلى الذهاب إلى المنزل".

"هل تريدين منا أن نجد كايل؟".

قالت بروك وهي تلوّح بيدها، وكأنها جعلته يختفي: "كايل وأنا انتهت قصتنا، وهو ليس هنا على أي حال"، تنهّدت، وهي تقول: "فيف أوصلتني، لكنني لا أريد أن أراها الآن، فستبدأ بإعطائي محاضرة".

"أستطيع أن أوصلك".

قالت على عجل: "شكراً".

وقفت إليري ولكزتني في ذراعي، وهي تقول: "أنا ذاهبة للعثور على عزرا، وسأعود قريباً".

انحنيت إلى جانب بروك عند مغادرة إليري وسألتها: "أترغبين بمزيد من الماء؟"، دفعتني جانباً، ولم أستطع التفكير في ما يمكن أن أقوله لها بعد ذلك، حتى بعد أن أقمت في منزل كاترين مدة أربعة أشهر، لم أشعر بالراحة يوماً إلى جانب الفتيات الشبيهات ببروك، فهي جميلة جداً واجتماعية، وتشبه لاسي كثيراً.

مرّت دقائق قبل أن تجذب بروك ركبتيها إلى صدرها، وترفع عينيها نحوي وهي مشتتة الذهن، وقد أحاطت بهما دوائر مظلمة، وسألني بهدوء: "هل فعلت شيئاً سيئاً من قبل؟".

صمت قليلاً لأحاول اكتشاف ما يحدث معها، فأتّمكّن من صياغة إجابة مناسبة، وقلت: "في الواقع أجل، فعلت ذلك في أغلب الأحيان".

هزّت رأسها ووضعت وجهها بين يديها وقالت: "كلا، أنا لا أقصد أموراً اعتيادية"، وأضافت بحسرة: "أعني شيئاً لا يمكنك التراجع عنه".

شعرت بالضياع، ولم أعرف كيف يمكن أن أكون مفيداً، وسألتها: "مثل ماذا؟".

لا يزال رأسها منخفضاً، ولا بد لي من الاقتراب منها أكثر لسماع ما تقوله: "كنت أتمنى أن يكون لديّ أصدقاء مختلفون، كنت أتمنى أن يكون كل شيء مختلفاً".

اقتربت بضع خطوات منها، ثم نهضت حالماً أوماً عزرا وإليري إليّ برأسيهما، وهما يدخلان إلى المكتب، وقال عزرا: "مرحباً"، ثم نظر إلى بروك، وأردف قائلاً: "هل كل شيء بخير؟".

كزرت بروك: "أنا بحاجة إلى الذهاب إلى المنزل"، فمددت يدي لمساعدتها على النهوض.

تنشّطت قليلاً في أثناء خروجنا، ولكنها كانت تحتاج إلى أن تحافظ على توازنها بينما نشقّ طريقنا نحو سيارة أمي الفولفو، إنها أجمل سيارة امتلناها علي الإطلاق، وكانت هدية من بيتر، وأمل حقاً ألا تتقياً بروك فيها، ويبدو أنها فكرت في الأمر نفسه، دخلت السيارة وقد ساعدها عزرا على الجلوس في المقعد.

سألتهما بينما أجلس خلف عجلة القيادة: "ما عنوان منزلك؟".

قالت بروك: "المنزل 17، جادة براير"، إنه في الطرف البعيد عن المدينة.

أغلق التوأم البابين الخلفيين، فنظرت إليهما حالما ركبا السيارة، وقلت: "أنتما أيها الرفيقان منزلكما قريب من هنا، لذا سأوصلكما أولاً حتى لا يُقلق تأخركما جدتكما".

قالت إليري: "سيكون ذلك عظيماً، شكراً".

انطلقت بسيارة الفولفو من الموقف واتّجهت نحو المخرج، فقالت بروك وهي منكمشة على نفسها في مقعدها: "أسفة لأنه كان عليكم مغادرة الحفلة، ما كان يجب أن أحتسي الكحول، فأنا لا أستطيع أن أتمالك نفسي، هذا ما تقوله كاترين دائماً".

"حسناً، كاترين لا تعرف كل شيء"، يبدو أن عزرا ما كان يجب أن يقوله في تلك اللحظة، حتى ولو كانت على حق في رأيها. فقالت له بروك بنبرة يائسة: "آمل أن يكون ذلك صحيحاً".

ألقيت نظرة عليها قبل الانطلاق في الطريق الرئيسي، لكن الظلام الشديد لم يمكنني من قراءة تعابيرها، ويبدو أنها تختلف دائماً مع كاترين، وهذا الأمر غريب، فلم أرهما أبداً يتشاجران سابقاً وهما في الخارج، ربما لأن بروك تسمح لكاترين بتولي زمام أمورهما كلها، فأكدت لها مجدداً: "لم نكن نخطط للبقاء على أي حال".

إنها رحلة سريعة إلى منزل آل كوركوران، وهو مظلم باستثناء ضوء يتوهج على الشرفة الأمامية.

قال عزرا وهو يسحب مجموعة من المفاتيح من جيبه: "يبدو أن نانا نائمة، كنت قلقاً من أن تظلّ مستيقظة منتظرة عودتنا، شكراً على توصيلنا، مالكولم".

"أنا في الخدمة متى شئتما".

فتح عزرا باب السيارة وخرج منتظراً أخته في الممر، فقالت إليري وهي تحمل حقيبتها على كتفها: "شكراً مالكولم، أحادثك قريباً".

قلْتُ لها من دون تفكير بعد أن استدرت لمواجهتها: "غداً، ربما؟"، تجمّدت لحظات بينما كانت عيناها تستجوبان عيني، هل تخيلت أنني كدت أن أقبلها في القبو، أم يبدو أنها لا تريدني؟ أكملتُ كلامي قائلاً: "أعني أنه يمكنني الاتصال بك، أو شيء من هذا القبيل، وإذا كنت تريدين ذلك، نتحدّث معاً".

يا إلهي! سلس للغاية.

ابتسمتُ لي ابتسامة عريضة فظهرت غمازتا خديها: "أجل طبعاً أكيد، هذا يبدو جيداً، نتحدّث لاحقاً"، تنحنت بروك، فرمشت عينا إليري وكأنها نسيت لبضع ثوان أن بروك كانت في السيارة، فقالت وهي تترجّل منها بعد أن خرج عزرا للتو: "وداعاً بروك".

ردّت بروك: "وداعاً".

أغلقت إليري باب السيارة، واستدارت، ثم لحقت بشقيقها، بعد أن مرّت بالقرب من نافذة بروك المفتوحة بينما كانت تتنهدّ بعمق وتدلّك وجهها بيد فاترة، وسألتها: "هل ستكونين بخير؟".

استدارت بروك لمواجهتها، ولكنها لم تنطق بكلمة لفترة طويلة لدرجة أن إليري عبست وهي تنظر إليّ بعينين قلقتين، ثم هزّت بروك كتفها، وقالت: "ولم لا أكون؟".

الفصل الخامس عشر

إيري

الأحد، 29 أيلول

يزيد عمر ألبومات الصور عن عشرين عاماً، وهي مغيرةٌ وحوافها بنية، ورغم ذلك فإن سادي البالغة من العمر سبعة عشر عاماً تبدو وكأنها تقفز من الصفحة وهي ترتدي فستان الحفلة الأسود والجريء، وشعرها الجامح وأحمر الشفاه القاني يزيدانها إثارة. ويمكن التعرّف إليها تماماً، فهي النسخة الأصغر من صورتها الحالية، وهو ما يمكنني قوله عن الشخص الذي كانت تواعده.

قال عزرا: "واو"، وهو يقترب مني وأنا أجلس على سجادة غرفة جلوس نانا. فبعد الكثير من المحاولات الفاشلة المتعلقة بأثاثها الصلب، قرّرنا أنه المقعد الأكثر راحة في الغرفة. أضاف قائلاً: "سادي لم تكن مخطئة، فقد كان فانس مثيراً في ذلك الوقت".

قلتُ: "نعم"، وأنا أدرس تفاصيل وجنتي فانس المرتفعتين وابتسامته الفاترة، ثم ألقيت نظرة على الساعة فوق مدفأة نانا للمرة الخامسة منذ أن جلسنا نشاهد صور الألبوم، فانتبه عزرا إلى حركتي وبدأ يضحك ساخراً وهو يقول: "لا تزال الساعة الثامنة والنصف، ولم تمرّ إلا دقيقة واحدة بعد آخر مرة نظرت فيها إلى الساعة، وبعبارة أخرى مازال الوقت مبكراً جداً ليتصل بك مالكولم". انتبه عزرا إلى اللحظة التي قضيتها مع مالكولم في السيارة الليلة الماضية، ولم يسمح لي بالنوم حتى أخبرته بقبلتنا في غرفة موظفي مزرعة الرعب.

تمتت قائلة: "اخرس"، ولكن معدتي كانت تنقبض، وأنا أحاول إخفاء ابتسامه.

شقت نانا طريقها إلى غرفة الجلوس وهي تحمل علبة منظف بليدج
برائحة الليمون وقطعة قماش، فهي طقوسها المعتادة صباح الأحد، تبدأ
بقداس الساعة السابعة، ثم الأعمال المنزلية، وبعد خمس عشرة دقيقة
سترسلني أنا وعزرا إلى الخارج لجز العشب، سألت: "إلام تنظران أنتما
الاثنان؟".

قال عزرا: "صور سادي في حفلة الترحيب".

توقعتها أن تتجهم، لكنها رشّت رذاذ بليدج على طاولة خشب
الماهوجاني أمام النافذة، ثم سألتها وهي تمسح الطاولة: "هل أعجبك
فانس، نانا؟ متى كان هو وسادي يتواعدان؟".

تنهّدت نانا، وقالت: "لا، لم يعجيني كثيراً، ولكنني عرفت أنهما لن
يستمرّا معاً حتى النهاية، ولم يفعلوا مطلقاً".

قلبت الصفحتين التاليتين في الألبوم، وقلت: "هل ذهبت سارة إلى
الحفلة؟".

"لا، كانت سارة متأخرة في النضج، والأولاد الذين تحدّثت إليهم كانوا
أولئك الذين واعدتهم سادي"، توقّفت نانا عن مسح الغبار ووضعت العلبة
جانباً، ثم دفعت ستارة النافذة وأمعنت النظر، وهي تقول: "ما الذي يفعله
في وقت مبكر يوم الأحد؟".

سأل عزرا: "من؟".

"رايان رودريغيز".

أغلقت ألبوم الصور بينما اتجهت نانا نحو الباب الأمامي، فتحته، ثم
قالت: "مرحباً رايان"، لكن قبل أن تقول أي شيء آخر قاطعها، وهو يسأل
على عجلة من أمره: "هل إليري هنا؟".

"طبعاً".

لم ينتظرها حتى تنهي جملتها، ثم اندفع من أمامها إلى الداخل،
وكانت عيناه تبحثان عني في الغرفة حتى وصل إليّ، كان يرتدي كنزة إيكو
ريدج هاي الباهتة وبنطال جينز، ووجهه متجهم وملامحه متصلبة، حتى إنه
يبدو أصغر من دون ارتداء زيه الرسمي، وكما لو أنه استيقظ للتو: "إليري،
حمداً لله، هل كنت هنا طوال الليل؟".

"رايان، ماذا يحدث بحق الله؟"، أغلقت نانا الباب ووطوت ذراعيها بإحكام على صدرها ثم تابعت قائلة: "هل الأمر يتعلق بتهديدات الحفلة؟ هل حدث شيء جديد؟".

"نعم، ولكن في الواقع ليس بالضبط... إنه أمر مختلف".

مرّ يده بين خصلات شعره، وأخذ نفساً عميقاً، ثم قال: "بروك بينيت لم تعد إلى المنزل الليلة الماضية، والداها لا يعلمان مكانها".

لم أدرك أنني وقفت على قدمي حتى سمعت صوت ارتطام، فكان ألبوم الصور الذي انزلق من يدي إلى الأرض، بينما رفع عزرا بصره ببطء نحوه، وبدأ وجهه شاحباً وعيناه تنتقلان بيني وبين الشرطي رودريغيز، لكن قبل أن يتمكن أي منا من قول شيء، أطلقت نانا صرخة مخنوقة، وجفت عروقها من كل قطرة دم، ولثانية اعتقدت أنها قد تفقد الوعي، لكنها قالت: "أوه، يا ربي".

مشيت بلا هواده إلى الكرسي لتنهار فيه، متمسكةً بمساند ذراعيه، وأخيراً قالت: "لقد حدث ذلك مرة أخرى، أمام أعينكم ولم تفعلوا شيئاً لإيقافه!".

قال الشرطي رودريغيز: "لا نعرف ماذا حدث، نحاول أن.."، لكن نانا لم تسمح له بإنهاء كلامه حين قالت: "فتاة مفقودة، فتاة تعرّضت للتهديد أمام البلدة بأكملها قبل يومين، إنها تماماً بعمر حفيدتي".

لم يسبق أن رأيت نانا في مثل هذه الحالة، بدت وكأنها كتلة من العواطف التي كانت تكتبها على مدار عشرين عاماً مضت، وقد فاضت مشاعرها وظهرت عليّ السطح الآن، فأصبح وجهها أحمر، ودمعت عينها، وجسدها بدأ يرتجف كله وهي تتحدّث، إن مشهد جدتي الهادئة وهي تفيض عاطفة جعل قلبي ينبض بسرعة قصوى، ثم قالت: "لا أحد من عناصر الشرطة فعل شيئاً مهماً لحماية إليري أو بروك، لقد تركت هذا يحدث بكل سهولة".

أجفل الشرطي رودريغيز، كما لو أنها صفعته على وجهه، وقال: "لم نفكر في الأمر ملياً، وأنا أعرف كم يزعجك ذلك، فكلنا قلقون، لهذا السبب أنا هنا، ولكننا لم نتأكد بعد من أن بروك مفقودة، فقد تكون برفقة صديق، ولدينا العديد من الرجال الذين يتحققون من حقيقة ما جرى، ومن السابق لأوانه افتراض الأسوأ".

ضمّت نانا يديها في حضنها وشبكت أصابعها بإحكام، وقد أصبحت بيضاء بعد أن جفت عروقها، وقالت بصوت أجوف: "الفتيات المفقودات لم يعدن إلى المنزل في إيكو ريدج يا رايان، وأنت تعلم ذلك".

لا أحد منهما يعيرنا أنا أو عزرا أي اهتمام، فقال أخي بصوت منخفض: "إل"، وأنا أعرف ما سيحدث بعد ذلك، يجب علينا إخبارهما، وسنقوم بذلك بالطبع، ولا يبدو من خلال حديث الشرطي رودريغيز أنه يعلم بأن بروك غادرت مزرعة الرعب برفقتنا، أو أن مالكولم هو الذي أوصلها إلى المنزل بمفردهما.

في الليلة الماضية، كانت بروك مسترخية في المقعد الأمامي حين أقلنا مالكولم، وبدت متعبة ومهزومة للغاية لدرجة أنني لم أستطع إلا الاطمئنان عليها للمرة الأخيرة.

"هل ستكونين بخير؟"

"ولم لا أكون؟"

لا تزال نانا والشرطي رودريغيز يتحدّثان، لكن لا يمكنني سماع إلا أصوات متقطعة تحول دون أن أفهم ما يقولانه. ارتجف صدري وانحبست أنفاسي، وأنا أدرك أنني يجب أن أقول ما أعرفه، وأعلم أنني يجب أن أخبر الشرطي رودريغيز وجدتي بأن شقيق ديكلان كيللي صديقنا كان على الأرجح آخر شخص رأى أميرة حفل إيكو ريدج قبل أن تختفي.

وأنا أعرف بالضبط كيف سيبدو ذلك.

الفصل السادس عشر

مالكولم

الأحد، 29 أيلول

لم أدرك أنها رؤية سابقة إلا عندما أصبحت في وسطها.

في البداية بينما كنت أتجوّل في المطبخ صباح يوم الأحد، لم يبدو الأمر غريباً أن يجلس مكنولتي في منتصف المطبخ برفقة بيتي، فكلاهما عضوان في مجلس المدينة، لذا على الأرجح أنهما يتحدّثان عن إشارات المرور مرة أخرى، على الرغم من أنها بالكاد كانت الثامنة والنصف صباحاً، ومكنولتي يستمع باهتمام كبير إلى وصف كاترين المطول عن موعدها مع ثيو الليلة الماضية.

كانت والدتي تتجوّل في المطبخ، محاولة ملء فناجين قهوة لم يشربها الضيوف بعد، إلى أن سمح لها مكنولتي بملء فنجانه أولاً، ثم سألت: "إذا لم تري بروك على الإطلاق الليلة الماضية؟ ولم تتصل بك أو تراسلك في أي وقت من المساء؟".

"لقد أرسلت إليّ رسالة نصية لمعرفة ما إذا كنت قادمة إلى الحفلة، لكنني لم أكن كذلك".

"متى حدث ذلك؟".

فركت وجهها وفكرت: "ربما قرابة العاشرة؟".

"هل يمكنني رؤية هاتفك من فضلك".

جعلتني نبرة صوته وهو يطلب منها ذلك أشعر وكأن شيئاً ما وخبني، فسألت حين سمعته يقول ذلك: "هل حدث شيء لبروك؟".

فرك بيتر فكّه غير المحلوق، وقال: "يبدو أنها لم تكن في غرفتها هذا الصباح، كما يبدو أنها لم تنم في سريرها، ولم يرها والداها منذ أن غادرت العمل الليلة الماضية، وهي لا تردّ على اتصالاتها الهاتفية".

شعرت بغصة في حلقي، وبدأت راحتا يديّ تتعرقان، ثم قلت: "ماذا؟".

أعاد الشرطي مكنولتي هاتف كاترين إليها حالما رنّ، فنظرت إلى الشاشة، وقرأت الرسالة التي ظهرت عليها، فشحب وجهها، وقالت: "إنها من فيف"، ارتعش صوتها فجأة وتابعت: "تقول إنها فقدت أثر بروك في الحفلة ولم تتحدّث إليها منذ ذلك الحين"، عصّت كاترين على شفقتها السفلى، ودفعت الهاتف الى مكنولتي، فربما يستطيع الاستنتاج من النص شيئاً ما مختلفاً، قالت كاترين: "اعتقدت أنهما ستكونان معاً، فبروك تبقى أحياناً لدى فيف بعد انتهاء دوام العمل، لأن منزلها أقرب إلى عملها".

بدأت الرهبة تتغلغل في كياني، كلا، لا يمكن لهذا أن يحدث.

وضعت أُمي القهوة على الطاولة، وتوجّهت نحوي: "مالكولم، ألم تر بروك عندما أقلتِ التوأم؟".

نظر مكنولتي إليّ، وسألني: "أكنت في مزرعة الرعب الليلة الماضية، مالكولم؟".

تباً... تباً... تباً.

قالت أُمي بسرعة: "ذهب لكي يوصل توأم كوركوران إلى المنزل"، لكنها لم تقل ذلك كما لو أنها تشعر بالقلق حقاً لاحتمال تورّطي في مشكلة.

انقبضت معدتي في الحال، فهي لا تملك أدنى فكرة عمّا حدث البارحة.

أسند الشرطي مكنولتي ساعديه إلى الرخام الأسود اللامع الملتفّ حول المطبخ، وقال: "هل صادف أن رأيت بروك بينما كنت هناك؟". كانت نبرته جادّة، لكنها لم تكن حادة كما كانت عندما استجوب ديكلان.

على الأقل ليس بعد.

قبل خمس سنوات كنا مجتمعين في مطبخ مختلف في مزرعتنا الصغيرة التي تقع على بعد ميلين من هذا المكان، وكان والدي يحدّق إلى

الزائر، ووالدتي تشبك يديها معاً، بينما كان ديكلان جالساً إلى الطاولة بالقرب من مكنولتي، وهو يكرّر العبارات نفسها مراراً وتكراراً: "لم أر لاسي منذ يومين، ولا أعرف ماذا كانت تفعله تلك الليلة، كنت أقود السيارة متجوّلاً في الأرجاء".

"أين؟"

"كنت أقود فحسب، فأنا أفعل ذلك في بعض الأحيان".

"هل كان برفقتك أحد؟"

"كلا".

"هل اتصلت بأحد؟ هل راسلت أي شخص؟"

"كلا".

"حسناً، لقد قدت السيارة وحدك تماماً؟ لساعتين أو ثلاث؟"

"أجل".

ماتت لاسي في ذلك الوقت، ولم تكن مفقودة فقط، وقد عثر العمال على جثتها في الحديقة قبل أن يعرف والداها أنها لم تعد إلى المنزل، وكنت أجلس في غرفة الجلوس بينما كان يطرح مكنولتي الأسئلة على ديكلان، وكانت عيناى تحدقان إلى شاشة التلفاز، تتابعان برنامجاً تلفزيونياً لم أشاهده من قبل، ولم أذهب مطلقاً إلى المطبخ، كما أنني لم أتفوّه بكلمة مطلقاً، لأن الأمر ما كان يعينني تقريباً، باستثناء الجزء الذي أشعل الفتيل ببطء حتى فجر في النهاية دعائم عائلتي.

"أنا..."

استغرقت وقتاً طويلاً قبل الإجابة عن سؤاله، وأنا أتفحص الوجوه من حولي كما لو أنها ستمنحني بعض التفاصيل التي قد تساعدني في الرد، ولكن كل ما أمكنني رؤيته هو التعابير نفسها التي ارتسمت على وجوههم كلما بدأت بالكلام، فقد بدت أمي متيقظة، وكاترين غاضبة، أما بيتر فقد بدا متسامحاً وصبوراً إلى جانب نزعة الغرور التي تلازمه دوماً، وقد كتب مكنولتي ملاحظة على اللوحة التي أمامه، ثم نظر إليّ نظرة خاطفة شبه ذابلة، مكنته من أن يلمح شيئاً في وجهي جعله متوتراً، فبدا وكأنه يرى قطة تهاجم لعبة دبّ في الحياة، فتقدّم إلى الأمام، ورمقني بعينه الزرقاوين

المائلتين إلى اللون الرمادي، وهو يسألني: "هل لديك ما نخبرنا به يا مالكولم؟".

الفصل السابع عشر

إليري

الأحد، 29 أيلول

هذه المرة تختلف عما حدث بعد حادثة دهس السيد بومان والفرار، فأنا شاهدة أساسية، وأتذكر كل شيء.

أتذكر أنني أخذت مشبك الورق من يد بروك، والتقطت مشبكاً ثانياً من الأرض، فسأل رودريغيز: "التقطت مشبكين ورقيين؟".

انتقل مباشرة إلى وضعية الاستجواب بمجرد أن أخبره عزرا بأننا غادرنا مزرعة الرعب برفقة بروك، فانتقلنا إلى المطبخ، وصنعت نانا الكاكاو للجميع، فأخذت منها الكوب الذي كان دافئاً، بينما كنت أشرح للشرطي ما حدث قبل أن ينضمّ مالكولم إليّ وإلى عزرا.

"نعم، فكما تعلم تمّ تفريق طرفي المشبكين عن بعضهما، لذا كانا مستقيمين تقريباً، وقد يفعل الناس تلك الأشياء في بعض الأحيان عند التوتر، فهي تشبه أي عادة عصبية أخرى".

أنا أفعل هذا على أي حال، فلم أصادف مطلقاً مشبك ورق من دون أن أغيّر على الفور شكله.

أتذكر أن بروك بدت في البداية بلهاء قليلاً ومضحكة ومشتتة الذهن، فأخبرت رودريغيز بما قالته: "لقد قوّمته على شكل مزحة، هذا ما قالته".

أصبح وجهه خالياً من التعابير تماماً، وهو يقول: "هذا ما قالته؟".

"نعم، كما في مسلسل ذا أوفيس البرنامج التلفزيوني الشهير؟ أملتُ رأسي في انتظار أن يبدي تجاوباً مع ما قلته، لكن جبينه بقي مقطباً وعلامات الارتباك بادية على وجهه، كيف يمكن لأي شخص في العشرينات من عمره ألا يفهم هذا التلميح؟

"إنه شيء اعتادت الشخصية الرئيسية علي أن تقوله، مثل المزحة تلو الأخرى، أو كأن يشير أحدهم إلى أن هناك شيئاً صعباً، فهو إما يشير إلى وضع صعب أو إلى.. كما تعلم...".

بصق عزرا الكاكاو الذي ارتشفه، بينما احمر وجه رودريغيز نوعاً ما، وقالت نانا في الحال: "بحق السماء إليري، ما تقولينه لا صلة له بالمحادثة التي نجريها".

قلتُ: "اعتقدت ذلك".

هزرت كتفي، وأنا أفكر في أنه لا يمكن أن تمر لحظة من دون أن تكون ملاحظة ردود أفعال رودريغيز تجاه ما لا يتوقَّعه مثيرة للاهتمام.

تنحج وهو يتجنب النظر إلى عيني، ثم قال: "وماذا حدث بعد... المزحة؟".

"لقد ارتشفت القليل من المياه، ثم سألتها عمّا كانت تفعله في القبو، فبدت أكثر حزناً، وأنا أتذكر كلمات بروك وكأنها قالتها منذ خمس دقائق؛ ما كان يجب أن أتحدّث عنها، ما كان يجب أن أريهم ذلك، هذا ليس صحيحاً، هذا ليس بالأمر الجيد، ماذا حدث؟ أحقاً تريد أن تعرف ذلك؟".

تقلّصت معدتي، فهذه الكلمات تبدو وكأنها مجرد هراء، كلمات فتاة ثملة تثرثر في حفل، لكنها تنذر بالسوء عندما تكون الفتاة مفقودة، ولكن لا أعتقد أن ذلك يعدّ خطيراً حقاً بعد، وما زلت أفكر في أن رودريغيز سيتلقّى مكالمة في أي لحظة تبلغه أنها التقت بأصدقائها بعد وصولها إلى المنزل، وتابعت كلامي قائلة: "دمعت عيناها عندما قالت كل ذلك، فسألتها إذا كان الأمر يتعلق بالمهرجان، ولكنها نفت ذلك".

سأل رودريغيز: "هل ضغطت عليها؟".

"لا، قالت إنَّها تريد العودة إلى المنزل، فعرضت أن أبلغ كايل، ولكنها قالت إنهما انفصلا، وإنه لم يكن هناك على أي حال، لذا عرض عليها مالكولم

أن يوصلها إلى المنزل، فوافقت في الحال، وقد حصل ذلك عندما غادرت لإحضار عزرا، والرحلة إلى منزل بروك كانت..".

توقفتُ كي أزين كلامي، ثم قلت بعد ذلك: "لم يكن ذلك مُخطئاً مطلقاً، وقد حصل فحسب".

تجعد جبين رودريغيز وتجهّم وجهه، وهو يقول: "ماذا تعنين؟".

سؤال جيد، ماذا أعني؟ رأسي كان يطنّ منذ أن قال رودريغيز إن بروك مفقودة، لا نعرف ما الذي يعنيه ذلك حتى الآن، ولكنني أعرف أنه إذا لم تظهر قريباً، فسوف يتوقّع الناس الأسوأ، وسيبدؤون بتوجيه أصابع الاتهام إلى المشتبه به الأكثر وضوحاً، والذي سيكون الشخص الذي رآها آخر مرة.

إنها اللحظة التي يتناول فيها كل شخص من الصديق إلى الجار أو حتى الزميل كلاماً مبتدلاً حول المشتبه فيه، فيقولون: لطالما كان رجلاً لطيفاً، ولم يكن أحد ليصدّق أنه قادر على فعل ذلك... ولا يمكنني التفكير في كل شيء بوضوح الآن، لكنني أعرف أنه لم تكن لدى مالكولم خطة الانفراد ببروك، ولم أشعر أبداً بأنه قد يرتكب بحقها أي شيء سوى محاولة مساعدتها، فتابعت الحديث قائلة: "أعني، لقد كانت مجرد صدفة أن ينتهي الأمر بمالكولم إلى أن يوصل بروك، فلم نكن نعرف حتى أنها كانت في المكتب".

قال رودريغيز وقد ظهرت على وجهه تعابير جادة: "حسناً، غادرت للعثور على عزرا، بينما كان مالكولم وحده مع بروك، كم من الوقت بقيا وحدهما؟".

نظرت إلى عزرا الذي هزّ كتفيه، وقلتُ: "ربما خمس دقائق".

"هل كان سلوك بروك مختلفاً عند عودتك؟".

"لا، كانت حزينة كما تركتها".

"لكنك قلت إنها لم تكن حزينة من قبل، وإنها كانت تمزح".

ذكّرتُه بكلامي قائلة: "في البداية كانت تمزح، ثم أصبحت فجأة حزينة".

"أجل، أخبراني بما حصل بعد أن توجّهتما إلى السيارة من فضلكما".

استمر الأمر على هذا النحو لعشر دقائق، حتى وصلنا أخيراً بشقّ الأنفس إلى اللحظة التي سألتُ فيها بروك هل ستكون على ما يرام، وقد أخفيتُ الجزء الذي سألتني فيه مالكولم عما إذا كان يمكنه الاتصال بي، فذلك لا يبدو مهماً الآن، كما لم يذكره عزرا أيضاً.

كرّر رودريغيز كلامي: "قالت لك لِمَ لا أكون؟".

"نعم".

"وهل أجبتها؟".

"كلا"، لم أفعل". أشعر الآن بطعنات أسف حادة، يجب أن يجعلني ذلك نادمة.

"حسناً"، أغلق رودريغيز دفتر الملاحظات، وتابع قائلاً: "شكراً لكما، لقد كان الكلام معكما مفيداً، وسألتني بكما لاحقاً إذا كان لديّ أي أسئلة أخرى".

مددت يديّ بعد أن أدركت أنني كنت أشبكهما في حضني، وقد بدتا تلمعان من العرق، ثم قلت: "إذا وجدت بروك هل ستطمئنا على أنها بخير؟".

"بالطبع، وسأتوجّه إلى المركز الآن، ربما تكون في المنزل بالفعل، وهي تتحدّث إلى والديها، ففي معظم الأوقات هذا..."، توقّف فجأة عن متابعة الحديث، وقد احمرّ وجهه وعنقه وهو يلقي نظرة سريعة على نانا، وتابع قائلاً: "هذا ما نتمناه".

أعرف ما كان علي وشك قوله، إنه نوع من العبارات التي يتمّ تدريب الشرطة عليها لإخبار الأشخاص القلقين بها حتى لا يصابوا بالذعر عندما يفقدون أحد أفراد عائلتهم، هكذا تجري الأمور في معظم الأوقات، ولكنها ليست نافعة في إيكو ريدج.

نانا على حقّ، فلم يكن ذلك صحيحاً أبداً.

الفصل الثامن عشر

مالكولم

الأحد، 29 أيلول

قال الشرطي مكنولتي: "أنت شاهد مهم في قضية اختفاء بروك، مالكولم، فخذ وقتك في التفكير".

إنه لا يزال يريح ساعديه على الرخام في المطبخ، وقد لفّ كمّيه حتى مرفقيه، فأظهرت ساعته أنها 9:15، وقد صارت بروك في عداد المفقودين منذ قرابة العشر ساعات، فالوقت لم يكن طويلاً، إلا أن الأمر بدا لا نهاية له بعد أن بدأت بتخيّل كل ما يمكن أن يحدث لشخص ما بينما كان العالم بأسره نائماً. جلست على كرسي بجانبه، ولا يفصل بيننا سوى مسافة قدمين، وقد بدا ذلك غير كافي، لأن عيني الشرطي مكنولتي كانتا تحدّقان إليّ وهما باردتان وذابلتان، فقد قال إنني شاهدٌ ولست مشتبهاً به، ولكن كلامه لا يتطابق ونظراته إليّ، قلت: "هذا كل ما في الأمر، فهذا كل ما أتذكره".

"حسناً توأم كوركوران يمكنهما تأكيد قصتك مباشرة حتى وصولهما إلى منزلهما؟".

يا الله، أثبت قصتي! بدأت معدتي تتقلّص، فلو أنني أوصلت بروك إلى المنزل أولاً، لبدا كل شيء مختلفاً كثيراً، يا ليتني فعلت ذلك! قلت: "نعم".

ما الذي تفكّر فيه إليري الآن بحقّ الله؟ هل تعلم ما جرى؟

من أخادع بسؤالٍ؟ هذه إيكو ريدج، كان مكنولتي في منزلنا منذ أكثر من ساعة، ومن المؤكد أن الكل بات يعرف حقيقة ما جرى.

قال مكنولتي: "حسناً، دعنا نعد قليلاً إلى ما حدث الليلة الماضية، هل لاحظت شيئاً غير عادي بخصوص بروك خلال الأسابيع القليلة الماضية؟ هل بدر منها شيء يثير القلق أو يفاجتك؟".

حدّقت إلى كاترين، التي كانت تتكئ على المنضدة بثبات، كما لو كانت عارضة أزياء، فأجبتة: "أنا لا أعرف بروك حقاً، ولا أراها كثيراً".

سأل مكنولتي: "ولكنها تزوركم كثيراً، أليس كذلك؟".

بدا وكأنه يسعى إلى التحقيق في أمر ما، لكنني لا أعرف ما يخطّط له، وقد انتقلت عيناه من وجهي إلى ركبتيّ فأدركت أنهما تهتّزان من شدة التوتر، فضغطت بيديّ على ساقيّ للحد من ارتجافهما، وقلت: "نعم، ولكن ليس لتسكع معي".

قالت كاترين فجأة: "كانت تجدك وسيماً".

ما الذي تقوله بحق الجحيم؟ شعرت بغصة في حلقي، ولم أستطع الإجابة عن السؤال حتى ولو كانت إجابتي جاهزة.

نظر الجميع إلى كاترين، وهي تتابع كلامها قائلة: "لقد كانت تقول ذلك معظم الوقت"، وكل كلمة نطقت بها كان معناها واضحاً ودقيقاً تماماً، ثم انخفض صوتها وهي تتابع قائلة: "في نهاية الأسبوع الماضي، عندما استضيفتها في منزلي، استيقظتُ عند منتصف الليل فلم أجدها إلى جانبي في الغرفة، فانتظرْتُها عشرين دقيقة قبل أن أعاود النوم من جديد، ولكنها لم تعد، فاعتقدت أنها ربما توجّهت إلى غرفتك خاصة بعد أن كانت قد انفصلت عن كايل قبل يومين".

صفعتني كلماتها صفعات موجعة ألمتني بشدة، وفي الوقت نفسه استدارت كل الرؤوس في الغرفة نحوي، يا الله! لماذا تقول كاترين شيئاً كهذا، كان يجب أن تدرك أنها توقعني في ورطة، وأن كلامها سيجعلني مشتتاً به في اختفائها، فقلتُ نافياً: "لا، لم تحضر".

قالت أُمي بسرعة: "مالكولم لا صديقة لديه حالياً".

خلال نصف ساعة بدت وكأنها تقدّمت في السنّ عاماً، وأصبح خدّها أجوفين، وتبعثرت خصلات شعرها الذي كان مسرّحاً على شكل كعكة أنيقة، وظهر خط عميق حُفر بين حاجبيها، أعلم أنها كانت مثلي تسترجع ذكرى

مربرة سابقة، قالت: "إنه ليس مثل... لقد قضى دائماً وقتاً أطول مع أصدقائه الشبان لا الفتيات".

إنه ليس مثل ديكلان، هذا ما كانت على وشك قوله.

نظرت عينا الشرطي مكنولتي إلى عيني: "إذا كان هناك أي شيء يجمع بينك وبين بروك يا مالكولم، فقد حان الوقت لكشفه، ولا يعني ذلك أنك في ورطة".

ارتعش فكه الذي خانته وهو يقول كذبه التالية: "ستساعدنا في أن نحصل على معلومة أخرى يمكن أن تسهّل فهم اللغز الذي نحاول حله".

قلتُ له: "لم يكن بيننا أي شيء".

كانت كاترين تحدّق إليّ وقد بدت هادئة وهي تقترب من بيتر الذي ظل صامتاً طوال الوقت وهو مكتوف اليدين، وتعاير القلق ترتسم على وجهه، قلتُ: "إن المرة الوحيدة التي رأيت بروك خلالها كانت برفقة كاترين باستثناء...".

ما إن خطرت في بالي الفكرة حتى نظرت إلى مكنولتي الذي بدا يقظاً تماماً وهو يميل إلى الأمام، وأضفتُ على عجل قائلاً: "لقد رأيتها قبل أيام قليلة، عندما كنتُ في السيارة برفقة ميا، كانت في وسط المدينة، وهي تتحدّث إلى فانس باكيت".

رمشت عينا مكنولتي، وعبس، وكأنه توقّع أن أقول أي شيء، إلا ما قلته.

"فانس باكيت؟".

"نعم، كان يطلي جدران أرمسترونغ، سارت بروك نحوه، فتحدّثنا نوعاً ما بحدّة، وكما بدا سألته عن شيء غير عادي، وكان ما حدث بينهما غير عادي".

حتى عندما خرجت الكلمات من فمي كنت أدرك أنها تبدو وكأن لديّ ما أخفيه، وأحاول تشتيت الانتباه عنه.

أوماً مكنولتي إليّ قائلاً: "هذا مثير للاهتمام، لكن فانس باكيت كان ثملاً في الحانة الليلة الماضية، وفي الواقع..."، نظر إلى ساعته، واستكمل قائلاً: "على الأرجح أنه لا يزال هناك، شكراً على المعلومات، وسنكون

متأكدين من استجوابه"، أرجع ظهره إلى الوراء وشبك يديه. كان يرتدي قميصاً رسمياً وبنطالاً ضيقاً بشكل لافت، فأدركت أنه ربما كان يستعدّ للذهاب إلى الكنيسة عندما حدث كل ذلك، ثم قال: "هل هناك شيء آخر تعتقد أنه من الضروري أن نعرفه؟".

كان هاتفي يثقل جيبي ولم يكن يرنّ، وهذا يعني أن ميا لم تستيقظ بعد، وآخر رسالة وصلتني كانت من ديكلان قبل أن أدخل بيت الرعب لاصطحب التوأم.

أنا في البلدة لبضع ساعات، فلا تهلع.

لماذا عاد إلى البلدة؟ لماذا عاد أخي مرة أخرى في الوقت الذي اختفت فيه الفتاة؟

سيتغيّر كل شيء إن أريت مكنولتي هذه الرسالة، وستتوقّف كاترين عن النظر إليّ بحدة، ولن يستمرّ مكنولتي في طرح السؤال نفسه بطرق مختلفة، وستتلاشى شكوكه فيّ، ولكننا سنعود إلى ما كنا عليه منذ وفاة لاسي، عند الاشتباه في ديكلان.

ابتلعت ريقى بصعوبة، وأبقيت هاتفي في جيبي، وقلت له: "لا، لا يوجد شيء".

الفصل التاسع عشر

إليري

الأحد، 29 أيلول

لا يمكنني البقاء هادئةً، فقد تجوّلت في منزل نانا طوال فترة الظهيرة، ألتقط الأشياء ثم أرميها، وقد امتلأت رفوف الكتب في غرفة جلوسها بألعاب متنوعة من البورسلين، وهي عبارة عن فتيان وفتيات صغار شعورهم شقراء وخدودهم وردية، وهم يتسلقون الأشجار أو يحملون السلال أو يحتضنون بعضهم بعضاً، وقد أخبرتني نانا عندما التقطتُ قبل يومين أن سادي كسرتها عندما كانت في العاشرة من عمرها.

قالت نانا: "اسقطتها على الأرض فانكسر رأسها إلى قسمين ثم ألصقتها من جديد، لكنني لم ألاحظ ذلك إلا بعد عدة أسابيع".

بمجرد أن تعرف عنه، يصبح الأمر واضحاً. أمسكت بالفتاة الخزفية بيدي وحدّقت إلى الخط الأبيض المسنّن على أحد أطراف الوجه، وسألت نانا: "هل غضبتِ عليها؟".

قالت: "لقد استشطت غضباً، هذه قطعٌ نادرة، ولم يكن من المفترض أن تلمسها الفتاتان، لكن سادي لم تستطع إبقاء يديها بعيداً عنها، وكنت أعرف أنها من فعلت ذلك، حتى بعدما أخبرتني سارة بأنها الفاعلة".

"سارة فعلت ذلك؟ لماذا؟".

قالت نانا: "لم تكن تريد أن تُعاقب أختها، وعلى ما أعتقد كنت أقسو قليلاً على سادي، لأنها عادةً تسبّب المشاكل".

اعتلت وجه نانا علامات الحزن للمرة الأولى منذ أن تحدّثت عن سارة، فلم يخطر في بالي حتى الآن أن بعضاً من هذا الحزن قد يسكن في قلب أمي، أو أن تكون فتاةً أخرى متصدعة وأشلاءها مجمّعة بطريقة خرقاء، ولا تزال تحاول الوقوف على قدميها لكنها لم تعد كالسابق.

هناك صورة عائلية واحدة في غرفة الجلوس، إنها لنانا وجدي، وهما يبدوان في أواخر الثلاثينات من العمر، وإلى جانبيهما سادي وسارة وهما في الثانية عشرة من العمر، فأمسكتها وأخذت أدرس وجوههم، وكل ما أمكنني التفكير فيه هو أنه لم يكن لديهم فكرة عما سيحصل لاحقاً، تماماً مثلما لم يكن لدى عائلة بروك أي فكرة عما قد يحدث، أو ربما كانوا يشعرون بذلك، وربما كانوا قلقين منذ أن تعرّضت خزانة بروك للتخريب، وألقيت قطعة اللحم المملّحة بالدماء على سيارتها، متسائلين عما إذا كان هناك ما يجب عليهم فعله، وربما سئموا من التفكير في ذلك الآن، لأنها الساعة الواحدة تقريباً، ولم يسمع أحد عنها شيئاً.

رنّ هاتفي فوضعت الصورة جانباً لأسحبه من جيبي، فراح قلبي يقفز في صدري عندما رأيت رسالة نصيةً من مالكولم يقول فيها: "هل يمكننا التحدث؟".

تردّدت قليلاً، لكنني كنت أفكر في مراسلته بعد مغادرة رودريغيز، على الرغم من أنني لم أكن أعلم بما سأحدّث عنه، وما زلت أجهل ما عليّ قوله، ثم ظهرت نقاط رمادية تشير إلى كتابته رسالةً أخرى، فحبست أنفاسي في أثناء مراقبتها.

"سأفهم إن كنت لا تريدني".

الحقيقة أنني أريد.

أرسلت رسالةً: "حسناً، أين؟".

"حيثما تريدني، يمكنني القدوم إذا أردت؟".

هذه فكرة جيدة، لأنه لا يمكن أن تسمح لي نانا بالخروج من المنزل اليوم، حتى إنني مندهشة من ذهابها إلى القبول لغسل الملابس.

سألته: "متى؟".

"بعد عشر دقائق؟".

"حسناً".

صعدت إلى الطابق العلوي وطرقت باب غرفة نوم عزرا، فلم يجب، ربما لأنه يستمع إلى الموسيقى عبر سماعتيه، فهما منفذه الوحيد للهروب من المشاكل كلما شعر بالقلق. أدت المقبض وفتحت الباب، وكما ظننت، إنه يجلس إلى مكتبه واضعاً سماعتيه بإحكام على أذنيه، محدّقاً إلى حاسوبه المحمول.

انتفض عندما وضعت يدي على كتفه، فقلت له حالما نزع سماعتيه: "مالكولم قادم".

قال: "حقاً؟ لماذا؟".

"حسناً، لم يقل ما يريده بالتحديد، أفترض... كما تعرف، ربما يريد التحدّث عن بروك..."

فكرتُ في رسالته الثانية: سأفهم إن كنت لا تريدين، وتابعت كلامي: "ربما يريد تفسير ما حدث بعد أن أوصلنا إلى المنزل البارحة".

قال عزرا: "لقد سمعنا القصة من نانا مسبقاً، التي بدورها سمعتها من ميلاني، والتي ربما سمعتها من بيتر نيلسون، أو من أحد هؤلاء الأشخاص الآخرين في إيكو ريدج الذين يبدو أنهم يعرفون كل شيء بمجرد حدوثه".

أكمل عزرا كلامه قائلاً: "مالكولم أوصل بروك ثم دخلت المنزل".

تجهم وجهه عندما لم أجبه فقال: "ماذا؟ ألا تصدّقين ذلك؟ هيا يا إليري إنه صديقنا!"

قلت له: "صديق نعرفه منذ شهر فقط".

وأضفتُ قائلة: "في المرة الأولى التي قابلته فيها، كان يحمل عبوة من رذاذ الطلاء في حفل جمع تبرعات لاسي".

فغر عزرا فمه متفاجئاً، لكنني استرسلت قبل أن يتمكن من مقاطعة كلامي: "اسمع، كل ما أقوله إنه ليس موقفاً غير منطقي أن استجوبه الآن".

سأل عزرا: "هل ستسألينه؟".

ترددت قليلاً، فأنا لا أريد ذلك، وهو كان شخصاً لطيفاً معي، حتى عندما كان محبباً، ناهيك عن أنه قضى السنوات الخمس الماضية يواجه قضية اتهام أخيه ديكلان كيلي بالقتل، وحتى لو أراد إيذاء بروك، فهو ليس أحق ليضع نفسه في موقف مشابه لديكلان، فعليه التفكير ملياً قبل أن يفعل ذلك.

إلا إن لم يكن القتل مُتعمداً.

يا الهي! التفكير بهذه الطريقة مرهقٌ حقاً، عزرا محظوظ لأنه لم يقرأ الكثير من كتب الجريمة الحقيقية كما قرأت أنا، فلا يمكنني إخراجها من رأسي الآن.

هزّ رأسه وهو يبدو محبباً ولكنه غير متفاجئ بشكل كبير، وقال: "هذا بالضبط ما لا نحتاج إليه الآن، النظريات الجامحة التي تشتت انتباه الناس عما يحدث بالفعل".

"ماذا يعني ذلك؟".

فرك وجهه بيده، وقال: "لا أعلم، لكنني لا أعتقد أن الأمر مئوط بصديقنا لمجرد أنه كان في المكان الخطأ وفي الوقت الخطأ".

لويثُ يدي وضغطت بها على قدمي، فأنا ما زلتُ أعجز عن التوقف عن الحركة، وقلت له: "سأنتظر في الخارج، هل ستأتي؟".

قال عزرا: "نعم" وهو يسحب سماعتيه من حول رقبته ويرميها على المنضدة المزدحمة بالأغراض، لقد فعل الكثير لجعل غرفته تشبه أكثر مما فعلت، حيث غطى الجدران بصور تعود إلى مدرستنا الأخيرة، وملصقات لفرقة الموسيقى المفضلة، فبدت كغرفة مراهق تماماً. بينما غرفتي لا تزال تشبه غرفة الضيوف، ولا أعرف ما الذي أنتظره، ربما أنتظر شعوراً بالانتماء إلى هذا المكان.

نزلنا إلى الطابق السفلي ثم توجهنا إلى شرفة نانا الأمامية، وجلسنا على المقعد بجانب الباب، ولم يمر أكثر من دقيقتين حتى دخلت سيارة السيدة نيلسون إلى ممرنا، وترجل مالكولم منها، وهو يرفع يده ملوحاً، ثم شق طريقه في الحديقة، وكان هناك مساحة تتسع لشخص آخر على مقعدنا، لكنه لم يجلس بجانبنا، بل اتكأ على سياج الشرفة، مواجهاً لنا، واضعاً يديه في جيبه، فلم أعرف أين عليّ أن أنظر، لذا اخترت النظر إلى فوق كتفه، فقال لنا بهدوء: "مرحباً أيها الشابان".

سأله عزرا: "كيف حالك يا مال؟".

نظرت إلى مالكولم بينما كانت الخطوط المتوترة في وجهه تسترخي لفترة وجيزة، فالسؤال عن أحواله يعني العالم بالنسبة إليه، وأدركت أن عزرا ألقى عليه السلام كالمعتاد.

قال له: "لقد مررت بأيام أفضل، وأردت فقط أن أخبرك...". ونظر إليّ كأنه يعلم أن عزرا ليس لديه أدنى شك فيه، ثم استأنف الحديث قائلاً: "أردتك أن تسمعي مني ما قلته لمكنولتي، إنني راقبت بروك وهي تعود إلى المنزل بأمان، وشاهدتها تدخله وتغلق الباب خلفها، وهذا كل ما أعرفه عنها حتى هذا الصباح".

قال عزرا مُردداً ما قاله في الطابق العلوي: "إننا ندرك ذلك، إنهما المكان والزمان الخاطئان، ولا يستطيع الناس أن يوجّهوا إليك أي اتهام".

قال مالكولم وقد انحنى نحونا: "حسناً، في الواقع.. كاترين تقول أشياء..."، ثم ابتلع لعابه بصعوبة متابعاً: "إنها تعتقد أنني أواعد بروك".

تصلبت عروقي بينما شهق عزرا بقوة، وقال: "ماذا تقول؟ لماذا؟".

هزّ مالكولم كتفيه بلا حول ولا قوة، وقال: "لا أعرف، سألتني الأسبوع الماضي إذا كنت سأصطحب بروك إلى الحفلة، لأنها انفصلت عن كايلا ولم يكن لديها رفيق"، ألقى نظرة سريعة عليّ، وقد لمحته بطرف عيني لأنني كنت أجدق فوق كتفه مرة أخرى، وقال مالكولم: "لم أسألها، ولم تذكر اسمها كاترين مرة أخرى، فكانت تلك المرة الوحيدة التي تحدّثت فيها عن بروك وعني، حتى إنها في ذلك الحين قالت إننا سنذهب بصفتنا صديقين فقط".

نظرت إلى الأسفل فشاهدت خنفساء تزحف عبر أحد ألواح سياج الشرفة وتنزلق عبر صدع، قلتُ له: "اعتقدت أنك وكاترين قد انسجمتما معاً".

قال مالكولم بصوت متناقل: "اعتقدت ذلك أيضاً، ولا أدري سبب ذلك، فقد سئمت من كل شيء يعد سماع الخبر، وأنا شديد القلق بشأن بروك، وما يُشاع غير حقيقي مطلقاً، لذا أردتك أن تعرفي ذلك أيضاً".

أخيراً تلاقت عيوننا، وقد تحرّرت من قيود الزمن، فبدت عيناه حزينتين وخائفتين وبالطبع تشعّان دفناً وحناناً، في تلك اللحظة اخترت أن

أصدّق أنه ليس فتىً غاضباً من آل كيلبي، أو أنه يمكن أن يكون لديه دافع لارتكاب مثل تلك الأفعال الشنيعة، أو أنه من النوع الهادئ المريب الذي لا تشكُّ فيه أبداً، بل اخترت تصديق أنه الشخص الواضح والصريح.

لقد اخترت أن أثق به.

قلت له: "نحن نصدِّقك".

فانفرجت أساريه.

الفصل العشرون

مالكولم

الاثنين، 30 أيلول

لقد حان موعد تناول الغداء ولا تزال بروك مفقودةً، بينما كنت أسترجع ما مرّ به أخي منذ خمس سنوات.

كان طلاب ثانوية إيكو ريدج جميعهم يحدّقون إلى وجهي طوال الوقت، وهم يهمسون من خلف ظهري، باستثناء القلة الذين كانوا يقفون أمامي ويجاهرون بذلك، مثل كايل مكنولتي، فقد كان وشقيقته ليز غائبين طوال عطلة نهاية الأسبوع بعد أن زارا أقرباءهما، بالإضافة إلى قيام ليز بزيارة أصدقائها في جامعة فيرمونت، لذلك لم يستجوب أحد كايل، وبمجرد دخولي إلى الردهة هذا الصباح، أمسك بذراعي ودفعني إلى خزانة الملابس، وصرخ قائلاً: "إذا فعلت شيئاً لبروك، فسأقضي عليك".

تخلّصت من قبضته، ودفعته إلى الخلف، وقلت: "عليك اللعنة، مكنولتي".

كاد أن يضربني لو لم يتدخّل المعلم ويبعدنا عن بعضنا.

الآن أنا وميا متّجهان إلى الكافتيريا، ونورّع ملصقات الحفل الراقص في طريقنا إليها، فقد قالت المديرية سليت خلال الإعلانات الصباحية إنه لم يتمّ البت في قرار إلغاء رقصة السبت، ولكن تمّ تقليصها بشكل صارم، إلى جانب إلغاء وجود لجنة الحفل، وانتهى الإعلان بتذكير الطلاب بضرورة الإبلاغ عن أي شيء مريب أو أي شخص مشتبه به.

وبالنسبة إلى معظم الطلاب، كنت المقصود.

لو لم أكن مستاءً بشدة، لضحكت على نظرات ميا الشرسة إلى كل شخص نمّر به في الردهة، وهي تتمم: "هيا جرّب ذلك".

وبينما كان اثنان من زملائها المنضمّين إلى فريق كاي، وقد بلغ حجمهما ضعف حجمها، يرمقاني بنظرات فاحصة، قالت لهما: "أتمنى أن تفعل ذلك".

توجّهنا إلى الكافتيريا وأخذنا صينيتين، بدأت بتكديس الطعام على صينيتي وأنا أعلم أنني لن أتمكن من تناوله كله، ثم شققنا طريقنا نحو طاولتنا المعتادة، ومن دون الإعلان عما نفكر فيه، جلسنا وقد أولينا الحائط ظهرنا، لمواجهة من يدخل إلى الكافتيريا، ويحاول التعليق على ما يجري، فقد فضلنا أن نواجه كل من يفعل ذلك.

أرسلت ميا نظرة اشمئزاز إلى طاولة كاترين، بعد أن كانت تشير فيف إلينا بشكل متواصل.

قالت لي: "إنها تعمل بجد بالفعل على مقالها التالي، أراهن أنها حصلت على تطوّر الحبكة الذي كانت تنتظره".

ارتشفت رشفة من الماء باندفاع، وقلت: "يا إلهي ميا، إنهن صديقات".

قالت ميا: "توقف عن الوثوق بالناس واعتبار نواياهم حسنة، يا مال. لا أحد يقوم بعمل جيد من أجلك، يجب أن...". تشبّثت تفكيرها لحظة اشتداد الضوضاء في الكافتيريا، بعد أن ظهر التوأم كوركوران وهما يحملان صينيتين، فلم أتحدّث إليهما اليوم، وفي كل مرة رأيت أحدهما كان محاطاً بمجموعة من الطلاب، فقد عرف كل من المدرسة أنهما كانا قد رأيا بروك قبل آخر شخص رآها قبل اختفائها، والجميع يريدون معرفة وجهة نظرهما بشأن ما حصل ليلة السبت، ولست بحاجة إلى أن أكون على مقربة منهما لمعرفة نوع الأسئلة التي يتلقّيانها: "هل سمعتما أن بروك ومالكولم كانا يتواعدان؟ هل تصرّفا بارتياب تجاه بعضهما؟ هل كانا يتشاجران؟ أتعقدان أنه فعل شيئاً لها؟".

أستطيع أن أقول بعد زيارتهما بالأمس إن عزرا مثل ميا بالضبط، لم يخطر بباله أبداً أنني ربما فعلت شيئاً باستثناء إيصال بروك، إلا أن عقل اليري لا يعمل بهذه الطريقة، فهي شكاكة بالفطرة، وقد فهمت ذلك، ولكنه كان مؤلماً، وعلى الرغم من أنها بدت وكأنها اقتنعت في النهاية، لكنني لست

متأكدآ من أنها ستستمرّ بتصديقي بعد أن همس نصف طلاب المدرسة في أذنها.

راقبت ميا الاثنين وكأنها تفكّر مثلهما بالضبط، فكانت عينا عزرا تضيئان وهما تنظران إلينا، وفي الوقت نفسه تقريباً رفعت كاترين يدها، وقالت: "إليري، هنا!" فلم تشمل دعوتها عزرا. شعرت برضي ممزوج بالشفقة بعد أن اتجه عزرا نحونا، على الرغم من أنني أعلم أنه لجأ إلينا ربما بسبب عدم دعوته إلى أي مكان آخر.

تردّدت إليري قليلاً، بينما كان كل من في الكافيتريا يراقبها، وقد كان شعرها المجدد الطويل منسدلاً على كتفيها اليوم، وعندما نظرت نحو كاترين وقد حجت نصف وجهها، بدأ قلبي يخفق في صدري وأنا أحاول أن أقول لنفسي إنه لا يهمّ ما ستفعله، ولن يتغيّر شيء، وستظلّ بروك في عداد المفقودين، كما ستظلّ نصف المدينة تكرهني لأنني من آل كيلبي.

رفعت إليري يدها ولوّحت لكاترين، ثم ابتعدت عنها، وتبعنا عزرا إلى طاولتنا، فالتقطت أنفاسي وكأنني أشعر للمرة الأولى طوال اليوم بالراحة، لكن الضجيج في الكافيتريا ازداد. وصل إلينا عزرا أولاً، وسحب مقعدين مصدراً صوتاً صاخباً، واسترخى في أحدهما قائلاً بهدوء: "مرحباً أيها الشابان".

وضعت إليري صينيته بجوار صنيته وانزلت في المقعد الآخر، وابتسمت لي ابتسامة خفيفة.

هكذا كنا جميعنا غرباء.

إنه ليس صحيحاً، ليس جيداً.

هذا ما قالته بروك في مكتب مزرعة الرعب وهو الأكثر حضوراً في ذهني، وقد كان ذلك بحضور إليري أيضاً. قالت: "ذات مرة جلست برفقة بروك وكاترين لتناول الغداء، فبدت منهكة، وكأن شيئاً ما كان يزعجها".

نحن في منزل ميا بعد المدرسة منتشرون في أرجاء غرفة الجلوس، أنا أراقب وسائل التواصل الاجتماعي باستمرار، على أمل الحصول على نوع من التحديث الإيجابي عن بروك، لكن كل ما أراه هو منشورات حول تنظيم البحث. لا تريد الشرطة أن يفعل الناس أي شيء بمفردهم، لذا فهم يجندون متطوعين لتنسيق الجهود.

ديزي مختبئة في غرفة نومها كالمعتاد، ووالدا ميا ليسا في المنزل، حمداً لله، أوّ أن أعتقد أن الدكتور والسيدة كوون لن يعاملاني بشكل مختلف عما كانا عليه دائماً، لكنني لست مستعداً لاكتشاف ذلك.

تقول ميا: "ربما لهذا السبب كانت تتحدّث إلى فانس. لا تزال غاضبة لأن أحداً لا يأخذني على محمل الجد بشأن ذلك، ربما كانت تطلب المساعدة".

يبدو عزرا مرتاباً، وهو يقول: "لا أعرف، لقد قابلت الرجل مرة واحدة فقط، لكنه لم يبدو لي من النوع المحب للمساعدة".

قالت إليري: "كان رفيق سادي في الحفل".

"هذا لا يعني شيئاً، أعتقد، لكن... من الغريب كيف يستمرّ في الظهور، أليس كذلك؟".

"نعم، أوافقك الرأي، لكنه كان محبوباً طوال الليل".

قالت إليري بارتياحاً: "وذلك وفقاً لمكنولتي".

نظرت إليها، وقلت: "ماذا؟ هل تعتقدين أنه كان يخلق ذلك؟".

هي على الأقل تمتلك فرصة متساوية مع نظريات المؤامرة الخاصة بها.

سألتنني: "لا أعتقد أن شرطة إيكوريدج مؤهلة للغاية، أليس كذلك؟ شخص ما رسم لهم خريطة تقول: مرحباً، ها هي ضحيتي التالية، وها هي اختفت على أي حال".

اختلفت وشعرت بغصة في حلقها وهي تنطق بالكلمة الأخيرة، فانحنت في كرسي كوون الجلدي الضخم، فرمشت عيناى متفاجئاً من مدى ضياعها واضطرابها، وبعد ذلك وددت أن أضرب نفسي لأنني انشغلت بمشاكلي الخاصة لدرجة أنني لم أتواصل معها في وقت أبكر.

قلت لها: "أنت خائفة، وبالطبع كان الوضع كما ذكرته، وقد كان اسمها في تلك القائمة أيضاً".

انحنى عزرا على الأريكة، وقال: "لا شيء سيحدث لك، يا إل".

كانه يستطيع جعل ذلك حقيقة بقوة إرادته. أومأت ميا بقوة إليه وهي إلى جانبه.

قالت إليري وهي تطوي ركبتها إلى صدرها وتريح ذقنها عليهما: "أعلم ذلك، هذا ما يجب أن لا أفعله، أليس كذلك؟ إنها دائماً فتاة واحدة، ليس هناك سبب يدعو للقلق بشأنني الآن، أو بشأن كاترين، فقد كانت الضحية بروك فقط".

لا توجد طريقة لأذكرها بأنه ليس لدينا دليل كيف يتم الأمر، فقلت لها: "يمكننا القلق بشأنكن جميعاً، لكن الأمور ستكون بخير يا إليري، سنحرص على ذلك".

إنها أسوأ مواساة على الإطلاق، من الشخص الذي اعتقد أنه أعاد بروك إلى المنزل بأمان، ولكن كان ذلك كل ما أملكه.

سمعنا صوت خطوات خفيفة على الدرج، وظهرت ديزي عند نهاية الدرج، إنها تضع نظارة شمس عملاقة وسترة كبيرة الحجم، وتمسك بحقيبتها مثل الدرع. قالت لنا: "سأخرج لبعض الوقت".

قالت ذلك وتوجّهت إلى الباب الأمامي لكوون، وسحبت سترة من رف المعاطف، وكانت تتحرك بسرعة، كما لو كانت تنزلق على الأرض.

قالت ميا وهي تتصفح هاتفها وكأنها بالكاد تستمع إليها: "حسناً".

ولكن بمجرد أن أغلقت ديزي الباب خلفها، انتفضت ميا وهمست وهي تقفز على قدميها: "دعونا نتبعها".

رفع عزرا وإليري حواجبهما في انسجام كوميدي تقريباً، فاعترضت قائلاً: "نحن نعلم بالفعل إلى أين تذهب".

ازداد وجهي احمراراً حين تبادل التوأم نظرات المفاجأة، رائع! لا شيء يضاهي فضح نفسك بصفتك مطارداً أمام أصدقائك.

قالت ميا وهي تنظر من خلال ستائر النافذة المجاورة للباب: "لكننا لا نعرف السبب، ديزي ترى طبيياً نفسياً ولم تخبرني بذلك".

أضافت وهي تنظر إلى التوأم من فوق كتفها: "كل شيء غامض للغاية، شخصياً سئمت الأغاز، على الأقل يمكننا أن نفعل شيئاً حيال هذا إن كنا سريعين بما يكفي، حسناً لقد انطلقت للتو، هيا بنا".

اعترضت قائلاً: "ميا، هذا سخيف".

لكن لشدة دهشتي كانت إليري قد بلغت منتصف الطريق باتجاه الباب، وعزرا خلفها مباشرة، ولا يبدو أن أياً منهما كان قلقاً بشأن حقيقة أن ميا تتجسس على أختها بمساعدتي، لذلك ركبنا سيارة أمي، وانطلقنا في الطريق نفسه الذي سلكته ديزي يوم الخميس الماضي، فلاحقنا بها بسرعة كبيرة، وأبقينا مسافة بضع سيارات بيننا.

قالت ميا وعيناها ثابتتان على الطريق: "لا تفقدها، نحن بحاجة إلى أجوبة".

قال عزرا مرتبكاً ومضطرباً: "ماذا ستفعلين؟ هل ستحاولين الاستماع إلى جلسستها؟".

أنا أوافقه حتى لو لم يكن ذلك انتهاكاً جسيماً لخصوصية ديزي، وربما كان غير قانوني، ولكنني لا أعرف كيف يمكن القيام بذلك.

قالت ميا من دون اكتراث: "لا أعرف".

هذه هي ميا الاعتيادية، تتخذ الإجراءات من دون تدبير.

قلت لهم: "أتساءل لِمَ قد تزور الطبيب مرتين خلال أسبوع واحد، فذلك يبدو كثيراً، أليس كذلك؟".

وصلنا إلى المسرب الأيسر ونحن نتحصّر لسلوك الاتجاه الذي سلكته ديزي سابقاً عند التقاطع التالي، إلا أنها لم تفعل، بل انحرفت السيارة عن طريقها، فأكملت طريقي خلفها مباشرة، وهذا جعل السيارة التي ورائي تطلق بوقها عندما تجاوزت الضوء الأصفر.

قال عزرا: "قيادة سلسلة! الأمر يسير على ما يرام، ونحن نقود خلفها بخلصة شديدة".

عبست ميا وهي تقول: "أين تريد الذهاب؟".

قلت: "صالة الألعاب الرياضية" على ما أعتقد، فشعرت بالغباء وصححت كلامي قائلاً: "للتسوق؟".

لكن ديزي لم تتّجه إلى وسط المدينة، أو نحو الطريق السريع الذي يقودنا إلى أقرب مركز تجاري، بل التزمت الطريق حتى اجتزنا حانة

بوكوسكي ودخلنا سولزبري المدينة التالية، والتي بدت بيوتها أصغر وأقرب إلى بعضها مما هي عليه في إيكو ريدج، وكان عشب الحدائق أقل تشذيباً، وقد أومضت سيارة ديزي بعد أن فقدناها أمام متجر كحول، ثم استدارت أمام لافتة مكتوب عليها مجّع باين كريست.

ذلك الاسم يدعو إلى التفاؤل، وعلى ما أعتقد هو مجمع سكني، مليء بذاك النوع من الأماكن الرخيصة الشبيهة بالصناديق التي لا يمكنك العثور عليها في إيكو ريدج، ولكنها موجودة في جميع أنحاء سولزبري. أمي وأنا تفقدنا مكاناً مشابهاً له قبل أن تلتقي هي وبيتر، ولو لم يلتقيا، لما كان في إمكاننا البقاء في منزلنا لفترة أطول، حتى لو كان أصغر منزل في إيكو ريدج.

سألت ميا باستغراب: "هل ستنتقل إلى منزل آخر؟".

ركنت ديزي سيارة النيسان الرمادية ببطء في مرأب السيارات أمام المساحة رقم 9، فكان هناك سيارة زرقاء إلى يمينها، وقد توقفت في مكان فارغ بجانبها، فانكمشنا على أنفسنا في مقاعدنا حين ترجلت من السيارة، وكان هذا سيقينا متخفين، وكل ما على ديزي فعله هو أن تلف رأسها لترى سيارة والدتي الفولفو، ولكنها لم تنظر حولها وهي تخرج من السيارة، وتخطو إلى الأمام وتقرع الباب.

مرة واحدة، مرتين، ثم مرة ثالثة.

خلعت ديزي نظارتها الشمسية ووضعتها في حقيبتها ثم قرعت مرة أخرى.

قلت لهم: "ربما يجب أن نغادر قبل أن تستسلم، فلا أعتقد أنهم في..."، توقفت عن الحديث عندما فُتح الباب رقم 9، فلف أحدهم ذراعيه حول خصر ديزي وهو يؤرجحها في نصف دائرة، ويقبلها بقوة لدرجة أن ميا شهقت بجانبها قائلة: "يا إلهي، ديزي لديها حبيب!".

قالت ذلك وهي تفكّ حزام مقعدها، وتميل إلى اليسار حتى أصبحت في حضني تقريباً.

"لقد كانت تتصرف كالآنسة، وتردد قائلة: أريد أن أختلي بنفسي، منذ أن انتقلت إلى المنزل! لم أتوقع حصول ذلك".

كنا جميعاً نرفع أعناقنا للحصول على رؤية أوضح، ولكن ليس قبل أن تتحرّك ديزي يمكن أن نعرف من ترافق، إلى أن اكتشفت أنها برفقة من لم أراه منذ خمس سنوات، ابتسم أخي ابتسامة عريضة جداً، قبل أن تدخل ديزي ويغلق الباب خلفها.

الفصل الحادي والعشرون

إليري

الاثنين، 30 أيلول

قال مالكولم: وهو يقوم بوضع عملة في أحد طرفي طاولة البيبي فوت "كان ذلك مثيراً للاهتمام".

بعد أن غادرنا شقة ديكلان، توقّفنا في أول مكان وصلنا إليه، وقد كنا متأكدين من أنه وديزي يلتقيان في موعد غرامي. وصادف أن تشاك إي تشيز كان في طريقنا، وأنا لم أذهب إليه منذ سنوات. لذلك نسيت ما هو الاعتداء الحسي الذي يسببه وميض الأضواء، وصفير الألعاب، والموسيقى الرخيصة، وصراخ الأطفال.

في البداية لم يكن الرجل الذي سمح للناس بالدخول عند الباب متأكداً من السماح لنا، فقال وهو يلقي نظرة خاطفة وراءنا في الرواق الفارغ: "من المفترض أن تصطحبوا الأطفال".

قالت ميا وهي تمدّ يدها إليه من أجل الختم: "نحن الأطفال".

تبين أن تشاك إي تشيز هو المكان المثالي لجلسة المعلومات السرية، فكل شخص في المكان مشغول للغاية، إما من خلال مطاردة أطفاله أو الاختباء منهم، وهم لن يعيرونا أي اهتمام. وأشعر بهدوء غريب بعد رحلتنا إلى مجمع باين كريست، حيث انتهى الرعب الذي أصابني في منزل ميا بالكامل تقريباً، وهناك شيء مُرضٍ حول العثور على قطعة أخرى من لغز إيكو ريدج، وحتى لو لم أكن متأكداً بعد من مكانها.

كانت ميا تمسك بمقبض الطرف الآخر من طاولة البيبي فوت وعزرا بجانبها، أما أنا فكنت بجانب مالكولم. انبثقت الكرة من جانب واحد، فدوّرت

ميا العارضة بغضب لكنها أخطأت إصابة الكرة تماماً، ثم قالت بصوت مرتفع:
"إذا أخوك وأختي! منذ متى برأيك هما على علاقة ببعضهما؟"

كان مالكولم يناور أحد اللاعبين بمهارة قبل أن يضرب الكرة، وكاد يسجل هدفاً لو لم يصدّها عزرا، فقال: "اللجنة عليّ إن علمت شيئاً، ربما منذ أن عادا إلى البلدة؟ لكن هذا لا يزال لا يفسّر ما يفعلانه هنا، ألا يمكن أن يتواعدا في نيو هامبشاير؟ أو بوسطن؟".

مرر الكرة إلى أحد رجاله، ثم إلى الوراء وأخيراً إليّ، فأطلقت تسديدة عبر الملعب في المرمى المفتوح، ابتسم مالكولم ابتسامة متفاجئة تذيب توتر فكه المتشنج.

"لست سيئة!".

أريد أن أبتسم لكنني لا أستطيع، فهناك شيء كنت أفكر فيه منذ أن ابتعدنا عن مجمع باين كريست، وما زلت أفكر في كيفية طرحه.

قالت ميا: "لا أعتقد أنهما يستطيعان التواعد في أي مكان، هل يمكنك أن تتخيل ما إذا كان أحد المراسلين الذين كانوا يتجولون حول إيكو ريدج قد اكتشف هذا الأمر؟ صديق لاسي ديكلان وأفضل صديقة لها، معاً بعد خمس سنوات؟ في حين أن أحدهم يسخر من موتها عبر كتابة كلام هراء في جميع أنحاء المدينة، إلى جانب اختفاء فتيات أخريات؟"، ارتجفت ميا لكنها تمكنت من ضرب الكرة بقدمي أحد رجالها، ثم تابعت: "الناس سوف يكرهونهما".

خرجت مني الكلمات بسرعة: "ماذا لو لم تكن علاقتهما قد بدأت بعد خمس سنوات؟".

تسّمّر مالكولم لسماع ما قلته، ثم تدحرجت الكرة على طول الطاولة واستقرّت في مكانها، أضفت بلهجة اعتذار تقريباً: "أعني، ربما كانا معاً منذ مدة قصيرة".

هزّت ميا رأسها بالنفي، وقالت: "كان لدى ديزي أصدقاء آخرون، وكادت أن ترتبط بشاب كانت تواعده في برينستون".

فقلت لها: "حسناً، ربما لم تكن علاقتهما منذ خمس سنوات كاملة، لكن ربما... في مرحلة ما في المدرسة الثانوية؟".

تشجّ فك مالكولم مرة أخرى، وهو يشدّ ذراعيه على الطاولة، ويثبت عينيه الخضراوين عليّ، وإذا كنت دقيقة في الوصف فقد بدتا مقلقتين عند النظر إليهما من مسافة قريبة، سألني: "متى؟".

بينما كان ديكلان لا يزال يواعد لاسي، سيتشكّل مثلث الحب القاتل الكلاسيكي، وكان يجب أن أقضم خديّ من الداخل حتى لا أقولها بصوت عالٍ، ماذا لو وقع ديكلان وديزي في الحب منذ سنوات وأرادا أن يكونا معاً، لكن لاسي لم تكن لتدعه وشأنه؟ وقد تكون هددت بإلحاق الأذى بديزي انتقاماً، وأثارت غضب ديكلان لدرجة أنه فقد السيطرة على نفسه وقتلها، ثم قطعت ديزي علاقتها به، وحاولت نسيانه، لكنها لم تستطع. فأنا أجهد نفسي في التوسع في نظريتي، لكن نظرة واحدة إلى وجه مالكولم المتجمد تخبرني بأنه لا ينبغي لي ذلك، نظرت حولي ثم أشحت بنظري بعيداً وقلت: "لا أعرف، أطرح بعض الأفكار فقط".

يبدو الأمر كما أخبرت عزرا في المكتبة أنه لا يمكن نشر نظرية احتمال أن يكون شقيقك قاتلاً بين الناس فجأة، فميا لم تلاحظ ما أرمي إليه من خلال تحدّثي إلى مالكولم، إنها مشغولة للغاية وهي تدور بوحشية مقبضها المكوّن من لاعبين أزرقين من دون أن تلمس الكرة، وهي تقول: "لن تقع مشكلة إذا تحدّثت ديزي إليّ فقط، أو إلى أي فرد من أفراد عائلتنا".

اقترح عزرا قائلاً: "ربما تحتاجين إلى استخدام سلطة الأخت الكبرى".

"مثل من؟".

"اجعليها تخبرك بما يحدث، أو أخبري والديك بما رأيته".

نظرت ميا إلى وجهه، وقالت: "هذا شر خالص".

قال عزرا: "لكن نتيجته فعالة، وأراهنك على ذلك"، ثم ألقى نظرة على مالكولم، وهو يقول: "كنت سأقترح عليك الشيء نفسه، لكنني التقيت بأخيك للتو، ويصعب تطبيق ذلك عليه".

تجهّم وجه مالكولم وقال: "أوه طبعاً، سيقتلني، مجازياً"، وأضاف على عجل وهو ينظر إليّ شزراً: "أنه يعلم أنني لن أفعل ذلك أبداً، كما أنه لن يهتمّ والدنا بذلك، ولكن أماننا ستفقد عقلها، تحديداً في هذه الظروف".

لمعت عينا ميا وهي تراصف لاعبيها قبل ضرب الكرة: "ليس لديّ مثل هذه المخاوف".

لعبنا لبضع دقائق من دون أن نتحدّث إلى بعضنا، فقد كنت أفكّر في نظرية ديكلان وديزي التي لم أقلها، سأختبرها علها تحتوي على عيوب، وإن كنت أعترف بأنه يشوبها عيوب، لكنها جريمة حقيقية؛ فعندما تختفي الفتيات أو يتعرّضن للأذى، يكون الحبيب دائماً على صلة بذلك، أو قد يكون حالماً محبباً، لأنك إن كنت فتاة

جميلة في السابعة عشرة من عمرك، قد يتمّ العثور عليك مقتولاً في مكان معروف باللقاءات الغرامية، فماذا يمكن أن يكون سوى جريمة عاطفية؟

وإذا استبعدت ديكلان، فالشخص الآخر الوحيد الذي شككت فيه هو الرجل ذاته الذي لم تلاحظه لاسي، رايان رودريغيز، فلا أستطيع أن أنسى صورته في الكتاب السنوي، أو وصف سادي له وهو ينهار في جنازة لاسي، ومع ذلك فإن رودريغيز ليس مناسباً كديكلان، الذي يبدو منطقياً للغاية، خاصة بعد أن اكتشفت الآن علاقته بديزي.

لم أستطع التصديق أن علاقتهما حديثة، والسؤال الوحيد في ذهني هو ما إذا كان مالكولم على استعداد للاعتراف بذلك.

ألقيت نظرة سريعة على مالكولم وهو يلفّ مقبضيه، مركزاً تماماً على المباراة، وقد رفع حاجبيه، وزمّ عينيه الخضراوين عندما سدّد ببراعة، انثنت ذراعاه النحيلتان، فهو ليس لديه أي فكرة على الإطلاق عن مدى جاذبيته، وهذه مشكلة نوعاً ما، فقد اعتاد العيش في ظل أخيه لدرجة أنه لا يظنّ أنه يمكن أن يثير انتباه فتاة مثل بروك، كما أن أي شخص آخر يمكنه رؤية ذلك عن بعد ميل.

نظر إلى الأعلى، ثم نظر مباشرة إلى عينيّ، لقد كشفني، فشعرت باحمرار وجنتي، بينما ابتسم نصف ابتسامة، ثم غصّ طرفه مرة أخرى، وسحب هاتفه من جيبه ونظر إلى الشاشة، فتغيّر لون وجهه خلال لحظات، ولاحظت ميا ذلك فتوقّفت عن إدارة مقابضها، وسألته: "هل هناك أي أخبار؟".

قال مالكولم: "رسالة نصية من أمي، لم يظهر أي أثر لبروك"، صمتنا جميعاً، لأن الأمر لم يبدو جيداً بمجرد النظر إلى وجهه، وأكمل قائلاً: "ماعدًا أن هنالك حملة بحث غداً خلال النهار، وليس من المفترض أن يذهب طلاب

إيكو ريدج، وهناك مقال نُشر في بوسطن غلوب"، تنهّد بشدة، وهو يقول: "أمي مرعوبة، فهي تصاب بصدمة ما إن يُذكر أي خبر عن لاسي".

سألته: "هل يمكنني رؤيته؟"، سلّمني الهاتف، فقرأت المقطع المحدّد عبر الشاشة.

البلدة الصغيرة على حافة الهاوية بعد سلسلة من حوادث التخريب التي بدأت في أوائل أيلول، وقد تشوّهت المباني واللافتات من خلال رسائل مكتوبة، كما لو كانت من قاتل لاسي كيلدوف، وقد وعدت التهديدات المجهولة بشنّ هجوم آخر على إحدى الفتيات المنتخبات للجنة العودة، وهي قائمة قصيرة تضمّت بروك بينيت، لكن أولئك الذين يتابعون القصة عن كثب لا يرون أي صلة حقيقية.

تقول فيفيان كانتريل، طالبة في السنة الأخيرة في مدرسة إيكو ريدج الثانوية التي غطت القصة في جريدة مدرستها: "حتى لو كان شخصاً ما مختلاً بما يكفي لينجو من جريمة قتل ويتفاخر بها بعد خمس سنوات، فإن الأساليب مختلفة تماماً، فالخنق جريمة وحشية عاطفية، والتهديدات علنية وتتطلب التخطيط، ولا أعتقد أن هناك علاقة على الإطلاق بين ما حدث مع لاسي وما يحدث مع بروك".

أمسك بالهاتف بإحكام أكبر، فهذا بالضبط ما قلته قبل أسبوعين في أثناء تناول طعام الغداء. لقد سرقت فيف حديشي بالكامل، ونسبته إلى نفسها، قبل ذلك كانت تخبر الجميع بأن موت لاسي والتهديدات المجهولة متصلة ببعضها بشكل ما.

لماذا غيرت فيف رأيها فجأة؟

الفصل الثاني والعشرون

إليري

الأربعاء 2 تشرين الأول

إنه الأسبوع الأول من شهر تشرين الأول، بدأ الليل يخيم بسواده مبكراً، لكن حتى لو لم يحصل ذلك، كانت نانا ستصّر على إيصالنا بالسيارة إلى مناوبتنا في مزرعة الرعب.

وأنا لا أزعج نفسي بتذكيرها بأنها لا تستغرق سوى عشر دقائق سيراً على الأقدام، وهي تنتزع مفاتيحها من خطاف بجوار هاتفها المثبت على الحائط. فبروك في عداد المفقودين منذ أربعة أيام، والمدينة بأكملها في حالة تأهب، مجموعات تبحث عنها طوال اليوم، ومسيرات على ضوء الشموع ليلاً، وعلى مدار يومين من النقاشات المحترمة في المدرسة، والحفل لا يزال يوم السبت، ولكن من دون لجنة، كما لم أعد أميرة من الناحية الفنية، ولا بأس بذلك على ما أعتقد، لأنني ما زلت لم أعر على أحد يصطحبني في موعد غرامي.

تستمرّ النظريات القليلة نفسها بالانتشار، والتي تفيد أن بروك هربت، أو إنها ضحية قاتل مردرلاند، أو أن أحد ابني عائلة كيلى ألحق بها الأذى، فكل شيء في إيكوريدج يبدو وكأنه فوضى عارمة وعلى وشك الانفجار.

كانت نانا صامتة وهي توصلنا، أمسكت بإحكام بعجلة القيادة، وسرعتها أقل من الحد الأقصى، ونحن الآن على بعد خمسة عشر ميلاً نقرب من المدخل، ثم انحرفت إلى جانب الطريق وقالت: "بيت الرعب يغلق الساعة الحادية عشرة أليس كذلك؟".

"نعم".

"سأكون خارج البوابة عند الساعة الحادية عشرة وخمس دقائق".

هذا الوقت بعد ساعتين من موعد نومها، لكننا لا نجادلها، فقد أخبرتها سابقاً بأن مالكولم يمكنه توصيلنا، ولكنها أصرت على اصطحابنا على أي حال، ولا أعتقد أنها تظن أنه متورط في اختفاء بروك، فلم نخبرنا بأن نتوقف عن التسكع معه. لكنها ليست مستعدة لتخوض أي مخاطر، ولا يمكنني أن ألومها، فأنا مندهشة قليلاً لأنها ما زالت تسمح لنا بالذهاب إلى العمل.

ترجلت وعزرا من السيارة فشاهدنا المصاييح الخلفية تتعد ببطء شديد لدرجة أن الدراجة قد تسبقها، وبينما نحن في منتصف الطريق باتجاه البوابات، رنّ هاتفي، فرأيت رقماً مألوفاً من كاليفورنيا.

رفعت هاتفي إلى عزرا وقلت: "لا بد أن سادي سمعت بما حصل".

إنها مسألة وقتٍ فقط، فقد أصبح اختفاء بروك خبراً قومياً، وأنا كانت تغلق الهاتف طوال الأسبوع في وجه المراسلين الذين يبحثون عن قصة "مدينة واحدة، وثلاث فتيات مفقودات"، ويُزعم أن مرفق إعادة تأهيل هاملتون هاوس يحظر استخدام الإنترنت. ولكن بما أن سادي قد استخدمت هاتفها المحمول المستعار لتصفح صفحة عزرا عبر إنستغرام قبل أن تتصل بنا عبر تطبيق فيس تايم، فمن الواضح أنها تنتهك هذه القاعدة أيضاً.

رددت بعد أن وضعت الهاتف قريباً من أذني: "مرحباً سادي".

"إيري، الحمد لله أنك أجبت"، صوتها المنفعل يبدو عليه الخوف الشديد عبر الهاتف، فأكملت قائلة: "لقد قرأت للتو ما يحدث هناك، هل أنت وعزرا بخير؟".

"نحن بخير، فقط قلقان بشأن بروك".

"يا الله بالتأكيد أنتما كذلك، تلك الفتاة المسكينة لا بد أن عائلتها في حالة صدمة"، توقفت لبرهة، وقد انحبست أنفاسها لدرجة أنني سمعتها عبر الهاتف وهي تلهث، ثم أكملت قائلة: "حسناً، ذكر المقال أن هناك تهديدات سابقة لثلاث فتيات، وأن إحداهن كانت... ذات صلة قرابة... هل كانت أنت إيري؟".

أكدت لها قائلة: "لقد كنت أنا". أشار عزرا كما لو أنه يريدني أن أدعه يكلمها عبر فيس تايم لكنني لوحت له بالرفض، لأن الازدحام كان شديداً هنا.

"ولماذا لم تخبريني؟".

انطلقت مني ضحكة ممزوجة بالمرارة من دون سابق إنذار، وقلت:
"لماذا عليّ أن أخبرك؟".

خيم الصمت لدرجة أنني اعتقدت أن الاتصال انقطع، وكنت على وشك سحب الهاتف بعيداً عن أذني للتحقق من ذلك، عندما قالت سادي:
"لأنني والدتك وبحقّ لي أن أعرف".

إنه بالضبط كلام خاطئ وما كان ينبغي لها قوله. الاستياء يتدقّق من عروقي، ولا بد لي من الإمساك بالهاتف بإحكام شديد لمنع نفسي من رميه على الأرض، وبدلاً من ذلك أجبت قائلة: "حقاً؟ من حقك أن تعرفي؟ هذه مفاجأة من شخص لم يخبرنا أبداً بأي شيء مهم".

"ما الذي تتحدّثين عنه؟".

"والدنا؟ لا يُسمح لنا بطرح أسئلة عنه، جدتنا؟ بالكاد عرفناها حتى اضطررنا إلى العيش معها، خالتنا؟ كان لديك أخت توأم، قريبة منك مثلي أنا وعزرا، ولم تتحدّثي عنها أبداً. الآن نحن عالقان في هذا المكان نعيش القصة المروعة نفسها التي تتكرّر مرة أخرى، والجميع يتحدّث عن الفتاة الأولى التي اختفت، باستثناء أننا وحدنا لا نعرف أي شيء عن سارة لأنك حتى لم تذكر اسمها".

أنا أتنفّس بصعوبة، وقلبي ينبض بينما يطاردني مهووس في كل مكان، ولا أعرف ما إذا كنت مرتاحة أو مرعوبة وأنا أقول هذا الكلام لسادي أخيراً، وكل ما أعرفه هو أنني لم أستطع التوقّف.

"أنت لست بخير، سادي، أفهمت ذلك؟ أنت لست في مركز إعادة التأهيل بسبب حادث غريب سيكون قصة مضحكة تروينها في الحفلات عندما تخرجين، فلم تتناولي تلك الحبوب للاسترخاء، لقد قضيت سنوات في انتظار حدوث شيء كهذا، وفكرت... كنت خائفة"، شوشت الدموع رؤيتي، وانزلت على وجنتي، فأكملت كلامي قائلة: "طوال العام كنت أتوقّع هذه المكالمة الهاتفية، نانا وميلاني حصلنا عليها، المكالمة التي تقول إنك لن تعودني إلى المنزل أبداً".

لقد كانت صامته طوال الوقت الذي أتحدث فيه، لكن هذه المرة قبل أن أتمكّن من التحقق من معرفة ما إذا كانت قد أنهت المكالمة، سمعت صوتاً مختفياً، ثم قالت بصوتٍ خشنٍ لم أكن لأميّزه لو لم أعرف أنها هي المتصلة: "أنا... لا يمكنني التكلّم بشأنها، هذا يقتلني".

تجوّلت بالقرب من قسم الألعاب، ولا بد لي من سدّ أذني لأمنع ضجيج الحديقة، وقد وقف عزرا على مسافة قصيرة، وذراعا مطويتان ووجهه عابس، قلت: "إنه يقتلك ألم تفعلني بنا ذلك"، هي لا تجيب وأنا أضغط على جفنيّ لإغلاقهما، فلا أستطيع النظر إلى أخي الآن، وأكمل قائلة: "سادي، أعلم، حسناً؟ فإنني أعرف الآن تماماً ما الذي تشعرين به، أنا وعزرا كلانا نعلم. ما حدث لسارة أمر مروع، هذا مثير للاشمئزاز وليس عدلاً، وأنا أسفة جداً، من أجلك ومن أجلنا ومن أجلها"، بكت والذتي في الطرف الآخر من الخط، وكان صوتها يطعنني بسكين حاد في القلب، قلت لها: "أسفة لأنني صرخت في وجهك، لم أقصد ذلك، أنا فقط... شعرت بأننا سنبقى عالقين هكذا إلى الأبد لو لم نتمكن من التحدث عن ذلك".

افتح عيني بينما أنتظر ردّها، وقد كاد الظلام أن يحلّ الآن، وأضواء المزرعة توهّجت وقد انعكست على السماء الزرقاء الداكنة، وملاً الصراخ أجواء الحديقة، والأطفال الصغار كانوا يطاردون بعضهم بوجود آبائهم على مسافة آمنة خلفهم، فيعتمد كل نجاح مزرعة الرعب على مدى حبّ الناس للخوف ضمن بيئة منضبطة، وشعور يبعث على الارتياح بشكل أساسي عند مواجهة الوحوش والهروب للحفاظ على السلامة.

الوحوش الحقيقية ليست من هذا القبيل فهي لا تستسلم.

سألت سادي بصوت أجش: "هل تعلمين ماذا كنت أفعل ليلة اختفاء سارة؟".

أجبتها بصوت هادئ بالكاد مسموع: "كلا".

"كنت أفقد عذرتي مع الشخص الذي كنت أواعده في الحفلة"، ضحكت ضحكة هستيرية، وتنهدت تنهيدة قصيرة وتابعت: "كان من المفترض أن أكون برفقة سارة، لكنني خذلتها من أجل ذلك".

"أوه سادي"، لم أدرك أنني وقعت على الأرض حتى لمست يداي العشب، "إنه ليس خطأك".

"إنه خطئي بالطبع، لو كنت برفقتها لكانت معنا الآن!".

"لم تعرفي ما سيحدث، كنت تعيشين حياتك فقط، كنت تمارسين نشاطاتك الطبيعية، ولم ترتكبي أي خطأ قط، لا شيء من ذلك يعتبر خطأك".

"هل كنت ستشعرين بالشعور نفسه لو حدث شيء لعزرا عندما كان من المفترض أن تكوني برفقته؟"، لم أجب على الفور، فأجهشت بالبكاء، وقالت: "لا أستطيع النظر إلى والدتي، لم أستطع النظر إلى والدي، لم أتحدّث إليه لمدة عام تقريباً حتى قبل وفاته، ثم شققت طريقي بعد الجنازة بعيداً عن البلدة. أنت وأخوك وحدكما الإنجاز الأهم على الإطلاق منذ اختفاء سارة، والآن دمّرت ذلك أيضاً".

قلت تلقائياً لأشعرها بالراحة: "أنت لم تفسدي أي شيء"، لكن بمجرد خروج الكلمات من فمي أدركت أنها محقة، ربما لم تتمتع أنا وعزرا بطفولة طبيعية، لكن لم يكن لدينا أي شك في أن والدتنا كانت تحبنا، فلم تجعل أبداً الوظيفة أو معارفها يضعفون حبها لنا أو يعيقون رعايتها لنا، ولم يحصل ذلك حتى بدأت تتناول الحبوب حينها تحوّلت مشاعر الأمومة العشوائية إلى إهمال حقيقي، فارتكبت سادي أخطاء، ولكنها ليست من النوع الذي يجعلك لا تسامحها لارتكابها لأنها ليست مؤذية.

أنا أثرثر وكلماتي تتعثر، بينما تطلق سادي ضحكة ممزوجة بالدموع: "نحن بخير ونحبك، ورجاءً لا تفعل ذلك بنفسك، لا تلومي نفسك على شيء فطبع لم تكوني تتوقعين حصوله، استمعي إلينا، أنت أردت أن نتحدّث، أليس كذلك؟ احذري مما تتمنيه".

هناك الكثير لأقوله، ولكن كل ما تمكّنت من التوصل إليه هو: "إنني سعيدة لأننا نتحدّث".

تنفّست بعمق: "أنا أيضاً، هناك المزيد لأخبرك به ولا يتعلّق الأمر بسارة، لكنه يرتبط باللعنة، يجب أن أذهب إليري، أنا آسفة، انتبهي إلى نفسك وسأتصل مرة أخرى عندما أستطيع ذلك"، ثمّ ذهبت، فأبعدت الهاتف عن أذني ووقفت على قدمي بينما كان عزرا يسير نحوي، ويبدو أنه مستعد للانفجار.

"ما الذي يجري؟ سمعت القليل، لكن...".

رأيت حركة كتفه، فوضعت يدي على ذراعه: "انتظر، لديّ الكثير لأخبرك به، لكن هناك من أريد التحدّث إليه أولاً"، مسحت عينيّ، وألقيت نظرة على هاتفني، لقد تأخرنا بالفعل عن العمل، لكن لا بأس.

تدير امرأة مسنة معرض التصوير حيث اعتادت بروك العمل، وتتشاءب وهي تقوم بالتغيير، ويقف فانس باكيت حاملاً مسدساً مثبتاً على كتفه، ويصوّب بشكل منهجي على الأهداف، لقد أخبرنا مالكولم في أثناء تناول

الغداء أنه تمّ استجوابه مرة أخرى الليلة الماضية من قبل مكنولتي الذي قال إن الشرطة أجرت مقابلة مع فانس حول محادثته إلى بروك وسط المدينة، ووفقاً لفانس فإن بروك سألته فقط عن الوقت، وكان مالكولم محبطاً لكن ميا رفعت يديها باستسلام: "بالطبع، لماذا يجب أن يساعد؟ لا يوجد شيء مهم بالنسبة إليه، فهو لا يهتمّ بأي شخص في هذه المدينة".

ربما تكون على حق، أو ربما يكون محطماً بطريقته الخاصة.

بحث فانس في جيوبه عن فكة ليلعب جولة أخرى، فتجاوزت ثلاثة أطفال لم يبلغوا سنّ المراهقة، ووضعت دولارين على العداد، وقلت: "إنه دوري هذه المرة".

استدار وحدث إليّ، ثم نقر بإصبعه على ذقنه، فاستغرق الأمر بضع ثوان حتى يتعرّف إليّ: "الفتاة مطلقة النار، لقد حالفك الحظ في المباراة الأخيرة".

قلت: "ربما، معي ستة دولارات هل يجب أن نلعب جولتين من أصل ثلاث؟"، أوماً برأسه إليّ، فأشرت نحو الأهداف، وقلت: "الأبطال أولاً".

بدأ فانس بداية مضطربة، حيث أصاب ثمانية فقط من أصل اثني عشر هدفاً، ما حفّز روح التنافس في داخلي، إلا أنني أخطأت خمسة أهداف عندما حان دوري، فكان كل ذلك بلا جدوى، وإذا تباطأت مرة أخرى عندها تنتهي المباراة بفوزه.

ابتسم فانس عندما أنزلت بندقيتي، وقال: "لقد فقدت لمستك السحرية"، يبدو عزرا الذي يراقبنا ويداه على وركيه، وكأنه يعصّ على لسانه.

كذبت وأنا أقول له: "كنتُ فقط أقوم بالتحمية".

أبقيتها قريبة في الجولتين التاليتين، فخسرت واحدة في كل مرة، وازداد غرور فانس، وفي النهاية ضحك عندما أخطأت تسديدي الأخيرة، وقال: "محاولة جيدة يا فتاة، كنت على وشك أن تصيبي مرة كاملة".

قلت بحسرة: "أعتقد أنني كنت محظوظة في المرة الأخيرة"، لا أملك موهبة سيادي، وهذا واضح من كآبة عزرا ونحن نتقل إلى جانب واحد حتى يتمكن الأشخاص الذين ينتظرون خلفنا من اللعب، لكنني أمل أن يكون ذلك جيداً بما يكفي بالنسبة إلى رجل مخمور.

"أخبرتني أمي أنها قد لا تحدث مرة أخرى".

عدّل فانس قبعته على شعره الدهني: "أمك؟".

قلت: "سادي كوركوران، أنت فانس، أليس كذلك؟ قالت إنكما ذهبتما إلى حفلة الترحيب معاً، وإني يجب أن أقدم نفسي إليك، أنا إليري".

من الغريب أن يمسك يدي بعد ما قالت لي سادي للتو، ولكنه أمسكها، وبدا مرتبكاً، وقال: "هي قالت ذلك؟ لم أكن لأظنّ حتى أنها تتذكّرني".

كنت بالكاد أقول إنها تتحدّث عنك طوال الوقت، لكنني قرّرت ترك الأمور قابلة للتصديق، وقلت: "هي تفعل، ليس من السهل عليها التحدّث عن إيكو ريدج بعد ما حدث لأختها، ولكنها دائماً تتحدّث عنك بشكل إيجابي".

على ما أعتقد كان قريباً جداً من الحقيقة، وأشعر بتعاطف كبير تجاهه، لأنه الشخص الوحيد في إيكو ريدج الذي لديه عذر عندما اختفت كل من سارة وبروك، فقد أصبح فانس باكيت فجأة أكثر الرجال جدارة بالثقة في المدينة.

بصق على الأرض، بالقرب من حذائي الرياضي، فجفّلت، وقلت له: "تباً ماذا حدث".

"أعرف ذلك، فهي لم تتجاوز الأمر قط، والآن صديقتي مفقودة"، فنظرت إلى المرأة الجديدة خلف المنضدة.

"أعتقد أنك تعرف بروك، أليس كذلك؟ بما أنك تلعب هنا طوال الوقت".

قال متبرّماً: "طفلة لطيفة"، خطأ خطوتين، وبدا عليه العجلة، فكان مستعداً للمضي قدماً، فنقر عزرا على ساعته ورفع حاجبيه نحوي، ادخلي في الموضوع.

قلت: "أسوأ ما في الأمر، أنني أعلم أن شيئاً ما كان يزعجها قبل أن تختفي، وكان من المفترض أن نجتمع يوم الأحد حتى تتمكن من إخباري بما يحصل معها، لكن لم تسنح لنا الفرصة أبداً، وهذا يقتلني"، اغرورقت عيناى بالدموع، فكانت عليّ وشك الانهماز بعد حديثي مع سادي، فسالت على خدي، وأنا أوّدي دوراً ببراعة، قالت سادي دائماً إن أفضل أداء تمثيل يحدث عندما تكون مرتبطاً عاطفياً بالمشهد،

وأنا ممزقة بما يكفي بشأن ما حدث لبروك ما سيمكّني من أن أنجح في أغلب الأحيان، فتابعت قائلة: "أتمنى لو كنت أعرف ماذا كانت تريد".

فرك فانس فكه، وقف مجدداً ثابتاً على قدميه، والتفت إلى الحشد وراءه، وتمتم: "أنا لا أحبّ التورط، ليس فقط مع الناس في هذه المدينة، بل مع الشرطة تحديداً".

قلت من دون تردّد: "أنا أيضاً، نحن غريبان تماماً في هذه البلدة، وكانت بروك ولا تزال إحدى صديقاتي"، بحثت في حقبتي عن منديل ورقي ومسحت أنفي.

تكلم فانس بهدوء وعلى عجلة: "سألتني سؤالاً غريباً الأسبوع الماضي"، بدأ قلبي يقفز في صدري، وأكمل: "أرادت أن تعرف كيفية فتح قفل"، كست تعابير المراوغة وجهه وأكمل قائلاً: "لست متأكداً من سبب اعتقادها أنني أعرف، أخبرتها أن تبحث عبر غوغل، أو تشاهد مقطع فيديو عبر اليوتيوب أو شيئاً من هذا القبيل، أو يمكنها استخدام مشابك الورق".

سألت: "مشابك ورقية؟".

ضرب فانس حشرة تحوم حوله، وقال: "هذه الطريقة تنجح في بعض الأحيان، كما أخبروني، على كل حال..." نظر إليّ ورأيت بصيصاً من اللطف في عينيه المحتفتين بالدم، وقال: "هذا شيء كان يدور في ذهنها، وها أنت تعرفينه الآن".

قلت: "شكراً" وأنا أشعر بوخز العار بسبب احتيالي عليه، فقلت: "ليس لديك فكرة عن مدى أهمية ما قلته".

قال: "حسناً، انقلي تحياتي إلى والدتك"، وضع قبعة البيسبول على رأسه، وتخطى عزرا الذي جمع يديه وهو يستعد للتصفيق بمجرد أن يصبح فانس خارج نطاق السمع.

"أحسنت التصرف إل، على الرغم من أن هذا الرجل لن يسمح لك بالفوز".

تنهدت وأنا أقول: "أنا أعلم"، ثم بحثت عن منديل آخر لتجفيف وجنتي اللتين لا تزالان رطبتين، بينما أشاهد فانس يختفي وسط الحشد، هناك وخز الإثارة يشقّ طريقه إليّ أعلى عمودي الفقري: "هل سمعت ما قاله؟ لقد أخبر بروك أن تفتح قفلاً بمشابك ورقية".

"أجل، ماذا يعني ذلك؟".

ارتفع صوتي بترقّب فحاولت أن أخفض نبرتي: "هذا ما كانت تمسكه في مكتب بيت الرعب، أتذكر؟ كانت تمسك مشبك ورق مستقيماً، أخذته منها، وقالت شيئاً مثل: هذا أصعب مما قاله، كانت تحاول فتح قفل في ذلك الوقت، وقد قاطعناها".

تساءل عزرا: "المكتب ربما؟".

هزرت رأسي: "أخرج الأشياء من هذا المكتب طوال الوقت، إنه غير مقفل لكن"، تزاخمت الأفكار في رأسي حتى تذكرت المكان الذي كانت بروك تجلس فيه، وأكملت قائلة: "ولكن أعتقد أنني أعرف ما هو".

الفصل الثالث والعشرون

مالكولم

الخميس، 3 تشرين الأول

بحلول يوم الخميس لم تعد عمليات البحث عن بروك مقتصرة على ساعات المدرسة، بل شملت العمليات فترة ما بعد الظهر، وفي هذا اليوم غطت عملية أخرى الغابة خلف منزل عائلة نيلسون، وأدى بيتر دور كابتن متطوع. عندما عدت إلى المنزل بعد المشاركة في تدريبات الفرقة، كان بيتر يُحمّل صندوقاً من الورق المقوّى المليء بالنشرات الإعلانية، بالإضافة إلى صناديق المياه المعبأة في زجاجات، بينما أضواء الفلاش في الجزء الخلفي من سيارة الرانج روفر تومض.

قال: "مرحباً، يا مالكولم"، لم يكن ينظر إليّ عندما خرجت من سيارة أمي الفولفو، وقد نفص يديه كما لو أنهما مغبرتان، وأنا متأكد من أنهما ليستا كذلك، فسيارة بيتر كانت نظيفة جداً مثل أي شيء آخر تملكه عائلة نيلسون. سألتني: "كيف حال المدرسة؟".

أجبت: "كالعادة"، وبمعنى آخر ليست جيدة، وأردفت قائلاً: "متى نغادر؟".

لفّ بيتر ذراعيه، فظهرت ثنّيات حادة على كمي قميصه، وقال: "سنغادر خلال عشر دقائق"، كانت نبرته جادة وواضحة، ولكنه أضاف عندما لم أعلّق على كلامه: "ولكنني لا أعتقد أن مشاركتك في البحث فكرة صائبة، مالكولم".

شعرت بأن نبضات قلبي تتسارع، وأنا أقول: "لماذا؟". إنه سؤال لا طائل منه، ولكنني أعرف السبب، فقد عاد مكنولتي مرتين لي طرح عليّ أسئلة متتالية.

تنحنج بيتر، وهو يقول: "المشاعر جياشة الآن، وستكون مصدر إلهاء، فأنا أعلم أنه من الصعب سماع ذلك، ولكنها الحقيقة، وأنا أسف لذلك، فألويتنا الآن هي إيجاد بروك".

توترت أعصابي، وقلت: "أعرف ذلك، ولكنني أودّ المساعدة".

"إن أفضل طريقة لتقديم المساعدة تكمن في بقائك في المنزل".

شعرت بحاجة إلى حك راحتي يديّ وبرغبة لا تُقاوم في أن ألكم وجهه الذي ارتسمت عليه ملامح التباهي والعجرفة، على الرغم من أنني متأكد من أنه قلق حقاً بشأن اختفاء بروك، وربما يكون محقاً، لكنه تمادى في تأدية دور البطل.

ربت بيده على كتفي بقوة وكأنه يقتل حشرة، وهو يقول: "لماذا لا تدخل المنزل وتتأكد من وجود المزيد من قناني الماء في الثلاجة، فذلك سيساعدك في التخفيف من توترك".

بدأت أوردة جفنيّ تنبض، وأنا أقول: "بالتأكيد"، وابتلعت غضبي لأن خوض معركة مع بيتر لن تساعد في العثور على بروك.

عندما دخلت المنزل، سمعت طقطقة على السلم في الردهة، فتميّت أن تكون والدتي التي تنزل درجاته، لكنها كانت كاترين وهي تضع قطعة قماش حمراء على ذراعها، وتلحقها فيف. تجمّدت كاترين في مكانها عندما رأيتني، وكادت فيف تصطدم بها، ثم تصلب وجهاهما وظهر عليهما قناعا الكراهية اللذان لطالما وضعتاهما في كل مرة تريانني فيها منذ يوم الأحد.

حاولت أن أتصرّف كالعادة، فسألت مشيراً إلى ذراع كاترين: "ما هذا؟".

ردّت بحدّة قائلة: "إنه الفستان الذي سأرتديه في الحفل".

عاينت الفستان بشعور من الرهبة والقلق، فقد كنت أحاول استبعاد حقيقة إقامة الحفل يوم السبت.

قلت لها: "من الغريب أن الحفل لا يزال قائماً"، لم تعلق كاترين على كلامي، فأضفت قائلاً: "ماذا ستفعلين بفستانك؟".

"ستكوبه والدتك"، وابتسمت ابتسامة عريضة، وهي تشق طريقها إلى المطبخ، وتضع الفستان بعناية على ظهر كرسي. أعتقد أنه من اللطف أن تقوم أُمي بمثل تلك الأشياء من أجل كاترين، فيبتر يقول إن والدتها لم تردّ على أي من مكالماته طوال الأسبوع، بخلاف إرسال رسالة نصية ذات إشارة استقبال سيئة تشير إلى أنها في جنوب فرنسا، فلطالما قدّمت حججاً لغيابها.

وعندما انتهت كاترين من تمسيد الفستان، كانت تحدّق إليّ بعينيها الزرقاوين الجليديتين، وهي تقول: "من الأفضل ألا أراك في الحفل".

بطريقة ما لا تشير كاترين غضبي كما يفعل بيتر، ربما لأنني أعرف أنها بالكاد تناولت الطعام أو تمكنت من النوم منذ أن اختفت بروك، ما جعل خديها مجوفين، وشفتيها متشققتين، وشعرها الذي تربطه على شكل ذيل حصان غير مسرّح.

فتحت ذراعي على وسعهما، وهي الحركة المعتادة لكل من ليس لديه ما يخفيه، وأردفت قائلاً: "كاترين، ألا نستطيع أن نتناقش في ذلك؟ ما الذي بدر مني حتى جعلك تعتقدين أنني أستطيع أن أؤدي بروك؟".

ضغطت على شفتيها، وتحرك منخراها قليلاً، فبدت وكأنها بيتر تماماً، وهي تقول: "لقد كنت على علاقة بها من دون أن تخبر أحداً".

"يا إلهي!"، مررت أصابعي عبر شعري، وشعرت بثقل يضغط على صدري، وتابعت كلامي قائلاً: "لماذا تصرّين على قول ذلك؟ ألأنك فقدت أثرها عند منتصف الليل عندما استضيفتها في المنزل؟ ربما كانت في دورة المياه"، لم أكن وكاترين صديقين تماماً، ولكنني اعتقدت أنها تعرفني بشكل أفضل من ذلك.

"في غرفتي دورة مياه، ولم تكن فيها".

"ربما ذهبت لتمشى قليلاً".

"إنها تخاف من الظلام".

أنا أستسلم، فهي تتمسك بموقفها لسبب ما، ولا يمكن إقناعها بعكس ذلك، كما أعتقد أن أي رابط اعتقدت بوجوده بيننا، كان في رأسي وحدي فقط، وما أظهرته من مشاعر زائفة كان هدفه التلاعب بي والتسلية في

أوقات فراغها، وبدلاً من التعليق على كلامها، قلت لها: "والدك يستعدُّ للمغادرة".

"أعرف ذلك، ولكنني أحتاج إلى شاحن هاتفي، انتظريني هنا، يا فيف"، وعبرت الردهة المؤدية إلى قاعة الدراسة، وبقيت مع فيف نحدّق إلى بعضنا بحذر، فقد توقّعتنا أن تلحق بكاترين، لكنها مجرد تابع مطيع، لذلك بقيت في المكان الذي أمرتها كاترين بأن تظلّ فيه.

سألتها: "أما زلتِ تكتين المقال؟".

تورّد خدّاً فيف وقالت: "لا، فأنا مستاءة للغاية بسبب ما حصل لبروك، لدرجة أنني لم أعد أفكر في كتابته"، مع ذلك، بدت عيناها جافتين، كما كانتا طوال الأسبوع، وأردفت قائلة: "على أي حال، لقد سبق لي أن أخبرت وسائل الإعلام بما أعتقد أنه ينبغي إخبارهم به، لذلك... وبقدر ما أشعر بالقلق، انتهى كل ذلك".

"جيد"، ابتعدت عنها، واتّجهت إلى المطبخ، وفتحت باب الثلاجة المزدوج، وأخذت صندوقين من قناني الماء من الرف الأوسط، وحملتهما بين يديّ قبل أن أتوجّه إلى الخارج.

لا يزال الجزء الخلفي من سيارة بيتر الراج روفر مفتوحاً. دفعت صندوقاً من الورق المقوى جانباً ووضعت صندوقي الماء إلى جانبه، فلفت نظري وميض وجه مألوف. أخرجت نشرة إعلانية من الصندوق، تم لصق صورة بروك المدرسية عليها وفي أعلاها كلمة مفقودة، كان شعرها يتدلى حول كتفيها، أما ابتسامتها المشرقة فقد أذهلتني، لأنني لا أتذكر آخر مرة رأيت فيها بروك تبدو بهذه السعادة، فتفقدت بقية النشرة:

الاسم: بروك أدريان بينيت

العمر: 17 عاماً

الشعر: بني

الطول: 5 أقدام و4 إنشات

الوزن: 110 أرطال

وقد شوهدت آخر مرة وهي ترتدي سترة زيتية وتي شيرت بيضاء، وجينزاً أسود، وتتعل حذاءً مسطحاً مصنوعاً من جلد الفهد.

لا بد أن شخصاً آخر قد أخبرهم بالجزء الأخير، لأنني لم أتمكن من تقديم المساعدة عندما طلب مني الشرطي مكنولتي أن أصف ملابس بروك، فاكثفت بالقول إنها تبدو جميلة فقط.

"أعتقد أن هذا كل شيء"، فاجأني صوت بيتر، فأعدت النشرة إلى الصندوق، ثم فتح الباب الجانبي للسائق، ونظر إلى ساعة يده وعبس وجهه، وهو يقول: "من فضلك، هل يمكنك أن تطلب من كاترين وفيف القدوم؟".

"حسناً"، رنّ هاتفي وأنا في طريقي إلى الداخل، وما إن دخلت المطبخ حتى أخرجته من جيبتي، لأرى سلسلة من الرسائل النصية الواردة من ميا.

ميا:

مرحباً.

يجب أن تحضر حالاً

لقد ظهر مقال للتو عبر الإنترنت وهو منتشر بالفعل في كل مكان.

ترتبط الرسالة الأخيرة بمقال برلنغتون فري برس بعنوان "ماضي مأساوي وخيط مشترك"، شعرت وكأن معدتي تتمزق وأنا أقرأ المقال:

إيكو ريدج تترجج.

هذه المدينة الخلافة، التي تقع بالقرب من الحدود الكندية، وتمتاز بأعلى دخل للفرد في المقاطعة، شهدت أول خسارة مأساوية لإحدى المراهقات في العام 1996 عندما اختفت سارة كوركوران طالبة المدرسة الثانوية في أثناء عودتها من المكتبة إلى المنزل، وقبل خمس سنوات، عُثِر على ملكة جمال حفل التخرج لاسي كيلدوف ميتة في حديقة "هالوين مردرلاند"، والتي تحمل اسماً يتلاءم والجريمة. (وقد تغيّر اسمها منذ ذلك الحين).

مراهقة أخرى جميلة ذات شعبية كبيرة، تُدعى بروك بينيت وتبلغ من العمر سبعة عشر عاماً اختفت، والجدير بالذكر أن بروك ولاسي في العمر نفسه تقريباً، إلا أن هذه العلاقة التي تربط بين الحادثتين تبدو سطحية، باستثناء صدفة إضافية، وهي أن طالب المدرسة الثانوية الذي أوصل بينيت إلى المنزل في الليلة التي

اختفت فيها هو الأخ الأصغر لصديق لاسي كيلدوف السابق،
ديكلان كيلبي.

وهو الذي استجوب مراراً بعد وفاة لاسي كيلدوف، ولكن لم
يُقبض عليه مطلقاً، وقد غادر الولاية قبل أربع سنوات وظلَّ بعيداً
عن الأضواء منذ ذلك الوقت، وكانت المفاجأة الكبرى لأبناء هذا
المجتمع المترابط أن كيلبي انتقل إلى بلدة سولزبري المجاورة
قبل وقت قصير من اختفاء بروك بينيت.

سحقاً له، لم تعد فيف تكتب أي مقالات حول اختفاء بروك، ولكن
شخصاً آخر قد فعل ذلك، وفجأة يبدو بيتر وكأنه حاد البصيرة، ولكنه إذا
تمكّن من منع تسببي في إثارة المشاكل في أثناء البحث عن بروك، فأنا
متأكد من أنه لن يتمكن من فعل ذلك الآن.

دخلت كاترين المطبخ ممسكة بهاتفها، وخداها حمراوان للغاية،
فأعددت نفسي لسماع خطاب آخر، بعد أن تكون قد قرأت المقال نفسه،
فقلت لها وأنا أمل أن أتجنّب سماع أي محاضرة قد خطّطت لها: "بيتر
يريدكما في الخارج".

أومأت إليّ برأسها تلقائياً من دون أن تنطق بكلمة، فنظرت أولاً إلى
فيف ثم إليّ من دون أن تتغير ملامح وجهها بشكل غريب يثير الريبة، فبدت
وكأنها ترتدي قناعاً، ثم ارتجفت يداها وهي تضع هاتفها في جيبها.

أضفت قائلاً: "إنه لم يسمح لي بمرافقتكم، لأنه يرى أنني سأكون
مصدر إلهاء".

أردت أن أختبرها، فانتظرت ردّها كأن تقول: "حسناً، ستكون كذلك"،
أو: "الإلهاء لا يقارن ببشاعة فعلتك، أيها الأحمق"، ولكنها اكتفت بقول:
"حسناً".

ازدردت لعبها مرتين، ثم كرّرت قول: "حسناً"، وكأنها تحاول إقناع
نفسها بشيء ما، وهي تنظر إلى عينيّ، ثم أشاحت بنظرها بسرعة، ولكن
ليس قبل أن ألاحظ مدى اتساع حدقتيها.

لم تعد تبدو فظةً وحادة المزاج، بل أصبحت خائفة.

الفصل الرابع العشرون

مالكولم

الخميس، 3 تشرين الأول

وصلت إلى منزل ميا بعد نصف ساعة فسمعت صراخاً بمجرد وصولي إلى الممر، ولكن من السابق لأوانه أن يعود والداها إلى المنزل، وعلى أي حال هما لا يصرخان عادةً، وميا هي الفرد الوحيد من عائلة كوون التي ترفع صوتها، ولكنها لم تكن هي التي تصدر كل تلك الضوضاء.

لم يردّ أحد بعد أن رننتُ جرس الباب، لذلك دفعته ودخلت إلى غرفة الجلوس مباشرة، وأول ما رأيته كان إليري، وهي تجلس القرفصاء على كرسي بذراعين، وعيناها الواسعتان تتفحصان المشهد أمامها، وكانت ميا تقف حافية القدمين بجوار المدفأة، ويدها على وركيها، وسمات التحدي بادية على وجهها، ولكنها بدت قصيرة من دون حذائها ذي الكعب العالي الذي يمنحها المزيد من الطول، وديزي في الجانب الآخر، تمسك بشمعدان بيد واحدة، وتعابير الغضب الشديد تشوّه ملامح وجهها الهادئة التي كانت ترتسم على وجهها عادة.

صرخت ديزي وقد أرجعت ذراعيها إلى الخلف، وهي تهدّدها قائلة: "سأقتلك".

فردّت ميا قائلة: "توقّفي عن كونك دراميةً للغاية"، من دون أن تزيح عينيها عن الشمعدان.

سألتهما قائلاً: "ما هذا بحق الجحيم؟"، وفي الحال نظرنا إليّ.

انحسرت تعابير ديزي الغاضبة لفترة وجيزة، ثم عادت تهدر مثل موجة هائجة: "أهو أيضاً؟ هل جمعت عصابة سكوبي بأكملها في المنزل،

بينما كنت تملين عليّ كل هذا الهراء؟".

رمشت عيناى، فلم يسبق لي أن سمعت ديزي وهي تشتتم، ثم قالت لها ميا: "أي هراء؟".

وجّهت ميا كلامها إليّ قبل أن تتمكّن ديزي من الردّ: "أخبرتها بأنني أعرف كل شيء عن ديكلان، وأنتي سأخبر والدينا إذا لم تشرح لي سبب عودتها إلى إيكو ريدج"، ثم خطت خطوة إلى الوراء بينما ثبتتها ديزي في مكانها بنظرة حادة، وقالت لها: "الأمور تسير بشكل أسوأ مما كنت أتوقّع".

ثم تابعت قائلة: "إن تمالك أعصابي له حدود"، لوّحت ديزي بالشمعدان للتأكيد على أنها لا تزال تمسكه بيدها، لكنها تسمرت في مكانها من هول الصدمة بعدما فقدت السيطرة على أعصابها، فرمت الشمعدان مباشرة نحو رأس ميا التي بقيت مذهولة لدرجة أنها عجزت عن الحراك، وما إن أصاب الشمعدان جبينها حتى سقطت على الأرض متصلبة.

في الحال رفعت ديزي يديها اللتين غطّتا فمها، وقالت مشدوهة: "يا إلهي، يا إلهي، ميا، هل أنت بخير؟"، وجثت على ركبتيها، واندفعت نحو أختها، إليري - التي لم تتحرك من مكانها - كانت مذهولة بالفعل.

قالت ديزي: "مالكولم، هل يمكنك إحضار منشفة مبلّلة؟".

حدّقت إلى عيني ميا المفتوحتين على وسعهما، ووجهها الشاحب، والدم يسيل من جانب واحد من رأسها، وقلت: "أوه لا، أوه لا"، فتمتمت ديزي وهي تغطي وجهها بيديها تقول: "آسفة، أنا آسفة جداً"، بينما توجّهت سريعاً إلى دورة المياه، وتناولت منشفة اليد، ثم مررتها تحت الصنبور، وعدت بها إلى غرفة الجلوس.

كانت ميا تجلس وقد أصابها الدوار، فأعطيت إليري المنشفة، وضغطت بها بلطف على جبين ميا حتى يتوقّف تدفق الدم، وسألت بصوت مرتعش: "هل سيحتاج الجرح إلى خياطة؟".

اقتربت إليري منهما وضغطت بالمنشفة على صدغ ميا لبضع ثوان، ثم سحبتها بعيداً ونظرت إلى الجرح، وقالت: "لا أعتقد ذلك، أعني، أنا لست خبيرة، ولكن الجرح ليس عميقاً، فهو يبدو كأحد تلك الخدوش السطحية التي تنزف كثيراً، ومن المحتمل أن يترك ندبة صغيرة، وستكون بخير بعد إجراء الإسعافات الأولية".

اندفعت قائلاً: "سأجلبها"، عدت إلى دورة المياه عائلة كوون، فالوالدة طيبة توليد، وخزانة الأدوية الخاصة بها منظمة بشكل مثالي. وجدت ما أحتاج إليه خلال ثوان، وعندما عدت هذه المرة، كانت قد عادت الحيوية إلى وجه ميا".

قالت موبخة بينما كانت إليري تضع الضمادة على صدغها، وهي تضغط عليها: "يا إلهي، ديز، لم أدرك أنك أردت قتلي".

تراجعت ديزي إلى الخلف، وساقاها مطويتان باتجاه جانب واحد، وقالت: "لقد كان حادثاً عرضياً"، ثم أردفت قائلة وهي تمرر أصابعها على الأرضية الخشبية، وتنظر إلى الأعلى، وفمها نصف ملتوٍ يعبر عن ندمها: "أنا أسفة لأنني عاملتك بعنف، وإن كنت تستحقين ذلك نوعاً ما".

مررت ميا إصبعها على الضمادة، وقالت: "أريد أن أعرف فقط ماذا يجري".

"أنت توقعين بي إذاً بحضور صديقك؟"، رفعت ديزي صوتها مرة أخرى، ولكنها تماكنت نفسها فأخفضته، وهي تقول: "حقاً، ميا، تصرّفك ليس لطيفاً".

تبرّمت ميا وهي تقول: "أنت بحاجة إلى الدعم المعنوي، والحماية على ما يبدو. هيا، يا ديزي، لا يمكنك الاستمرار على هذا النحو. يعرف الناس أين يعيش ديكلان الآن، وسيتم اكتشاف علاقتكما، فأنت بحاجة إلى شخص ما يقف إلى جانبك"، أشارت إليّ، وأنا أستند إلى حافة مدفأة عائلة كوون الحجرية، وقالت: "نحن جميعاً إلى جانب مال، ويمكننا أن نكون إلى جانبك أيضاً".

نظرتُ إلى إليري، فلم تبدُ مقتنعةً، ولا أعتقد أن ميا فهمت ما كانت تلمّح إليه في تشاك إي تشيز حول إمكانية أن تكون علاقة ديزي وديكلان قد بدأت بينما كانت لاسي لا تزال على قيد الحياة، وهذا النوع من التلميحات سيمر فوق رأس ميا من دون أن تفهمه، لأنها على الرغم من شكواها من تصرّفات ديزي، إلا أنها تثق بها تماماً، ولكنني لم أتمكن من فعل الشيء نفسه بالنسبة إلى ديكلان.

استدارت ديزي نحوي وعيناها الداكنتان تشعان تعاطفاً: "أوه، مالكولم، لم أقل لك كم أنا أسفة لما يجري، فتهامس الناس واتهامك من دون أي دليل، يعيدان إليّ الكثير من الذكريات".

اندفعت ميا إلى الكلام قبل أن أجيب، وكان صوتها هادئاً، ولا يشبه نبرتها الحادة المعتادة: "ديزي لماذا تركت وظيفتك وأنت بالكاد بدأت بالعمل؟".

تنهدت ديزي بعمق، ورفعت شعرها الداكن واللامع، وأرجعته إلى الخلف، وهي تقول: "لقد أصبت بانهيار عصبي"، عصت على شفيتها بينما ارتفع حاجبا ميا، وهي تتابع كلامها قائلة: "ألم تتوقّعي ذلك؟".

لقد كانت ميا حكيمة عندما لم تذكر لديزي معرفتها أنها تتردد إلى الطبيب النفسي، وهي تقول: "هل دخلت إلى المستشفى أو حصل أي شيء من هذا القبيل؟".

عصت ديزي طرفها، وقالت: "الحقيقة أنني لم أتمكن من تجاوز وفاة لاسي، أتعلمين ذلك؟ لقد كان أمراً مخيفاً للغاية، مخيفاً ومؤلماً في الوقت نفسه لدرجة أنني حاولت عدم التفكير فيه، كما أجبرت نفسي على نسيانه". ضحكت ضحكة يائسة، وهي تضيف قائلة: "كانت خطة رائعة، أليس كذلك؟ في البداية نجحت تماماً، وكان الأمر على ما يرام عندما كنت في المدرسة، على ما أظن، ولكنني عندما انتقلت إلى بوسطن وكان عليّ تحمّل الكثير من المسؤوليات الجديدة، لم أستطع الصمود في العمل، وبدأت أعاني من الكوابيس، وتصيبي نوبات الهلع، وذات مرة طلبت سيارة إسعاف لنقلي إلى المستشفى لأنني اعتقدت أنني أصبت بنوبة قلبية".

قالت ميا متعاطفة: "لقد واجهت محنة قاسية".

رمشت عينا ديزي، وهي تقول: "نعم، لكنني لم أشعر بالحزن فقط بل بتأنيب الضمير".

لاحظت من طرف عيني توتر إليري، وسألت ميا: "لم؟".

صمتت ديزي قليلاً، ثم قالت: "دائرة ثقة، أليس كذلك؟ هذا لا يمكن أن يغادر الغرفة، ليس الآن على الأقل"، حدّقت إليّ، ثم إلى إليري وعصت على شفيتها.

فقرأت ميا أفكارها، وقالت لها: "إليري جديرة بالثقة".

بادرت إليري إلى القول: "أستطيع المغادرة، أتفهم ذلك تماماً، فنحن لا نعرف بعضنا".

ترددت ديزي قليلاً، ثم هزت رأسها، وقالت: "حسناً، لقد سمعت بعض الحديث حتى الآن، ويمكنك أن تسمعي الباقي أيضاً. أخبرني طيبي النفسي باستمرار بضرورة التوقف عن الشعور بالخجل، منذ أن بدأت أثار الموضوع تتعمق أكثر، على الرغم من أنني ما زلت أشعر بأنني صديقة غير مخلصه"، استدارت نحو ميا، وهي تتابع كلامها: "كنت أحب ديكلان طوال المرحلة الثانوية، ولم أقل له شيئاً، كان هذا فقط... الشعور الذي دفنته في داخلي، وقبل نهاية السنة الأخيرة في بداية فصل الصيف، بدأ يعاملني بشكل مختلف، ويشعرني بأنني موجودة". ضحكت قليلاً بإحراج، وأضافت قائلة: "يا إلهي، أبدو وكأنني طالبة في الصف الثامن، ولا أعرف تماماً كيف حصل ذلك، لكنه منحني شعوراً جميلاً، كما منحني الأمل، بعد أن اعتقدت أن الأشياء لا يمكن أن تكون مختلفة يوماً ما، ثم أخبرني ذات ليلة أنه يحبني أيضاً".

تلاً وجه ديزي وهي تتحدث عن ديكلان، فتذكرت سبب إعجابي بها، بينما بدت ميا كما رأيتها من قبل، وكأنها تخشى أن تقوم برد فعل ينهي المحادثة. أضافت ديزي قائلة: "أخبرته بأننا لا نستطيع فعل أي شيء حيال ذلك، وقد أوضح لي أنني لم أكن صديقة سيئة، وأنه يعتقد أن لاسي تعرّفت إلى شخص آخر، وعلى أي حال كانت تتصرّف بغرابة، ولكن عندما سألتها، لم تعترف بذلك، وبدأ يتشاجران منذ ذلك الوقت، فأصبحت علاقتهما مضطربة وسيئة حقاً، فانسحبت نوعاً ما، لأنني لم أرد أن أكون سبب انفصالهما".

تألقت عينا ديزي وهي تستمرّ بالكلام: "ثم ماتت لاسي وانهار العالم كله، فلم أستطع تحمل تأنيب الضمير، كما لم أتمكن من التعامل مع كتمان سرّ حبيّ لديكلان بدلاً من الاعتراف لها بذلك"، سألت الدموع على خديها، وأطلقت صرخة مختنقة، وهي تختم كلامها قائلة: "وقد اشتقت إليها كثيراً، وما زلت أفتقدها".

ألقيت نظرة على إليري التي كانت تفرك عينيها، وشعرت بأنها أزالّت ديزي للتو من قائمة المشتبه بهم في جريمة قتل لاسي، أما إذا كانت ديزي تشعر بالذنب حيال شيء آخر غير الإعجاب بصديق أفضل صديقة لها، فيا لها من ممثلة!

أمسكت ميا بيد ديزي وهي تواصل كلامها: "أخبرت ديكلان بأننا لا نستطيع التحدث بعد الآن، وغادرت إيكو ريدج بأسرع ما أمكنتني، لأنني اعتقدت أن ذلك ما عليّ القيام به من أجل كلينا، فقد كنا مخطئين في عدم الانفتاح على لاسي منذ البداية، ولم تعد هناك أي طريقة لإصلاح ذلك بعد الآن"، أومأت برأسها، وتابعت: "بالإضافة إلى ذلك، كانت أجواء البلدة خانقة

في ظلّ وجود شريحة مختلفة من الناس تنظر بدونية إلى بعض العائلات التي تشكّل أقلية في المدينة، ألا تعلمين؟ لم يكن في إمكاننا أن نخطئ، بل كان علينا أن نكون مثاليين دائماً".

نظرت ميا إلى أختها نظرات فاحصة، وهي تقول بصوت منخفض: "اعتقدت أنك تحبين أن تكوني مثالية".

شهقت ديزي وقالت: "إن ذلك مرهق للغاية".

أطلقت ميا ضحكة مفاجئة، وقالت: "حسناً، إذا كنت لا تستطيعين التعامل مع الأمر، فليس هناك أمل بالنسبة إليّ في هذه المدينة"، كانت تمسك بيد ديزي، وهي تربت عليها كما لو أنها تحاول إيقاظ بعض المشاعر المدفونة في أعماق شقيقتها، وقالت لها: "طبيبك النفسي على حق، ديزي، لم ترتكبي أي خطأ، فقد أحببت رجلاً، وابتعدت عنه، على الرغم من أنه بادلك الإعجاب، وهذا يدلّ على أنك صديقة ودية".

فركت ديزي عينيها بيدها، وقالت: "لم أكن كذلك، لم أستطع مواجهة رجال الشرطة والإفصاح عما أعرفه في أثناء التحقيق، وقد صمتت عندما وقفت أمامهم، ولم أبدأ بالتفكير في القيام بالأعمال المفيدة بالفعل إلا بعد مرور سنوات".

سألته: "ما الذي تعنيه؟"، بينما مالت إليري إلى الأمام، فبدت مثل الدمية التي شدّت خيوطها بعنف للتو.

"تذكّرت شيئاً، لقد ارتدت لاسي سواراً قبل وفاتها مباشرة، كان مختلفاً حقاً، كان على شكل مجموعة قرون ملتوية معاً تقريباً"، تجاهلت تعابير وجه ميا المرتابة، وتابعت: "أعرف أنه يبدو غريباً، ولكنه كان رائعاً، وقد كانت لاسي متكئمة حقاً بشأن المصدر الذي حصلت عليه منه. قالت إنه لم يكن من ديكلان أو من والديها، وعندما كنت في المستشفى في بوسطن أحاول اكتشاف الأسباب التي أوصلت حياتي إلى هذا المسار، بدأت أتساءل عن هوية من أعطاهها هذا السوار، وما إذا كان شخصاً غريباً أم من البلدة، حسناً..."، تنهّدت بعمق حتى تهدأ قليلاً، ثم تابعت قائلة: "لقد تساءلت دوماً عن مصدره".

بدت إليري وكأنها توافقها على موقفها: "هل عدت من أجل التحقق من مصدره؟".

صَحَّحت ديزي كلامها قائلة: "لقد عدت إلى هنا لأتعافى، ولكنني طلبت أيضاً من والدتي لاسي الحصول على السوار كتذكارة، فلم تمنع، وبدأت بإجراء بحث حوله عبر غوغل للعثور على شيء مشابه له على الأقل، وقد وجدته بالفعل"، تسلمت نبرة فخر إلى صوتها.

"اكتشفت أن فنانة محلية تصنعها، وقد أردت أن أتحمق منها، لكنني لم أشعر بالقوة الكافية للقيام بذلك بمفردي"، انخفض صوتها قليلاً، وتابعت: "كان ديكلان يرأسني من حين إلى آخر، فطلبت منه مرافقتي لزيارة محلها ما إن وصلتني أول رسالة منه بعد أن فكرت في كل ذلك".

ها هو سبب عودته على ما أعتقد، فقد كان التفسير الفعلي والمنطقي لما كان يقوم به ديكلان في إيكو ريدج، وكان سيبدو الأمر لطيفاً لو أنه أخبرني بما كان يقوم به بنفسه.

رفعت ميا حاجبيها، وقالت: "هل كانت هذه هي المرة الأولى التي رأيته فيها منذ مغادرتك إلى برينستون؟ أراهن أنه كان لديكما الكثير لتحدثنا بشأنه، كما أن هناك ما لا يمكن أن نتحدثنا عنه أيضاً، أتعلمين ما أعنيه؟".

احمرّ وجه ديزي، وقالت لها: "لقد ركّزنا في الغالب على السوار".
ابتسمت ميا وهي تقول: "بالطبع فعلتما".

خرج الحديث عن مساره، فسألت محاولاً إعادة النقاش إلى المسار الصحيح: "هل حالكمما الحظ؟".

تنهّدت ديزي، وقالت: "لا، اعتقدت أن من صنعته قد تجد في سجلات المبيعات هوية من اشتراه، ولا سيما بعد أن أخبرتها بسبب سؤالي عنه، ولكن النتيجة لم تكن مفيدة على الإطلاق، فسلمت السوار للشرطة، على أمل أن تحقّق في القضية بجدية أكبر، فتلاحق مصدر السوار لاكتشاف اسم من اشتراه، لكنني لم أسمع بأي تقدّم في القضية منذ ذلك الحين".

تركت يد ميا، ولوّت كتفيها كما لو أنها أنهت للتو تمريناً رياضياً مرهقاً، وقالت: "هذه هي القصة البائسة بأكملها، باستثناء الجزء الذي ارتبطنا به أنا وديكلان أخيراً، فأنا أحبه"، هزّت كتفيها مستسلمة، وهي تقول: "ولطالما أحبته".

مالت ميا إلى الخلف وأسندت ظهرها، وقالت متعجّبة: "يا لها من قصة!".

قالت ديزي: "لا يمكنك إخبار أمي وأبي"، أومأت ميا إليها بإطباق شفيتها.

تدخّلت إليري بصوت عالٍ: "لديّ سؤال"، وقد بدأت بحركتها المعتادة، فلفت خصلة شعرها حول إصبعها، بينما استدارت ديزي لمواجهتها، وهي تتابع كلامها: "كنت أتساءل عن اسم الشرطي الذي أعطيته السوار؟ أعني هل كان شخصاً من إيكو ريدج؟".

أومأت ديزي إليها بالإيجاب، وقالت: "رايان رودريغيز، لقد تخرج من ثانوية إيكو ريدج في العام نفسه الذي تخرّجت فيه، هل تعرفينه؟".

أومأت إليري إليها، وقالت: "نعم، هل كنتما صديقين في المدرسة؟"، يبدو أنها عادت إلى دور المحققة، والذي بدأت أقتنع بأنه دورها الافتراضي.

"كلا"، بدت ديزي مندفعة وهي تجيب عن سؤالها، فأضافت قائلة: "لقد كان هادئاً حقاً في ذلك الوقت، وبالكاد عرفته، لكنه كان في الخدمة عندما وصلت إلى المركز، لذلك..."، هزّت بكتفيها وتابعت قائلة: "أعطيته إياه".

"هل تعتقدين أنه كان أفضل من يمكنه أن يتعامل مع هذه المسألة؟".

عبست ديزي، وقالت: "لا أدري، لمّ لا؟".

"حَسناً، أنا أتساءل فقط"، مالت إليري إلى الأمام، وقد أسندت مرفقيها إلى ركبتيها، وقالت: "هل خطر لك يوماً أنه قد يكون من أعطى السوار للاسي؟".

الفصل الخامس والعشرون

إيري

الجمعة، 4 تشرين الأول

عندما طرقت باب القبو، لم أكن متأكدةً من أن أحداً سيجيب، فقد كانت الرابعة من بعد ظهر يوم الجمعة، أي قبل ثلاث ساعات من موعد افتتاح بيت الرعب، ولم يكن لديّ دوام الليلة كما لم يتوقّع أحد قدومي. ما لم نحسب حساب جدتي التي تتوقّع مني أن أكون في غرفتي، وستكون غاضبة إذا أدركت أنني غادرتها، وسرت عبر الغابة وحدي، ولو حصل ذلك وقت الظهيرة.

ما زالت بروك مفقودة منذ أسبوع تقريباً، ولا يفترض أن يمشي أي شخص في إيكوريدج في أي مكان وحده.

طرقت بقوة أكبر، ولكن الحديقة كانت صاحبة ومزدحمة، بالإضافة إلى مزيج من أصوات الموسيقى والضحك والصياح لاقترب الأفعوانية التي تخشخش في الداخل.

انشقّ الباب بما يكفي لرؤية عينيّن تنظران إلى الخارج، كانتا بنيتين غامقتين ومكحلتين ببراعة، فرفرفتُ بأصابعي، وأنا أقول: "مرحباً شونا".

"إيري؟"، فتحت خييرة ماكياج مزرعة الرعب الباب بذراعها الموشومة، وسألتنني: "ما الذي تفعلينه هنا؟".

خطوتُ إلى الداخل، ونظرت حولي بحثاً عن أي أثر لمديري مورف المتمسّك بالقواعد التي لا يسمح باختراقها، ولكن شونا كانت أكثر تراخياً. لا أستطيع أن أصدّق حسن حظي، لأنها كانت موجودة بدلاً من مديري، على

الرغم من أنني أتوقّع أن يظهر عبر الستارة المخملية حاملاً حافظه ورق في أي لحظة، فسألته: "هل أنت وحدك؟".

رفعت شونا حاجبيها، وقالت: "هذا سؤال يندّر بالسوء"، لكنها لم تبدُ قلقة. كانت شونا أطول مني بما لا يقل عن ست بوصات وهي نحيلة، ولديها عضلات، وذراعان متناسقتان تماماً، بالإضافة إلى أن كعبيها العاليتين يفيدان كسلاحين فتاكين بلمسة واحدة.

"آسفة، لكنني أريد أن أطلب منك خدمة، ولم أرغب في أن أطلبها من مورف".

اُتّكأت شونا على الباب، وقالت: "حسناً، لقد أثرت اهتمامي الآن. ما الأمر؟".

التزمت بتوصيات سادي مرة أخرى، ورحت ألوي يديّ متظاهرة بتوتر أعصابي، وقلت لها: "أعطتني جدتي مغلفاً لإيداعه في البنك منذ عدة أيام، والآن لا يمكنني العثور عليه، وكنت أحاول معرفة المكان الذي وضعته فيه، فتذكرت مجموعة الأشياء التي ألقيت بها في سلة القمامة في المرة الأخيرة التي كان لديّ فيها دوام عمل".

عضضتُ على شفّتيّ، وعضضتُ طرفي، وأنا أتابع كلامي قائلة: "أنا متأكدة من أن المغلف قد رميته من دون قصد في صندوق القمامة".

تجهم وجه شونا، وقالت: "آسفة لحصول ذلك، ولكن ألا يمكنها كتابة شيكٍ آخر؟".

كنت قد جهّزت ما ينبغي قوله، فأجبتها معترضة: "لم يكن شيكاً، لقد كان مبلغاً نقدياً"، شددتُ الخنجر المعلق حول عنقي، وتحسّستُ بإبهامي الجزء الحاد في أسفله، وتابعت قائلة: "ما يقارب الخمسمئة دولار".

اُتّسعت عينا شونا، وقالت حينها: "من الذي يحمل معه هذا المبلغ الكبير بحقّ الله؟".

ربّاه، ربما لاحظت أنني اقتبسْتُ عذري بالكامل من فيلم "إنها حياة رائعة"، فقلت لها مدّعية البراءة قدر استطاعتي: "جدتي تفعل ذلك، إنها لا تحبّ التعامل بالشيكات أو ببطاقات الائتمان أو بأجهزة الصراف الآلي".

قالت شونا: "لكنها تثق بك؟"، تبدو وكأنها ترغب في إعطاء نانا أدلّة مفصلة حول مدى كونها مخطئة في موقفها.

"لن تثق بي مجدداً عندما تكتشف أنني أضعت المبلغ، شونا هل هناك أي فرصة لـ... هل تعتقدين أنه في إمكاني الحصول على مفاتيح صندوق إعادة التدوير؟ هل تعرفين مكانها؟"، تظاهرت بالتردد، ثم أطبقت راحتي يديّ بعد أن رفعتهما أمامها وأنا أقول متوسّلةً: "أرجوك؟ هذه المرة فقط أنقذيني من اضطراري إلى تسليم كل سنتٍ أكسبه إلى جدتي؟ وسأدين لك بذلك".

ضحكت شونا ضحكةً خفيفة، وقالت: "اسمعي، لستِ مُضطربةً إلى التوسّل، كنت سأفتح ذلك الشيء اللعين لو كان المفتاح في حوزتي، لكنني لا أعرف مكانه، وعليكِ أن تسألي مورف عنه".

لمست ذراعي لمسةً تعاطف، واستأنفت كلامها: "سيتفهم ما تمرّين به، فخمسمئة دولار مبلغ كبير من المال"، ربما سيتفهمني، وربما سيراقبني في أثناء البحث عن المبلغ الضائع.

قلتُ: "حسناً"، وتنفّست الصعداء.

توجّهت شونا إلى الخزانة الصغيرة وأخرجت بضع فُرَش مكياج من علبةٍ، وأسقطتها في حقيبة جلدية نصف مفتوحة موضوعة على الكرسي، والتفتت إليّ، وقالت: "لا بد من مغادرتي، فقد أمسكتِ بي وأنا في طريقي إلى الخارج، إذ يحتاج المهرجون الأشرار إلى الماكياج في بلودي بيغ توب"، أغلقت الحقيبة وحملتها على كتفها، ثم توجّهت نحو الباب وفتحته.

سألنتني: "هل تريدان القدوم؟ قد يكون مورف هناك".

"بالتأكيد"، بدوت كما لو أنني أتبعها، ثم جفلت ووضعت يدي على بطني، وقلت لها: "أوو، هل تمنعين في استخدام دورة المياه أولاً؟ لقد أصبت بفيروس في المعدة وأنا أعاني طوال اليوم، لقد اعتقدتُ أنني تحسّنت لكن...".

لوّحت لي شونا بيدها، وقالت: "لاقيني هناك، لكن تأكدي من إقفال الباب خلفك".

"شكراً".

اندفعتُ نحو دورة المياه الصغيرة متظاهرة بالألم، وما إن خرجت من الباب وسمعت صوت صرير إغلاقه حتى أخرجتُ مشبكين من جيبي، وتوجّهت إلى المكتب.

لم أحاول قط فتح قفل من قبل، ولكنني أخذت بنصيحة فانس، وشاهدت الكثير من مقاطع فيديو عبر يوتيوب خلال الأربع وعشرين ساعة الماضية.

"لقد ملأت الكيس كله؟"، حدّق عزرا إلى وجهي وأنا أفرغ كيساً من الأوراق المرمية في صندوق القمامة على أرضية غرفة نوم ميا.

"حسناً، كيف كان من الممكن أن أميّز الأوراق المهمة من غير المهمة؟ فلم أستطع الجلوس على الأرض وتصنيفها بكل سهولة، فذلك سيستغرق وقتاً طويلاً، وقد يدخل أحدهم ويكتشف ما أفعله".

قال مالكولم وعيناه مثبتتان على كومة الأوراق: "على الأقل نعلم أنهم لم يفرغوها بعد".

جلست ميا القرفصاء على الأرض والتقطت حفنةً من الأوراق، وقالت: "عمّ نبحت بالضبط؟" وتمتمت قائلة: "هذه فاتورة ما، وهذا يبدو وكأنه مغلف يحتوي على فاتورة الكهرباء"، قالت وهي ترسم وجهها كئيباً: "سوف نبقى هنا لفترة طويلة".

جلسنا نحن الأربعة متحلّقين حول كومة الأوراق، وبدأنا بغريلة محتوياتها، وقد هدأت نبضات قلبي نوعاً ما منذ أن غادرت بيت الرعب، ولكنه لا يزال ينبض بقوة، على الرغم من أنني قد تحقّقتُ من ترك أثاث المكتب كما كان بدقة ومن عدم وجود كاميرات معلقة في الزوايا، لكنني أعرف أنها منتشرة في أنحاء المزرعة كلها، ومن المحتمل أن يكون المسؤول عن الأمن يحدّق إلى شريط مصوّر، يظهرني وأنا أحمل كيس قمامة عبر مزرعة الرعب، والذي يمكن أن يكون ببساطة ما سيفعله الموظف في أثناء قيامه بالعمل العادي، ولكنني قد أبدو غريبةً أيضاً، إذ لم أكن حذرة بشأن التخفي، لأنني لم أرتدِ قبعة بيسبول أو رفعت شعري إلى الأعلى على الأقل.

لكنّي آمل أن يكون ما قمت به ذا قيمة.

ظللنا صامتين لمدة خمس عشرة دقيقة تقريباً حتى ابتلع مالكولم الجالس بجواري لعابه بصعوبة، وقال: "الشرطة تريد أن تتحقّق من هاتفي".

تجمّدت ميا في مكانها، وتدلّت قصاصة ورق من بين أصابعها، وقالت: "ماذا؟".

حدّثنا إليه جميعاً لكنه لم يكن ينظر إلينا، وأضاف: "قال الشرطي مكنولتي إنه في ظل استمرار اختفاء بروك، فإنهم بحاجة إلى التحقيق بشكل أعمق قليلاً، ولا أعرف ما العمل، وقد كان بيتر... نوعاً ما رائعاً في الواقع، لقد تمكن من منعهم من تجاوز القانون بحجة أنه لا يحق لأحد الاطلاع على أغراضه الخاصة من دون إذن قضائي، وكما يبدو فقد كان الأمر مهماً تماماً لهم، لكن انتهى الأمر باعتذار الشرطي مكنولتي منه".

سألته: "ألم يفتشوا هاتفك إذًا؟" ووضعت فاتورةً أخرى على كدسة الأوراق غير المهمة بالنسبة إلى القضية، وكل ما وجدناه حتى الآن كان عبارة عن فواتير الطعام والصيانة والإمدادات وما شابهها، وأعتقد أنه لا ينبغي لي أن أتفاجأ من تطلب الأمر قدرًا كبيراً من الجهد للحفاظ على حديقة الهالوين.

قال مالكولم بوجه متجهم: "ليس بعد"، ثم نظر أخيراً إلى الأعلى، فأدهشتني عيناه الباهتتان، وتابع حديثه: "لن يجدوا أي شيء يتعلق ببروك إذا تفحصوا هاتفني، عدا تلك الرسالة النصية التي أرسلتها كاترين لتخبرني فيها أنه يجب أن أدعوها إلى حفل الترحيب، والتي يمكن أن تحمل معنيين، لكن هناك مجموعة من الرسائل أرسلها ديكلان... ولم أعد أعرف بعد انتشار هذا المقال بالأمس، وأفضل عدم التفكير في هذا الأمر"، رمى بعض الأوراق جانباً باستياء وأكمل كلامه قائلاً: "كل شيء يبدو سيئاً عندما تتفحصه عن كثب، أليس كذلك؟".

أعاد مقال يوم الخميس الذي نشرته صحيفة برلنغتون فري برس ذكريات السنوات الخمس الماضية من حياة ديكلان، منذ وفاة لاسي حتى انتقاله إلى سولزبري، إلى جانب الإشارة بين الفينة والأخرى إلى الأخ الأصغر الذي لم يذكر اسمه، وقد كان شاهداً رئيسياً في قضية اختفاء بروك، وكان يشبه المقالات التي قد تكتبها فيف، والتي لا تحتوي على أخبار حقيقية، وإنما تستند إلى الكثير من التكهنات والتلميحات.

ليلة أمس، جلست في غرفتي أمام رف كتبي المليء بروايات الجرائم البوليسية، ووضعت خطأً زمنياً لكل المعلومات التي يمكنني التفكير فيها، وتتعلق بالفتيات الثلاث المفقودات في إيكو ريدج:

تشرين الأول 1996: تتويج سادي وفانس ملكا الحفل.

تشرين الأول 1996: اختفاء سارة بينما كانت سادي برفقة فانس.

حزيران 1997: مغادرة سادي إيكو ريدج.

آب 2001: عودة سادي لحضور جنازة جدي.
حزيران 2014: نزهة لاسي وديكلان وديزي ورايان.
آب 2014: ديكلان وديزي يرتبطان، لكن هل كان لدى لاسي صديق سري بالفعل؟
تشرين الأول 2014: تتويج لاسي وديكلان ملكا حفل الترحيب.
تشرين الأول 2014: مقتل لاسي في مردرلاند (مزرعة الرعب).
تشرين الأول 2014: عودة سادي لحضور جنازة لاسي.
حزيران 2015: تخرّج ديزي وديكلان من مدرسة إيكو ريدج، ومغادرتهما البلدة. (بشكل منفصل أم غادرا معاً؟).
تموز 2019: عودة ديزي إلى إيكو ريدج.
آب 2019: تقديم ديزي سوار لاسي إلى رايان رودريغيز.
30 آب 2019: انتقال إليري وعزرا إلى مدرسة إيكو ريدج.
في أيلول (أو آب؟) 2019: عودة ديكلان إلى إيكو ريدج.
4 أيلول 2019: ظهور تهديدات من مجهولين في حفل الترحيب.
28 أيلول 2019: اختفاء بروك.

علقتها على أحد الجدران، وحدّقت إليها لأكثر من ساعة، على أمل أن أرى ما قد يلفت نظري ويظهر علاقة واضحة بين بعض الأحداث، فلم أصل إلى نتيجة، لكن عندما جاء عزرا، لاحظ شيئاً لم أتمكن من ملاحظته، فقد قال وهو ينقر بإصبعه على تاريخ آب 2001: "انظري إلى هذا التاريخ."
"ماذا به؟".

عادت سادي إلى إيكو ريدج في آب 2001.

"أعرف ذلك فأنا من كتب هذه التواريخ، حسناً؟".

"ولدتنا في تموز 2002"، حدّقت إليه مشدوهةً، وهو يضيف قائلاً: "لقد وُلدنا بعد تسعة أشهر من ذلك التاريخ"، وقد نطق كل كلمة ببطء

شديد.

من بين جميع الألباز في إيكو ريدج، كان لغز هوية والدنا آخر ما يخطر ببالي، فقلتُ: "أوه لا، لا، لا، لا" وأنا أثب إلى الوراء، كما لو أن ورقة الخط الزمني قد اشتعلت، وتكاد تلتهمها النيران، واستأنفت كلامي قائلة: "مستحيل!، لا يمكن أن يكون ما يحدث متعلقاً بذلك يا عزرا".

هزّ كتفيه، وقال: "قالت سادي إن لديها المزيد الأسرار التي ستخبرنا بها، أليس كذلك؟ لطالما كانت قصة الرجل البهلواني تلك سطحية نوعاً ما، ربما بحثت عن شعلة قديمة بينما كانت...".

صرختُ في وجهه قائلة: "اخرج من غرفتي"، وقبل أن يتمكن من إنهاء كلامه، سحبت بدم بارد الورقة المعلقة على الجدار، ورميتها في وجهه، وتابعت كلامي قائلة: "ولا تعد إلا إذا كان لديك ملاحظات مفيدة، أو على الأقل غير مرعبة لتشاركها".

أخذت أحاول إخراج ما قاله عزرا من ذهني منذ ذلك الحين، وكل ما قد يعنيه ذلك منفصل تماماً عن قضية الفتيات المفقودات. وعلى أي حال، أنا متأكدة من أن التوقيت كان مجرد مصادفة، وكنت سأناقش الأمر مع سادي الليلة الماضية خلال مكالمتنا الأسبوعية عبر سكايب، لولا إنهاها المكاملة بسرعة، وقد أخبر مستشار سادي نانا أنها منهكة.

خطوت خطوة إلى الأمام، ثم تراجعته خطوة إلى الوراء.

"هاه" أعادني صوت عزرا إلى الحاضر، وقال: "لديّ الآن شيء مختلف"، وفصل ورقة صفراء صغيرة عن الأوراق الأخرى، ومسّد طرفاً مجعداً منها.

اقتربتُ منه، وسألته: "ما هو؟".

قال لي: "فاتورة إصلاح سيارة لشخص يدعى إيمي نيلسون في مكان يسمّى دايليز أوتو في..". وأخذ يحدّق إلى الورقة: "في بيلينغهام، نيو هامبشاير".

نظر كلانا بشكل عفوي إلى مالكولم، فالشيء الوحيد الذي أعرفه عن نيو هامبشاير، هو أن شقيقه يعيش هناك، أو أنه كان يسكن هناك.

تقلّصت ملامح مالكولم حين قال: "لم أسمع به قط".

واصل عزرا القراءة: "تلف مقدمة السيارة لسبب غير معروف، واستبدال المصدِّ الأمامي، وإصلاح غطاء المحرك، وإعادة طلاء المركبة الذي سيستغرق 48 ساعة"، ارتفع حاجباه، وهو يقول: "يا للهول! الفاتورة أكثر من ألفي دولار نقداً، ل..". توقّف، وعيناه تتفحّصان الفاتورة، ثم أكمل قائلاً: "السيارة هي بي إم دبليو إكس6 طراز 2016 حمراء اللون".

قفز مالكولم إلى جانبي، وقال: "أيمكنني رؤيتها؟" فسلمّه عزرا الإيصال، وظهرت تجاعيد عميقة بين حاجبي مالكولم وهو يدرسها بعناية، أخيراً قال وهو ينظر إلى الأعلى: "هذه سيارة كاترين إنه النوع نفسه، والطرز الخاص بها، ولوحة ترخيصها".

أمسكت ميا بالورقة الصفراء الصغيرة بيدها، وقالت: "حقاً؟ هل أنت متأكد؟".

قال مالكولم: "متأكد، فهي توصلني إلى المدرسة في معظم الأيام، وأنا أوقف سيارتي بجوار تلك السيارة في كل مرة أستعير فيها سيارة أمي".

سأل عزرا: "ومن إيمي نيلسون؟".

هزّ مالكولم برأسه، وقال: "ليس لدي فكرة".

"لقد تركت رقم هاتفها"، تقول ميا وهي تحمل الورقة أمام مالكولم: "هل هذا رقم كاترين؟".

"أنا لا أحفظ رقمها، انتظروا لأتفقّده"، أخرج مالكولم هاتفه وضغط على بعض المفاتيح، وقال: "إنه ليس رقمها، لكن انتظروا، هذا الرقم موجود ضمن قائمة جهات الاتصال، إنها...". حبس أنفاسه واستدار إلى ميا، وقال: "هل تذكرين يوم أرسلت كاترين رسالة نصية تطلب مني فيها دعوة بروك إلى الحفل؟"، أومأت إليه ميا، فتابع كلامه: "لقد أرسلت رقم هاتف بروك أيضاً، فحفظته في جهات الاتصال، إنه رقمها".

سأل عزرا: "مهلاً ماذا قلت؟ رقم بروك مدوّن على إيصال إصلاح سيارة كاترين؟".

في أثناء قيام مالكولم بتمرير هاتفه إلى الجميع، كنت أستخدم هاتفي لأبحث عن بيلينغهام، نيو هامبشاير، فأبلغتهم بنتيجة البحث: "ورشة الإصلاح على بُعد ثلاث ساعات".

قالت ميا وهي تتفحّص الإيصال: "إذآ بروك... ساعدت كاترين في إصلاح سيارتها، على ما أعتقد، لكنهما لم تأخذاها إلى أرمسترونغ، ولا حتى إلى أي مكان في فيرمونت، بل استخدمتا اسماً مزيفاً، فلماذا يمكن أن تقوما بذلك؟".

سألت وأنا أنظر إلى مالكولم: "ماذا قالت كاترين عن تضرر سيارتها؟".

قطّب مالكولم جبينه، وقال: "لا شيء، لم تكن متضررة يوماً"، طرفت عيناها وأنا أنظر بحيرة إلى وجهه، لكنه أضاف: "أعني أنها لم تتحطم بحسب ما أعرفه، لا بأس، ربما هناك خطأ ما إلا إذا.. مهلاً"، التفت إلى ميا التي لا تزال تحدّق إلى الإيصال، وسألها: "متى تم إصلاح السيارة؟".

"إم... " تحرّكت عينا ميا إلى أعلى الورقة، وقالت: "تم إحضارها في الحادي والثلاثين من آب، واستلمتها إيمي في الثاني من أيلول، أوه صحيح!"، نظرت إلى مالكولم، وقالت: "كنت أنت وأمك في إجازة حينها، أليس كذلك؟ متى عدتما؟".

"في الرابع من أيلول، يوم جمع التبرعات للاسي".

"لذلك لم تعلم بأضرار السيارة، لكن ألم يقل السيد نيلسون شيئاً؟".

"ربما لا، فقد قضت كاترين أياماً في منزل بروك خلال الصيف"، نقر مالكولم نقرات غير منتظمة على ركبته بأصابع إحدى يديه، وقد اعتلت وجهه ملامح التفكير العميق، وهو يقول: "ربما لهذا السبب تورّطت بروك في الأمر، كانت تغطّي ما أخفته كاترين في أثناء إصلاح السيارة، لأن بيتر يخبرها دائماً بأنها بحاجة إلى القيادة بحذر أكبر، ربما كانت خائفة من أن يحرمها منها إذا علم بالأمر".

قال عزرا: "حسناً، ذلك يبدو مفهوماً على ما أعتقد، والاسم المزيف غبي نوعاً ما، أعني، كل ما يجب على أي شخص فعله هو البحث عن رقم لوحة الترخيص لمعرفة لمن تنتمي السيارة حقاً، ولكنهما على الأرجح اعتقدتا أن الأمر لن يصل إلى تلك المرحلة"، توقّف عن الكلام برهة وعبس، ثم استأنف كلامه: "الشيء الوحيد الذي لا أفهمه هو، إذا كان هذا ما حدث، فلماذا كانت بروك يائسةً للغاية وهي تحاول استعادة الإيصال؟ إذا افترضنا أن هذا هو ما كانت تبحث عنه، لكنه أشار إلى كدسة الفواتير التي تجاهلناها بالفعل، فلا يوجد ترابط أبداً بين مشكلة إصلاح سيارة متخفية والتخلص من الدليل، ألن تمرّقه بعد أن أنجزت المهمة؟ أليس ذلك منطقيّاً؟".

تذكّرت كلمات بروك في مكتب مزرعة الرعب، هذا سؤال المليون دولار، ماذا حدث؟ ألا توذّين معرفة ذلك؟ بدأ معدل ضربات قلبي بالارتفاع، وقلْتُ: "ميا"، وأنا أتجّه نحوها، وأتابع قائلة: "ما تاريخ إحضار السيارة مرّة أخرى؟".

قالت: "إنه الحادي والثلاثون من آب".

كّررْتُ: "الحادي والثلاثون من آب"، فوخزني جلدي، وبدأ كل عصب في جسمي ينبض بقوة.

أمال عزرا رأسه وقال: "لماذا تبدين وكأنك ابتلعت للتو قبلة يدوية؟".

"لأننا أتينا من لوس أنجلوس في الليلة السابقة لذلك، في الثلاثين من آب، أتذكر؟ عاصفة البرد، في تلك الليلة التي قُتل فيها السيد بومان في حادث غامض"، سكت الجميع للحظة، فنقرْتُ على الورقة التي تحملها ميا، وقلت لهم: "تلف مقدمة السيارة لسبب غير معروف؟".

تصلّب جسد ميا بأكمله، وقال عزرا: "يا للهول!"، في الوقت نفسه قال مالكولم: "كلا"، استدار نحوي وعيناه تدمعان، وهو يقول: "سيد بومان؟ كاترين، لا، لن...". لكنه سكت عندما أسقطت ميا إيصال الإصلاح في حجره، وقالت بلطفٍ مستفز نوعاً ما: "أكره أن أقول ذلك، لكن يبدو أنها فعلتها بشكلٍ مرّوع".

الفصل السادس والعشرون

مالكولم

السبت 5 تشرين الأول

"تبدين جميلة للغاية يا كاترين".

استدرتُ من أمام الثلاجة عند سماع صوت والدتي، وأنا أمسك بزجاجة مياه غازية دافئة للغاية، فاقتربت من البهو حتى أتمكن من رؤية الدرج بوضوح، فرأيت كاترين تنزل الدرج كالملكة، وهي ترتدي فستاناً أحمر، وشعرها يرتد إلى الخلف على شكل طيات معقدة، تبدو أفضل مما كانت عليه طوال الأسبوع، لكنها لا تزال تفتقر إلى بريقها المعتاد، وهناك شيء يثير الريبة في وجهها.

القبة في فستانها تنخفض إلى أسفل، فيظهر قسم من جسدها أكبر بكثير مما تظهره كاترين عادةً، ولا بد أن يكون ذلك مُشْتَبَهاً، لكن حتى ذلك لا يعرقل قطار الأفكار الذي يجري في ذهني منذ ظهر الأمس.

ماذا تخفين يا كاترين؟ ما الذي قمتِ به؟

توقّف صديق كاترين، ثيو الذي لم يكن لديه المشكلة نفسها، بل تركّزت عيناه على صدرها، حتى انتبه إلى وجود والدها في الغرفة، وقال: "تبدين فاتنة".

لا أستطيع رؤية بيتر، لكن صوته يظهر شدة حماسه: "لنلتقط بعض الصور لكم أنتم الأربعة".

تلك إشارة إلى رحيلي، فالثنائي كاترين وثيو يذهبان إلى الحفل برفقة اثنين من أقل الأشخاص المفضلين لدي في ثانوية إيكو ريد، كايل مكنولتي

وفيف كانتريل، وقد أوضحت كاترين لوالدتي أنه ليس موعداً غرامياً، بل إنهما مجرد شخصين يشعران بالقلق بشأن بروك فقط، وهما يجتمعان معاً، في الوقت الذي تحاول المدينة بأكملها دفع مسيرة الحياة نحو عيش طبيعي، وحين لمحت كايل فور وصوله، بدا كما لو أنه قد أجبر على مرافقة فيف، وهو نادم بالفعل على قبول ذلك العرض.

كل الأموال التي تم جمعها من بيع تذاكر حفل الترحيب، تعود إلى صندوق جائزة مالية مقابل الحصول على أي معلومات تُعيد بروك أمانةً إلى منزل والديها، فمعظم الشركات في المدينة تقدّم تبرعات مماثلة، ولكن شركة بيتر للمحاماة ضاعفت تبرعاتها.

عدتُ إلى تحليل الموقف، بينما اتخذ الجميع وضعيةً التقاط الصورة، وما زالت ميا ستذهب برفقة عزرا، وقد راسلتني قبل ساعة محاولة إقناعي بالطلب من إليري الذهاب برفقتي، ربما كنت سأفعل لو كنا في ظلّ ظروف مختلفة، لكنني لم أستطع إخراج كلام كاترين من رأسي، وهي تقول: "من المستحسن ألا أراك هناك"، لقد تراجعَت عن معاملتي بصفتي مجرماً، لكنني أعلم أن هذا ما يفكر فيه الجميع في المدرسة، أنا لا أهتمّ بما فيه الكفاية برقصة لا طائل منها، لأتعامل لمدة ثلاث ساعات مع الهمس حولي واتهامي بجريمة لم ارتكبتها.

إلى جانب ذلك، لست متأكداً من أنني أستطيع التصرف بشكل طبيعي مع أختي غير الشقيقة في الوقت الحالي.

لم أخبر أحداً بما وجدناه بالأمس، على الرغم من النظريات الجامحة، فإن كل ما انتهى به الأمر حقاً كان الحصول على معلومات حديثة مشكوك في صحتها، ولا يزال الشكُّ يتآكلني طوال اليوم، مما يجعل من المستحيل تقريباً النظر إلى كاترين من دون أن تنفجر الكلمات في وجهها: ماذا تعرفين يا كاترين؟ ما الذي قمتِ به؟

ازدادت همهمة الأصوات في الردهة بينما تستعدّ كاترين وأصدقائها للمغادرة لحضور الحفل الراقص، قريباً جداً سيعود بيتر وأمي إلى المنزل، وفجأةً أدركتُ أن آخر شيء أريد أن أفعله في العالم هو قضاء ليلة سبت بمفردي برفقة أفكار، وقبل أن أعيد التفكير مرة أخرى، أرسلتُ رسالة نصية إلى إليري: "هل تريدان الخروج الليلة لمشاهدة فيلم أو أي شيء من هذا القبيل؟".

لا أعرف إن كانت مستعدة لذلك، أو ما إذا كانت جدتها ستسمح لها بذلك، لكن إليري أجابت خلال بضع دقائق، فارتخت القبضة التي تشدُّ على صدري قليلاً، عندما قرأت ردّها:

"نعم بالطبع".

تبيّن أنه إذا قمت بدعوة فتاة في ليلة الحفل الراقص، فإن والدتك ستنتبه لذلك.

دارت أُمي حول إليري بلا هوادة بعد أن أفلّتها جدتها إلى منزلنا، وقد قالت لها أُمي: "هل تريدن الفوشار؟ أستطيع إعداده لكما، هل ستكونان في الغرفة أو في غرفة الجلوس؟ ربما تكون الغرفة أكثر راحة، لكنني لا أظنّ أن التلفاز هناك يحتوي على تنفلكس، وربما يمكننا إعداده بسرعة كبيرة، أليس كذلك يا بيتري؟".

وضع بيتري يده على كتفها، حتى لا يشعرها بالذعر، وقال: "أنا متأكد من أن مالكولم سيعلمنا إذا كان لديه أي متطلبات تكنولوجية ملحة"، ثم ابتسم لإليري ابتسامة بيتري نيلسون المثالية، بينما أزالته وشاحها عن رقبتها ووضعته في حقيبتها، واستكمل بيتري كلامه قائلاً: "من الجميل جداً رؤيتك مجدداً، إليري، لم أحصل على فرصة إخبارك في حفل تبرعات لاسي، لكن والدتك كانت من الأشخاص المفضلين لديّ عندما كانت مقيمة في البلدة"، ضحك ضحكة ساخرة وأردف قائلاً: "حتيّ إنني اصطحبتها إلى السينما عدة مرات، على الرغم من أنني أعتقد أنها ملت من الفيلم لدرجة البكاء، وأتمنى أن تكون بخير، وأنك تستمتعين بوقتك في إيكو ريدج، على الرغم من...". وأظلم وجهه، وأضاف قائلاً: "على الرغم من أننا لسنا في أفضل حالاتنا الآن".

أبقيت ملامحي ثابتة لإخفاء آمنياتني في أن يصمت، تلك طريقة لتذكير الجميع بأن نصف المدينة يعتقد أنني ألحقت الأذى ببروك، وهو السبب الآخر الذي منعتني أن أطلب من إليري مرافقتي إلى الحفل الراقص، فلم أكن متأكداً من موافقتها.

قالت إليري: "أعلم ذلك، فقد انتقلنا إلى هنا خلال وقت غريب، لكن الجميع يعاملونني بلطف"، وابتسمت لي، فتعدّل مزاجي السيئ. كان شعرها طويلاً ينسدل حول كتفها بالطريقة التي أحبها، ولم أدرك حتى الآن أنني أفضله على هذا الشكل، لكن اتضح أنه لدي ما أفضله فيها.

سألته أمي: "هل تريد أن أجلب لك مشروباً؟ لدينا مياه غازية، أو عصير، أو..." تبدو مستعدة لتوثيق المحتويات الكاملة للثلاجة، لكن بيتر بدأ بتوجيهها برفق نحو درج الشرفة، قبل أن تجيب إليري، حمداً لله.

قال بيتر: "مالكولم يعرف مكان كل شيء يا أليسيا، لماذا لا ننهي فيلم بيرنز الوثائقي في الطابق العلوي؟"، منحني بيتر ابتسامة دافئة تقريباً مثل تلك التي قدّمها إلي إليري، لكنه لم ينظر إلي عيني. كانت ابتسامته تشير إلى محاولاته التخفيف من حدة الموقف على ما أعتقد، فقال لي: "نادنا إن كنت بحاجة إلى أي شيء".

قلْتُ لها عندما تلاشى صوت خطواتهما على الدرج: "أمي تقليدية قليلاً، وهي تتصرف بهذه الطريقة عند لقاء الأصدقاء الجدد، أتريد أن أتردد الفوشار؟".

قالت وهي تبتسم: "بالتأكيد"، أومضت غمازتها وأنا سعيد لأنني راسلتها.

قدتها إلى المطبخ، حيث قفزتُ على كرسي أمام المنضدة، وفتحت الخزانة بجوار المغسلة، وعُصتُ حتى وجدت علبة فوشار الميكروويف.

"لا تقلق، والدتك رائعة، وزوج والدتك أيضاً"، بدت متفاجئة وهي تقول ذلك، وكأنها لم تكن تتوقّع هذا السلوك من والد كاترين.

أجبتها على مضض: "لا بأس به"، ووضعت كيس الفوشار في الميكروويف.

لَقْتُ إليري خصلة من شعرها حول إصبعها، وقالت: "إنك لا تتحدّث عن والدك كثيراً، هل تراه؟ أو..." تردّدت، وكأنها ليست متأكدة بنسبة مئة بالمئة من أنه ما زال حياً.

ملاً صوت فرقة حبّات الذرة المكان، لكنني قلت: "ليس بالتحديد، يعيش الآن في جنوب فيرمونت، قرب ماساتشوستس، وقد قضيت أسبوعاً هناك خلال الصيف، في الغالب يرسل لي مقالات متعلقة بالرياضة عبر البريد الإلكتروني، مفترضاً بشكل خاطئ أنني أجدها ممتعة، أما بيتر فيحاول بجد أكبر من ذلك"، فاجأني إدراك مدى صحّة هذا الأمر، وتابعت قائلاً: "إنه يتحدث عن طلاب الجامعة، وما أريد فعله بعد ذلك، أشياء من هذا القبيل".

سألت إليري: "ماذا تريد أن تفعل؟".

بدأت الفرقة بطيئة، فقامت بسحب الكيس من الميكروويف وفتحته، فأطلق سحابةً من بخار الزبدة، وقلت: "ليس لديّ أدنى فكرة، وأعترف بذلك، ماذا عنك؟".

"لست متأكدة، لديّ فكرة أنني أرغب في أن أصبح محامية، لكنني لا أعرف ما إن كانت فكرة واقعية، فلم أفكر حتى هذا العام في أن الذهاب إلى الجامعة فكرة قد تُنفَّذ، فلم يكن في وسع سادي أن تتحمّل تكاليف الجامعة، لكن جدتي لا تزال تتحدّث عن الأمر كما لو أنه سيحصل".

قلت لها: "الشيء نفسه بالنسبة إليّ، مع بيتر".

ثم تابع قائلاً: "أنت تعرفين أنه محام، أليس كذلك؟ وأنا متأكد من أنه سيكون سعيداً بالتحدث إليك حول هذا الموضوع، تحذير هام، إن نسبة تسعين بالمئة من وظيفته مملة حقاً، وربما هو ممل فقط".

ضحكت وقالت: "تم تدوين الملاحظة، وقد أقبل بعرضك".

أوليتها ظهري وأنا أطارد وعاءً في الخزانة من أجل وضع الفوشار فيه، وعندما تحدّثت مرة أخرى كان صوتها أكثر هدوءاً: "إنه أمر غريب، لكن هذا الوقت هو أطول وقت لم أستطع فيه تقريباً... رؤية نفسي في المستقبل، كنت أفكر في ما حدث لخالتي، وأتخيّل أن أحدنا، أنا أو أخي، قد لا يتمكن من تحقيق ذلك طوال المرحلة الثانوية، مثل توأم كوركوران واحد فقط يمكنه المضي قدماً، وعزرا يشبه أمي كثيراً".

وتمتت: "ما أنا عليه..." استدرت لأراها تحدّق من نافذة مطبخنا إلى الظلام، ورأيت انعكاس تعابير وجهها، ثم ارتجفت وقد ومض وجهها، وارتسم عليه تكشيرة اعتذار: "أسفة، أصبح الأمر سيئاً بشكل سريع".

قلت لها: "لدينا تواريخ عائلية فاشلة جداً، فالسوء متوقّر في كل مكان على الأرض".

قدتها إلى غرفة جلوس منزل نيلسون، وجلست في زاوية طرف الأريكة حيث كان وعاء الفشار بجانبني، التفتت إليّ وناولتني مشروبي، فسألته وأنا أنقر على جهاز التحكم عن بعد، وأنتقل مستخدماً دليل القنوات: "ماذا تريدان أن تشاهدي؟".

قالت إليّ: "أنا لا أهتم"، أمسكت بحفنة صغيرة من الفوشار من الوعاء، وأكملت قائلة: "أنا سعيدة فقط لكوني خارج المنزل طوال الليل".

قادنا التقلب في القنوات بسرعة إلى أول فيلم من أفلام ديفندر، وكان ذلك يرافق لوقت قصير ظهور سادي، فنزعت غطاء علبة الصودا خاصتي، وقلت: "أجل، لقد فهمت ذلك، ما زلت أفكر كيف أنه منذ أسبوع تقريباً أقلت بروك، وبالمناسبة أردت أن أشكرك من أجل، تعلمين... ثقتك بي".

التقت عينا إليري الداكتان والبراقتان عيني، وقالت: "لقد كان أسبوعاً مروحاً بالنسبة إليك، أليس كذلك؟".

"رأيت ما مرّ به ديكلان، هل تتذكرين؟"، تومض صور مدينة مستقبلية بشوارعها المظلمة المكسوة بالمطر عبر الشاشة أمامنا، وكان البطل على الأرض مرتعداً، بينما يلوح في الأفق زوجان من الرجال ضخمي العضلات، ويرتديان جلدًا ويحومان حوله، إنه ليس نصف سايبورغ حتى الآن، لذا فهو على وشك أن يُقضى عليه، وتابع كلامه: "كان هذا أفضل".

اقتربت إليري منّي، وقالت: "كان له تاريخ طويل مع لاسي، وليس الأمر كما لو كنت حبيب بروك أو..."، تردّدت لفترة وجيزة، ثم قالت: "أعز أصدقائها".

لقد تمكّنا من قضاء ما يقارب خمس عشرة دقيقة من دون ذكر المشكلة، إنه جيد بالنسبة إلينا على ما أعتقد، سألت: "هل تعتقدين أنه يجب علينا أن نظهر للشرطة ما وجدناه؟".

عضت إليري على شفرتها وقالت: "لا أعرف، أنا قلقة نوعاً ما بشأن تحليلنا الموضوع، فقد يبدو الأمر سطحياً ولا يستحقّ إقحامه في القصة، بالإضافة إلى أنني ما زلت لا أثق برايان رودريغيز"، استهجنت ما ظهر على شاشة التلفاز، وقالت: "شيء ما حيال هذا الرجل يقلقني".

قلتُ لها: "هناك شرطيون آخرون"، لكن الشرطي مكنولتي هو الرائد في هذه القضية، وفكرة التحدث إليه مرة أخرى لا تشعر روعي بالرضا.

التقطت إليري جهاز التحكم عن بُعد، وبدت وكأنها على وشك تغيير القناة، ولكنها كانت تتلاعب به بين يديها شاردة الذهن، ثم قالت: "الأمر أنه.. لقد كنت أتساءل عن شيء ما، إن افترضنا أن تحليلنا كان صحيحاً، وأن كاترين في الواقع..."، أخفضت صوتها وهمست إليّ همساً خافتاً: "دهست السيد بومان، هل تعتقد أن هذا كل ما فعلته؟".

حاولت ابتلاع حبة من الفوشار لكنني لم أستطع، فكان حلقي جافاً جداً، فارتشفت رشفة طويلة من شرابي قبل الرد على إيري، وفي أثناء ذلك فكرت في كاترين وهي تنزل الدرج اليوم، وقد وضعت تعبيراً غامضاً يشبه القناع، والطريقة التي ألقته بي تحت الحافلة، عندما تم استجوابي لأول مرة، بالإضافة إلى النظرة الخائفة التي ظهرت في عينيها يوم عملية بحث بيتر، سألت: "ماذا تقصدين؟".

"حسناً"، قالت إيري الكلمة ببطء وعلى مضض، كما لو أن شخصاً ما أخرجها منها، وتابعت: "ربما ينبغي أن أمهد لهذا بالقول... أفكر في الجريمة كثيراً بطريقة غير طبيعية، أفهم ذلك، إنها مشكلة نوعاً ما، لذلك عليك أن تتلقى ما أقوله بحذر، لأنني شككت في شخص مشتبه فيه بشكل طبيعي على ما أعتقد".

قلت: "شككت في، أليس كذلك؟"، تجمّدت إيري واتسعت عيناها، تباً، لم أقصد الوصول إلى ذلك، كدت أعتذر وأغيّر الموضوع، لكنني لم أفعل لأنني قد نطقت بالكلام بالفعل، وأردت سماع ردّها.

"أنا... أنا بصراحة أكره أنني أفعل ذلك، مال"، أعتقد أن هذه المرة الأولى التي تناديني فيها باسمي مختصراً، لكنني شعرت بالرعب لرؤية عينيها تدمعان قبل أن أتمكن من أن أحتفل بهذه المناسبة العظيمة، وتابعت: "لقد نشأت ولم أعرف ما حدث لخالتي، ولم يخبرني أحد بأي شيء عن حادث اختفائها، لذلك كنت أقرأ القصص الرهيبة حول الجرائم لأحاول فهمها، لكن كل ما قدّمته إليّ جعلني أكثر حيرة وخوفاً، وأنا الآن في المرحلة التي أشعر فيها أنني لا أستطيع الوثوق بأي شخص حتى في توأمي"، انسابت دموعاً على خدها، وأسقطت جهاز التحكم عن بعد على الأريكة، لتصفع خدها بغضب تاركة علامة حمراء على بشرتها الشاحبة، وهي تتابع كلامها: "لا أعرف كيف أتواصل مع الناس، فلم يكن لدي سوى صديق واحد قبل انتقالني إلى هنا، ثم التقيت بك أنت وميا، وكنتما رائعين، لكن كل هذا حدث و... أنا أسفة، لم أفكر فيك هكذا حقاً، لكنني فعلت... فكرت في الأمر إذا ما كان منطقياً، ولكنه على الأرجح لا".

انفكت العقدة التي تثقل صدري، وقلت: "نعم، انظري سيكون كل شيء بخير، أفهمت ما أقوله؟"، جالت عينا في أرجاء الغرفة، وقلت: "انظري إلى ليلة الحفلة الكبيرة الخاصة بي، لست متأكداً مما إذا كنت قد لاحظت ذلك، ولكن لدي صديق واحد فقط أيضاً، قلت ذلك في المطبخ، أصحيح؟ لقد أفسدنا تاريخ العائلة، إنها حماقة معظم الوقت، ولكن هذا يعني أنني أفهمك، وأنا معجب بك".

نقلتُ وعاء الفوشار إلى طاولة القهوة ووضعت ذراعاً حولها، إنها تنتهّد وتميل إليّ، أعني أنه عناق ودود في الغالب، لكن شعرها كان يتدلى فوق عين واحدة، فدفعته إلى الخلف، وقبل أن أعرف ذلك، لمست يدي خديها، وهو شعور جيد حقاً، وكانت عينا إيري تنظران إلى عينيّ، وقد ارتسمت على شفثيها المنحنيّتين ابتسامة صغيرة مشكوك فيها، قرّبتُ وجهها وقبّلتها قبل أن أفكر في الأمر.

كان فيها ناعماً ودافئاً، فتسلّلت الحرارة ببطء إلى داخلي، وهي ترفع يدها إلى صدري وتلف الأخرى حول مؤخرة رقبتني، ثم تقضم شفثي السفلية برفق، وسرعان ما تحوّلت الحرارة إلى هزة كهربائية، فلففت ذراعي حولها وسحبّتها إلى حضني، وقبّلتُ شفثيها، وبشرتها وبين فكّيها وعظمة الترقوة، لقد دفعتني إلى الخلف نحو الوسائد، وقولبتُ جسدها على جسمي، يا إلهي! سارت هذه الليلة بشكل أفضل بكثير مما كنت أتوقّع.

صدرت ضوضاء مرتفعة جعلتنا نتجمّد، أرحنا جهاز التحكم عن بعد بسرعة، فأوقعناه على الأرض.

جلست إيري حالما سمعت صوت والدتي الذي يبدو قريباً جداً لشخص يفترض أن يكون في الطابق العلوي، وكانت تنادي: "مالكولم؟ هل كلّ شيءٍ على ما يرام؟".

تباً، إنها في المطبخ، ابتعدنا أنا وإيري عن بعضنا، وقلّتُ: "أجل، لقد أسقطنا جهاز التحكم عن بعد"، جلسنا على مسافة قدم على الأريكة، وكان كلانا أحمر الوجه، وقد ارتسمت على وجهي ابتسامات خجولة، في انتظار ردّ أمي.

حسناً، أنا أصنع شوكولاتة ساخنة، هل تريدان بعضاً منها؟".

قلّتُ: "لا شكراً"، بينما كانت إيري تحاول ترتيب شعرها الذي تبعثر، ويدي تتلهف لإفساده مرة أخرى.

سألت أمي: "وماذا عنك إيري؟".

قالت إيري وهي تعضّ على شفثيها: "شكراً، لا أحتاج إلى شيءٍ بالفعل، شكراً لك".

"حسناً"، انتظر دقيقة لا نهاية لها حتى تعود والدتي إلى الطابق العلوي، ولكن قبل أن تصل انتقلت إيري إلى الطرف الآخر من الأريكة.

وهي تقول: "ربما يكون من الجيد أنه تمت مقاطعتنا"، تزداد احمراراً، وتكمل: "أشعر أنه ربما يجب أن أخبرك بنظريتي قبل أي شيء".

عقلي لا يعمل بشكل جيد الآن، فقلت: "قولي لي ماذا لديك؟".

"نظريتي الجنائية".

"نظريتك، أوه نعم"، أنا أتفّس من أجل الحفاظ على رباطة الجأش، وأعدّل وضعيتي على الأريكة، وأكمل: "ليست عني، أليس كذلك؟".

قالت: "لا قطعاً، لكن الأمر يتعلّق بكاترين، وكيف أعتقد أنه إذا كنا محقّين بشأن السيد بومان، فربما كان ذلك مجرد بداية الأشياء"، إنها تلفّ خصلة من الشعر حول إصبعها، والتي بدأت أدرك أنها ليست علامة جيدة أبداً، ما زلت غير قادر على جعل عقلي يفكّر في أن كاترين دهست السيد بومان، لست متأكداً من أنني مستعد لمعرفة المزيد من هذه الأشياء، لكنني أمضيت السنوات الخمس الماضية أتجنّب المحادثات حول لاسي وديكلان، وهذا لم يحلّ أي شيء أبداً.

سألتها: "ما الذي تعنيه؟".

"حسناً، إذا عدنا إلى الإيصال، فنحن على يقين من أن بروك علمت بالحادث، أليس كذلك؟ إما أنها كانت في السيارة عندما حدث ذلك، أو أخبرتها كاترين بذلك"، أطلقت إليري شعرها لتبدأ في شدّ عقده، وأكملت: "لا بد أن كاترين شعرت بالرعب من فكرة اكتشاف الناس أنها تعرّضت لحادث، لكن أن تغادر بعد ذلك من دون أن تتوقّف للمساعدة، فسيجعلها ذلك منبوذة في المدرسة، بالإضافة إلى أنها ستدمّر مكانة والدها في المدينة، ناهيك عن التهم الجنائية التي ستتلبّسها، لذلك قرّرت التستر على مرتكب الجريمة، وقد وافقت بروك على المساعدة، لكنني أعتقد أنها ندمت على ذلك، فكانت دائماً تبدو قلقة جداً وحزينة منذ أن التقيتها، وكان ذلك بعد وفاة السيد بومان، إلا إذا كانت دائماً هكذا؟".

شعرت بألم من معدتي وأنا أفكّر في صورة بروك المعلقة على لوحة إعلانات المفقودين، وهي مبتسمة، قلت: "لا، لم تكن مفقودة".

"ثم في مكتب مزرعة الرعب ظلت تقول أشياء مثل: لا ينبغي أن أقول، يجب أن أخبرهم، إنه ليس جيداً، وهذا يجعلني أعتقد أنها كانت تشعر بالذنب".

بدأ الضغط يشتدّ على رأسي، وقلت: "هي سألتني إذا كنت قد ارتكبت خطأ سيئاً حقاً".

اُسعت عينا إليري، وقالت: ماذا سألت؟ متى سألتك؟".

"في المكتب بينما كنت تبحثن عن عزرا، قالت: "أنا أبحث في ذاكرتي، لكن الكلمات الدقيقة لا أذكرها، كانت كلمات تتعلق بارتكاب خطأ لم يكن مثل خطأ عادي، وأنها كانت تتمنى أن يكون لها أصدقاء مختلفون".

أومأت إليري إليّ بجديّة وقالت: "هذا شيء ملائم".

أنا متأكد من أنني لا أريد أن أعرف، لكنني أسأل على أي حال: "ملائم لماذا؟".

قالت إليري: "الكثير من الأشياء، بدءاً بالتخريب"، لقد أذهلني حديثها، فأضافت قائلة: "الرسائل لم تظهر إلا بعد أن أصلحت كاترين سيارتها، وقد استعادتها في الثاني من أيلول، وكان جمع التبرعات للاسي في الرابع من أيلول، أليس كذلك؟"، أومأت إليها، وهي تتابع، قائلة: "ظللت أفكر في كيف سيكون عليه الحال بالنسبة إلى كاترين، في حين أن البلدة كانت تنعي بأكملها السيد بومان، وهي تبحث عن إجابات تقودها إلى قاتله، وربما كانت تمشي بحذر، خائفة من اكتشافها أو تسليم نفسها، لذلك فكرت في أن كاترين قد تكون هي التي بدأت بالتخريب؟".

"ولماذا تفعل ذلك؟"، لا يمكنني إبعاد فكرة عدم تصديق كل ما يرتبط

بي.

كانت إليري تحفّ ظفرها على طول النمط الزهري للأريكة رافضةً النظر إليّ، وقالت بهدوء: "لأنها تريد أن تشتت الانتباه، فقد بدأت البلدة بأكملها تركّز على التهديدات بدلاً من التركيز على ما حدث للسيد بومان".

أشعر بالغثيان لأنها على حق، فقد جعل مطارّد حفل الترحيب صدم السيد بومان وهروبه غامضين، كما حصلوا بسرعة كبيرة، وهي أسرع بكثير مما كان ينبغي أن يكون بحقّ معلم محبوب مثله، فسألت: "ولكن لماذا تعرّضك وتعرّض نفسك، وبروك لذلك؟".

"حسناً، كاترين وبروك منطقيتان لأنهما إذا كانتا مستهدفتين، فلن يعتقد أحد أنهما متورطتان، أما أنا فلا أعرف"، تستمرّ إليري في تتبع النمط الخاص بالأريكة، وعيناها تركّزان على حركة يدها، كما لو أنها فقدت التركيز

ولو لثانية واحدة، وستختفي الأريكة بأكملها، وأكملت: "ربما كنت مجرد وسيلة لحبك المؤامرة أو شيء من هذا القبيل، لأن عائلتي مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بحفلة الترحيب المأساوية أيضاً، على الرغم من أن سادي كانت الملكة وليست سارة".

"كيف ستفعل كاترين ذلك، رغم وجودها في أماكن أخرى؟ كانت في المركز الثقافي عندما تعرّضت اللافتة للتخريب، وعلى خشبة المسرح مع بقية المشجعين عندما بدأت الشاشة تومض وتظهر تلك المشاهد في مزرعة الرعب".

"كان من الممكن إعداد الشاشة مسبقاً، لكن بالنسبة إلى البقية كانت بحاجة إلى المساعدة، أظنّ أنه تمّ سحب بروك بالفعل، وفيه وثيو سيفعلان أي شيء تقوله لهما كاترين، أليس كذلك؟ أما كان هناك وقت في المركز الثقافي فقدت فيه بصرك؟".

"كلا، أنا أفكر في كاترين وهي تنزلق بعيداً بمجرد أن اتجهت كل العيون نحو والدتي. أوه، هل تعرفين كم استمرّ الوقت الذي كانت تجهّز نفسها فيه قبل أن تذهب برفقة ثيو؟"، أفرك رأسي بيدي وكأن هذا سيساعدني على التذكر، لكنه لا يساعد، كلما تحدّثت أنا وإليري أكثر شعرت بقلق أكبر، وأكملت: "ولكن إذا كنت صادقاً، فهذا نوع من المبالغة يا إليري، وهذا كله ما زال لا يفسر ما حدث لبروك".

قالت إليري بصوت منخفض: "هذا ما يقلقني، أستمرّ في التفكير أنه بينما كانت كاترين تشبّت انتباه المدينة كانت بروك تعمل على التحلي بالشجاعة لإخبار الجميع بحقيقة ما حدث، وقد أرادت الحصول على الدليل، ولكن ماذا لو عرفت كاترين ذلك، وفعلت شيئاً لإبقائها صامتة؟".

اقشعرّ جسدي من الفكرة، فسألته: "مثل ماذا؟".

تحدّثت إليري بسرعة وكأنها على عجلة من أمرها: "لا أعرف، وأنا حقاً آمل أن أكون مخطئة"، كما لو كانت تكره ما تقوله ولكنها تحتاج إلى نشره على أي حال، وأضافت: "لكن كاترين كان لديها الدافع، كما كانت لديها الفرصة، هذان عنصران اثنان من العناصر الثلاثة التي تحتاجها إلى ارتكاب جريمة".

بدأت معدتي تؤلمني، وأنا أسألته: "ما العنصر الثالث؟".

"عليك أن تكون من النوع الذي سيفعل شيئاً كهذا".

أخيراً، نظرت إليري إلى الأعلى، فلم يكن أسلوبها تعبيراً عن التأمل، أما أنا فلم أتمكن من تمالك نفسي، وقد خرجت الكلمات مني من دون تفكير، وقلت: "كاترين ليست من ذلك النوع".

تحدّثت ببطء هذه المرة: "حتى لو اعتقدت أنها ستفقد كل شيء؟".

تابعت إليري: ربما توضح لي لماذا اهتمت بهذا الاتهام المزيف، والذي يربطك ببروك، أليس سبب؟ أو أي اتهام آخر قد تكون ألبستك إياه".

انخفض صوتي وبات أقرب إلى همس متوتر: "لكن إليري، ما الذي تتحدّثين عنه هنا بحق السماء؟ هذه القصة غريبة جداً، والأسوأ من ذلك أنه يمكنني مشاركتك ما تبقى منها، فالفوضى التي أحدثتها تلك القصة، وزرع كل تلك الرسائل في جميع أنحاء المدينة، تصرّف متطرف، لكن يمكنني أن أتخيّل أن أي شخص قد يقوم بذلك تحت تأثير الضغط، أما جعل بروك تختفي فهي قصة أخرى".

"أنا أعلم ذلك، فكاترين إما تكون يائسة لدرجة أنها تفقد كل إحساسها وقدرتها على التمييز بين الصواب والخطأ، أو أنها مجرمة بدم بارد".

لقد عادت إلى الأريكة مرة أخرى لمتابعة النقاش، وأكملت كلامها قائلة: "لقد عشت معها بضعة أشهر، هل ترى إمكان تحقيق أي احتمال من هذين الاحتمالين؟".

"لا يمكن أن تعيش كاترين حياة ساحرة".

لكن حتى وأنا أقول ذلك، أعلم أنه ليس صحيحاً تماماً، فقد يتحدّث بيتر عن كاترين، لكن في الأشهر الأربعة التي عشت فيها بينهما، بالكاد سمعت أي حديث عن السيدة نيلسون الأولى، فكاترين لا تتحدّث مع والدتها فقط بل لا تتحدّث عنها على الإطلاق، وهي تكتفي بوالدها فقط، وهذه الصفة من الصفات القليلة التي نشترك فيها، وهي عادة سيئة لكن ربما لا تعني أن الروح ستظل مشوهة مدى الحياة.

صمّتُ وإليري لبضع دقائق، ونحن نشاهد المدفع المحسّن آلياً، وهو يسقط الخصم السابق، وهذا ما جعل هذه السلسلة مشهورة جداً. أعتقد أن الرجل العادي الذي يتعرّض للضرب باستمرار يمكن أن يصبح فجأة مميّزاً وقويّاً. في هوليوود لا يوجد مؤامرة مستحيلة، وربما قضت إليري الكثير من الوقت في هذا العالم، أو ربما لا أعرف أختي على الإطلاق.

أخيراً سألت: "إذا كان أي اتهام صحيحاً، فأنت تعتقد أني ستتخذ خطوة أخرى باتجاه التهديدات المجهولة، أليس كذلك؟ لقد توقفت عندما اختفت بروك، وإذا أرادت تشتيت انتباه الناس فقد حان الوقت الآن".

انطفأت شاشة التلفاز، بينما أحمد ذا ديفنדרز الأضواء في المبنى السكني، وقد حان موعد الحفل".

إيري ترمقني بنظرة حذرة وتقول: "كما تعلم، كنت أفكر في ذلك، لكنني لم أرغب في قول أي شيء، أشعر وكأنني قلت الكثير بالفعل".

اعترفت لها بذلك، وأجبتها قائلاً: "أنا لا أحبّ سماع ذلك، لكن الكثير من تصرفات كاترين في الآونة الأخيرة لم تكن منطقية، وربما يجب أن نولي المزيد من الاهتمام للأماكن التي تكون فيها، ومعرفة ما تنوي فعله".

رفعت حاجبيها وقالت: "هل تعتقد أننا يجب أن نذهب إلى الحفل؟".

ألقيت نظرة على الساعة المعلقة على الحائط، وقلت: "ربما، لقد بدأ منذ أقل من ساعة، ولا يزال هناك متسع من الوقت لاتخاذ قرار، إذا قررت أن نذهب".

إيري تشير إلى قميصها الأسود وبنطالها الجينز، وتقول: "أنا لا أردي ملابس مناسبة".

"هل لديك أي شيء في المنزل يمكن أن يكون مناسباً؟ يمكننا التوقف عند منزلك أولاً".

"لا شيء رسمي للغاية، ولكن أظن ذلك".

بدت غير متأكدة من كلامها، وأكملت قائلة: "هل أنت واثق؟ أشعر وكأنني ضغطت عليك كثيراً، ربما يجب أن تفكر لبعض الوقت".

ابتسمت ابتسامة خفيفة وقلت لها: "هل تحاولين التراجع عن الذهاب إلى الحفل؟".

"كلا، أنا فقط... أنا...".

لم أرها محتارة من قبل، قد تكون إيري عبارة عن حلقة من حلقات فورينسيك فايلز، ولكن لا يزال هناك شيء يتعلق بها لا يمكنني التوقف عن التفكير فيه، في الحقيقة لديها الكثير من الأشياء التي أعجز عن فهمها،

ولكن ليس ذلك فحسب، ففي وقت سابق اليوم، بدا وكأن الخروج من المنزل أمر غير منطقي، وكل ما أردته كان إبقاء رأسي مخفياً وتجنب التعليقات، أما ما عدا ذلك فأنا عالق هنا أشاهد فيلماً سيئاً يعود إلى تسعينيات القرن الماضي، وكان لديّ شيئاً أخجل منه، في حين أن كاترين التي كانت حزينة بشأن سيارتها، ترتدي فستاناً أحمر فاتحاً وتحضر إلى الحفلة.

لقد سئمت من مشاهدة حياتي تتحوّل إلى "ديكلان الجزء الثاني"، كما سئمت من عدم فعل أي شيء بينما يحاول أصدقائي اكتشاف كيفية إخراجي من المشاكل التي لا ينبغي أن أقحم نفسي فيها.

قلت: "حسناً، دعينا نذهب".

الفصل السابع والعشرون

إليري

السبت، 5 تشرين الأول

يمكن القول إن نانا غير مسرورة بذهابي إلى الحفل.

قالت وهي في الجانب الآخر من باب غرفة نومي المغلق، بينما كنتُ أرتدي ثوبي: "قلتِ إنك ستشاهدين فيلماً".

كان ثوبي أسود بلا أكمام، وتنورته واسعة وتنتهي فوق الركبة، فكانت ملابس عادية، لكنني وضعت قلادات طويلة لامعة، بالإضافة إلى الحذاء ذي الكعب العالي والوحيد الذي أملكه، مما جعل ملابسي تبدو رسمية نوعاً ما.

قلت لها: "لقد غيرنا رأينا".

قضيتُ بالفعل وقتاً أطول من اللازم، وأنا أعنتي بشعري قبل مغادرتي للقاء مالكولم، لكن المعركة ضد الشعر المجعد لا تنتهي بسهولة أبداً.

قالت نانا: "لا أحبّذ ذهابك إلى الحفل والمشاركة في هذه الرقصة يا إليري، ليس بعد كل ما حدث خلال الأسابيع القليلة الماضية".

أجبتها وأنا أنتعل حذائي: "لكنك سمحتِ لعزرا بالذهاب".

قالت: لم يُستهدف عزرا مثلك، كما أن إحدى الفتيات، والتي كانت شريكك في لجنة حفل العودة مفقودة الآن، وقد يكون الوضع خطيراً".

قلت لها: "لكن يا نانا، لم تعد هناك لجنة بعد الآن، الأمر برمته مجرد حفل جمع تبرّعات، وسيكون هناك أولاد ومعلمون في كل مكان، كما أن

بروك لم تختفِ وهي وسط حشد من هذا القبيل، بل عندما كانت في المنزل مع والديها".

مررتُ يدي عبر شعري، ووضعتُ المسكرة على رموشي، وأحمر الشفاه اللامع على شفتي. لقد انتهيت، وأنا ليس لديها ردّ جيد على كلامي، وعندما فتحتُ باب غرفتي، كانت تقف هناك وذراعاها مطويتان، وتعبس وهي تنظر إليّ من الأعلى إلى الأسفل.

سألتني: "منذ متى تضعين المكياج؟".

أجبتها: "إنها حفلة راقصة".

انتظرتها حتى تتعد عن طريقي، لكنها ظلّت جامدة أمامي.

ثم سألتني: "هل هذا موعد غرامي؟".

أشعر بخفقان قلبي عندما أتذكرّ تقبيل مالكولم على أريكته، لكنني نظرتُ إلى نانا وكأنها المرة الأولى التي أفكر فيها في سؤالها.

قلت لها: "ماذا؟ بالطبع لا، سنذهب بصفتنا صديقين، مثل ميا وعزرا، فقد شعرنا بالملل وقرّرنا أن نلتقي بهما، هذا كل ما في الأمر".

شعرتُ باحمرار وجنتي، وبدتُ نانا غير مقتنعة تماماً.

نظرنا إلى بعضنا بصمت لبضع ثوان حتى ابتعدت أخيراً عن الطريق، وقالت: "يمكنني أن أمنعك، على ما أعتقد، على الرغم من أن هذا لم ينجح مع والدتك، فكانت ستذهب من دون علمي، ولكنني أريدك أن تتّصلي عندما تصلين إلى هناك، كما أريدُ منك العودة إلى المنزل مباشرة بعد انتهاء الحفل برفقة شقيقك، إن ديزي كوون سترافقكما، فهي التي أوصلته وميا إلى الحفل، ويمكنها أن تقلك معهما إلى المنزل أيضاً".

قلت لها: "حسناً، نانا".

حاولتُ أن أبدو ممتنة، لأنني أعلم أن هذا ليس سهلاً عليها، بالإضافة إلى ذلك، إذا كان عليّ الغضب من أي شخص، فيجب أن أغضب من نفسي، لأنني بطريقة ما تمكّنتُ من تحويل قبليتي الأولى مع مالكولم إلى عملية مراقبة وتجسس، وربما أحتاج إلى وضع نظام مع عزرا، حتى يتمكن من إرسال رسالة نصية مضمونها "لا أحد يريد سماع نظريات القتل الخاصة بك في المرة القادمة، والتي تشعرني بالرغبة في إفساد ليلتي". تبعثُ نانا إلى

الطابق السفلي، حيث ينتظرني صديقي، والفائدة الوحيدة من ترك الأريكة، كانت أنني استطعتُ رؤية مالكولم في بذلة رسمية مرة أخرى.

قال: "مرحباً، سيدة كوركوران".

ثم اتسعت عيناه عندما لاحظني، وأكمل كلامه: "واو، تبدين رائعة".

قلت له: "شكراً، وأنت أيضاً"، على الرغم من أنني أخبرته بذلك بالفعل في منزله.

تبادلنا الابتسامات بما يوحي بأننا أكثر من مجرد صديقين.

تدخّلت نانا فجأة: "على إليري أن تعود عند الساعة العاشرة والنصف، وسترجع إلى المنزل برفقة عزرا".

أجاب مالكولم قبل أن أتمكّن من الرد: "لا مشكلة يا سيدة كوركوران، شكراً للسماح لها بمرافقتي".

لستُ واثقة، لكنني أعتقد أن نانا تلين قليلاً، فقد فتحت الباب لنا، وقالت: "استمتعا بوقتكما بأمان".

عبّرنا العشب باتجاه سيارة الفولفو، وفتح مالكولم الباب من أجلي، فنظرْتُ إليه وكنْتُ على وشك أن ألقى نكتة - شيء ما لتخفيف التوتر الذي سبّبته جدتي - لكن عينيّ جالّتا على شفّتيه ومنحدر رقبته حيث تلتقي بياقة قميصه البيضاء الهشة، فنسيْتُ ما أردتُ قوله.

لامستُ براجمه ذراعي، فشعرتُ بالقشعريرة.

قال: "هل تريدان الحصول على معطف؟ الجو بارد في الخارج".

أجبتُه: "لا، لا بأس".

حاولتُ إزاحة عينيّ بعيداً عن ياقة قميصه، فانكمشت على نفسي في المقعد، وابتعدنا عن تناول المواضيع الحساسة في أثناء القيادة، فتحدّثنا عن سلسلة كتب هزلية نحّبها على حد سواء وفيلم لم يشاهده أي منا، وكان موقف السيارات في المدرسة ممتلئاً، فاستغلّ مالكولم آخر مكان في أقصى الزاوية، وشعرتُ بالندم على الفور لعدم إحضاري معطفاً، ولكن ما إن بدأتُ أرتجف، حتى خلع مالكولم السترة التي كان يرتديها فوق البذلة الرسمية، ووضعها على كتفي، فكانت تفوح رائحة عطرة، هي مزيج لطيف

من الشامبو ومنظف الغسيل، وقد حاولتُ ألا أستنشق بشكل واضح في أثناء سيرنا على الأقدام باتجاه قاعة الاحتفال.

قال مالكولم وهو يفتح الأبواب الأمامية: "ها نحن ذا".

أخرجتُ هاتفي، واتصلتُ بنانا لأُعلمَها بأننا وصلنا بأمان، ثم أنهيتُ المكالمة ونحن نعبر الزاوية المؤدية إلى القاعة، وأول ما رأيته كان منضدة لونها أرجواني، وخلفها امرأة شقراء ترتدي ثوباً مزهراً.

"أوه لا".

تمتم مالكولم، وقد تجمّد في مكانه.

سألته وأنا أضع هاتفي في جيب ثوبي: "ما الخطب؟".

أزلتُ سترة مالكولم عن كتفيّ وأعدتها إليه، واستغرق مالكولم وقتاً في ارتدائها قبل أن يتحرّك من مكانه مرة أخرى.

قال: "هذه ليز مكنولتي، شقيقة كايل، إنها تكرهني، ويبدو أنها مرافقة في الحفل".

نظرتُ إليها، وقلت له: "تلك المرأة؟ التي انفصل عنها ديكلان من أجل لاسي؟ ظننتُ أنها في سن أخيك".

أجابني مالكولم: "وهي كذلك".

قلتُ: "إنها تبدو في الأربعين!".

كنتُ أهمس كلماتي همساً، لكنه طلب مني التزام الصمت عندما اقتربنا من الطاولة.

قال مالكولم: "مرحباً ليز".

تَظَرَّتُ المرأة إلى هاتفها، ثم رفعت رأسها ونظرت إلينا نظرة كراهية عميقة.

وقالت من دون أن تردّ التحية: "التذاكر لو سمحتما".

قال مالكولم: "ليس لدينا، هل يمكنني الحصول على اثنتين، من فضلك؟".

لمعت في عيني ليز علامات الانتصار، عندما أجابته: "نحن لا نبيعهما عند الباب".

توقف مالكولم مؤقتاً محاولاً الوصول إلى محفظته، وقال: "لكن هذا النظام جائر نوعاً ما".

أجابت ليز: "من المفترض أن تشتريها في وقت مبكر".

ثم سمعنا صوتاً عذباً وراءنا يقول: "مرحباً أيها الرفيقان".

استدرتُ لأرى ديزي تخرج من صالة الألعاب الرياضية، بدت جميلة بفستانها الأزرق الذي يناسبها، وقد انتعلت حذاءً عالي الكعب.

شعرتُ بالراحة لرؤية وجهها الودود، وقلت: "مرحباً، تبدين أنيقة".

قالت ديزي: "يجب أن نكون بأحسن مظهر من أجل أداء واجب المرافقة، أليس كذلك، ليز؟".

مسدت ليز الجزء الأمامي من فستانها الرقيق، فشعرتُ بنوع من التعاطف معها.

نظرت ديزي بعينيها إليّ وإلى مالكولم وقالت: "أنا مندهشة لرؤيتكما هنا، فقد قالت ميا إنكما لن تأتيا".

أجبتها: "لقد غيّرنا رأينا، ولكننا لم نكن نعلم أننا بحاجة إلى الحصول على التذكريتين في وقت مبكر".

ثم نظرتُ إلى ليز بابتسامة متملقة، بعد أن كانت عليّ وشك أن تتجادل معنا، إلا أن ديزي ربتت على ذراعها، وقالت: "أوه، أنا متأكدة من أنه لا بأس الآن بعد أن أصبح الحفل في منتصفه، أليس كذلك يا ليز؟".

لم تحصل على إجابة، ولكنها أضافت: "أنا واثقة من أن المدير سليت لا يريد إبعاد أي طالب عن الحفل، ليس في مثل هذه الليلة على الأقل، فعندما تحاول المدرسة جمع الناس معاً لا ينبغي استثناء أحد، كما أننا بحاجة إلى كل مبلغ يمكننا الحصول عليه من أجل صندوق المكافآت".

ثم ابتسمتُ ابتسامة النصر التي ربما كانت السبب في انتخابها عضواً في مجلس الطلاب طوال السنوات الأربع في مدرسة إيكو ريدج الثانوية، بينما استمرت ليز بالعبوس، ولكن بشكل أقل حدة، وأعتقد أن علاقة ديزي

السرية بديكلان لا تزال طي الكتمان، ولولا ذلك لكانت ليز أقل تجاوباً معها بكثير.

قلت لها: "نحن نقدّر ذلك حقاً".

بينما تصرّف مالكولم بحكمة فأبقى فمه مغلقاً.

مدّت ليز يدها بانزعاج، وقالت: "حسناً، خمسة دولارات عن كل واحد منكما".

أعطاها مالكولم أكثر من عشرة دولارات، ثم اصطحبتنا ديزي إلى صالة الألعاب الرياضية المليئة بالطلاب والمزيّنة بأشرطة ملونة أرجوانية وبالونات فضية.

سألني مالكولم وهو يرفع صوته لكي أستطيع سماعه وسط الموسيقى الصاخبة: "هل يجب أن نبحث عن ميا وعزرا؟".

أومأْتُ برأسي إليه إيجاباً، فتوجّه إلى وسط الغرفة مباشرة، لكن ديزي شدّت ذراعي قبل أن أتمكن من اللحاق به.

قالت: "هل أستطيع أن أسألك سؤالاً؟".

تردّدتُ في الإجابة وأنا أراقب مالكولم حتى اختفى وسط الحشد من دون أن يدرك أنني لست خلفه.

ثم أجبتها: "نعم بالتأكيد".

اقتربت ديزي مني حتى لا تضطرّ إلى الصراخ، وهمست إليّ: "كنتُ أفكر في كلامك بشأن رايان رودريغيز والسوار".

أومأْتُ إليها مشجّعة على البدء بالحديث، إذ لم تتح لنا فرصة كبيرة لمناقشة ذلك يوم الخميس، بعد أن عاد والدا ميا وديزي إلى المنزل، وقد أصابهما الذعر بعد رؤية إصابة ميا التي أخبرتهما بأنها تعثّرت وسقطت على الأرض، فارتطم رأسها بحافة الموقد.

أضافت ديزي: "هذا الأمر يقلقني، لماذا تظنّين أنه أعطاه للاسي؟ هل تعرفين شيئاً لا أعرفه؟".

صارحتها بأني لا أعرف شيئاً، وأنها مجرد شكوك تجول في خاطري، ولكنني لا أريد استعراض كل شكوكي الغامضة أمام ديزي، خاصة بعد ما قالت في ذلك اليوم حول وجود طبقة أخرى في البلدة تنظر إليك نظرة دونية كونك واحداً من عائلات الأقليات في المدينة.

أحياناً أنسى قلة التنوع في إيكو ريدج، ولكن عندما أنظر حولي في صالة الألعاب الرياضية المزدهمة، أتذكر ذلك، ثم أشعر بأن التكهّنات حول شخص اسمه رودريغيز ليست خاطئة، وعلى الرغم من أنني شطبت ديزي من قائمة المشتبه فيهم بعد التعرف إليها بشكل أفضل، إلا أنني لا أزال أعتقد أن ديكلان على رأس قائمة المشتبه فيهم، وقد لا يتحدث مالكولم عنه كثيراً، ولكنني متأكدة من أن ديزي ستتحدث عنه.

وبدلاً من كل ذلك قلتُ لها: "ربما أعطاه إياه لأنه مقرّب منها".

قالت ديزي: "لكن... ليس الأمر كما لو أنهما كانا صديقين".

قلت لها: "كان منهاراً للغاية عندما ماتت، أليس كذلك".

سألت ديزي في دهشة: "من قال لك ذلك؟".

أجبتها: "أمي".

لا تزال ديزي تبدو مرتبكة، لذا أضفت: "لقد رأته في الجنازة عندما أصيب بانهيار عصبي، فاضطروا إلى إخراجه من المكان".

هزّت ديزي رأسها وقالت بشكل حاسم: "رايان رودريغيز؟ هذا لم يحصل على الإطلاق".

قلت لها: "ربما لم تلاحظي ذلك؟".

أجابت: لا، كان عددنا في الصف قليل، وكنا جميعاً نجلس في اتجاه واحد في الكنيسة، وكنتُ سألاحظ ذلك لو حصل بالفعل".

ثم ظهرت على فم ديزي ابتسامة ودودة، وقالت: "ربما كانت والدتك تبالغ بعض الشيء، ولا بد من أن ذلك يعود إلى تأثير التمثيل في هوليوود، أليس كذلك؟".

صمتٌ للحظة وأنا أفكر في أن ردّ ديزي هو بالضبط ردّ نانا عندما ذكرت الموضوع أمامها قبل أسبوعين، فقالت إن ذلك لم يحصل، ثم ظننتُ

أن نانا كانت تنفي الموضوع من دون التأكيد من صحته، ولكن كان ذلك قبل أن أدرك تماماً مدى غرابة سادي عندما يتعلق الأمر بالحديث عن إيكو ريدج.

ثم قلتُ باستسلام: "نعم، أعتقد ذلك".

لا أعتقد أن ديزي لديها أي سبب لتكذب بشأن ما حصل في جنازة لاسي، لكن هل لدى سادي سبب ما؟

قالت ديزي عندما رأينا مالكولم يخرج من وسط حشد في الغرفة: "آسفة، يبدو أنني أبعدتك عن رفيقك، أليس كذلك؟ من الأفضل أن أذهب وأقوم بشيء مفيد، استمتعا بوقتكما".

قال مالكولم عندما اقترب مني: "ماذا حدث لك؟".

بدا أشعث أكثر مما كان عليه عندما غادر، وكأنه كان يحتفل بحماسة واندفاع، فكانت سترته غير مزرّرة، ولم تكن ربطة عنقه معقودة، كما كان شعره منفوشاً.

أجبت: "آسفة، أرادت ديزي أن تسألني بعض الأسئلة، هل وجدتهما؟".

قال: "لا، لقد اعترضتني فيف، وقد أضاعت كايل وهي ليست سعيدة بذلك، كما أنها غاضبة من ثيو لأنه أحضر معه قارورة كحول، جعلت كاترين تشمل قليلاً".

جالتُ عينا في الصالة الرياضية حتى رصدتُ فستاناً أحمر، ثم قلت: "بالحديث عنها، ها قد بانّت".

أومأْتُ برأسي إلى ساحة الرقص، فكانت كاترين وثيو يرقصان ببطء في وسط الساحة، وذراعاها تحيطان برقبتة وكأنها تحاول إنقاذ نفسها من الغرق.

أضفت قائلة: "ها هي ذا".

قال مالكولم: "نعم، ولكنها لا تبدو قاتلة، أليس كذلك؟".

شعرت بانقباض شيء ما في داخلي، ثم قلت: "تعتقد أنني مجنونة، أليس كذلك؟".

أجاب مالكولم بسرعة: "ماذا؟ لم أقصد ذلك، قصدتُ فقط أن أوضح لك أنّ ما ظنناه سيحدث لن يحدث في هذه اللحظة، لذا... ربما يمكننا الرقص؟ بما أننا هنا على كل حال".

تمدّدت معدتي مرة أخرى، ورفرفت بسعادة، وقلت له: "حسناً، علينا أن نخالط الجميع".

كانت ذراعاي تحيطان برقبتة، ويدها تلامسان خصري، وكنا في وضعية الرقص البطيء المحرّجة، ولكن بعد التمايل مع نغمات الموسيقى لعدة مرات، اقتربَ مني فجأة، فأصبحنا متلاصقين لبضع دقائق، وكنت أستمع بمدى صلابته، وأنا أستمع إلى نبضات قلبه المستقرة.

ثم همس في أذني وقال: "أيمكنني أن أسألك شيئاً؟".

رفعتُ رأسي، على أمل أن يسألني عما إذا كان في إمكانه تقبيلي مرة أخرى، وكدتُ أقول نعم بشكل استباقي قبل أن يضيف: "هل تخافين من المهرجين؟".

ماذا؟ لقد كان ذلك مخيباً للآمال، فتراجعتُ إلى الخلف، وحدّقتُ في عينيه اللتين تبدوان رماديتي اللون بدلاً من لونهما الأخضر وهما تحت الأضواء الخافتة.

قلت له: "ماذا؟".

سألني مجدداً وكأنها محادثة عادية: "هل تخافين من المهرجين؟".

قرّرت مجاراته، فأجبتة: "لا، ولا أفهم سبب رهاب المهرجين".

عندما هزرتُ رأسي، تناثرتُ خصلات من الشعر وحطّت على ملمّع الشفاه على شفّتي، الأمر الذي أكد لي مرة أخرى سبب نفوري من وضع المكياج، وقبل أن أتمكّن من إيجاد طريقة لإبعادها عن وجهي، قام مالكولم بذلك من أجلي، فوضع الخصلات خلف أذني، وترك يده تستقرّ لفترة وجيزة على رقبتني قبل أن تعود مجدداً إلى خصري، فشعرتُ بحرارة تجتاح داخلي، ربما ملمّع الشفاه لم يكن بهذا السوء.

قال مالكولم: "أشعر أن المهرجين لديهم سمعة سيئة من دون سبب، فهم يريدون تسليتنا فقط".

سألته: "هل أنت المتحدث الرسمي باسمهم؟".

ابتسم وهو يجيب: "لا، لكن هناك متحف للمهرجين في سولسبزي، حسناً، من المبالغة اعتباره متحفاً، فهو مجرد منزل لامرأة عجوز يغصُّ بأغراض المهرجين العتيقة، وهي تعطي من يقوم بزيارتها علبة كبيرة من الفوشار، كما أن لديها ستة كلاب تتجول وسط الأغراض العتيقة، وأحياناً تعرض الأفلام، ولكنها ليست دائماً عن المهرجين".

ضحكتُ وقلت له: "يبدو الأمر ممتعاً".

قال مالكولم: "إنه أمر غريب لكنني أحبه، إنه مسليٌّ ومثير للاهتمام نوعاً ما، طالما أنك لا تخافين من المهرجين، وكنت أفكر في أنك ربما ترغبين في الذهاب في وقت ما".

كان لديّ الكثير من الأسئلة، بدءاً من: أنا وحدي من ستصطحبها؟ أم أنك ستدعو أخي وميا أيضاً؟ وهل سيكون موعداً غرامياً أم أنه مجرد نشاط غريب تحبُّ القيام به وتريد أن يشاركك فيه أحد؟ وهل تشترط تبرئتك مئة بالمئة من أي جناية أولاً؟

لكنني اختصرت كل ذلك وقلت: "أودّ ذلك".

قال مالكولم مبتسماً: "حسناً، يبدو ذلك جيداً".

ثم فجأة ولأسباب لم أفهمها، تلاشى الإيقاع البطيء الذي كنا نرقص على أنغامه، وأصبح إيقاعاً سريعاً جعل خطوات الرقصات مضحكة للغاية.

كان الوضع مزربياً، وقد استمرّ على حاله حتى تجمّد مالكولم في مكانه، وقال: "هل تستطيعين رؤية كاترين؟".

تَظَرْتُ إلى وسط الصالة الرياضية حيث رأيتها آخر مرة، لكنها كانت قد اختفت.

أجبتة: "ثيو لا يزال هنا".

كان مظهره رهيباً وهو يحاول سكب محتويات القارورة في كوبه.

ثم أضفت: "لكنني لا أرى كاترين".

شققنا طريقنا بعيداً عن ساحة الرقص، فرأيتُ شخصين يحدّقان إلى مالكولم بعدائية، وقبل أن أفكر ملياً في الأمر، أمسكتُ بيده، وتوجّهنا نحو ميا وعزرا اللذين كانا ضمن مجموعة كبيرة يرقصان بحيوية، بينما كانت

ديزي تبدو مشغولة مع المرافقين الآخرين، ما جعلني أتساءل كيف كان حفل العودة بالنسبة إليها قبل خمس سنوات، وهي تشاهد الفتى الذي أحبته وصديقتها المقربة يُتوّجان ملكاً وملكة، سواء أكانت تشعر بالغيرة أو بعدم الاهتمام، ظناً منها أن دورها سيأتي قريباً. وتساءلت كيف كان الحال بالنسبة إلى سادي منذ أكثر من عشرين عاماً من دون أختها، وهي ترقص مع فتى لا بد أنها كانت تحبه قليلاً، وقد أمضت برفقته ليلة مثالية تركت في داخلها ذكرى قاسية.

قال مالكولم: "إنها ليست هنا".

ولكن بعد ذلك، رأيتُ وميض فستانها الأحمر الساطع من مكان لم أكن أتوقعه، كانت في زاوية الصالة الرياضية البعيدة عن الجميع، أمام مخرج بجوار المدرجات مغطى بالبالونات وأشرطة اللافتات التي تجعل الوصول إليه غير ممكن، ولكن كاترين خرجت من تحت المدرجات، ومن دون أن تتأكد من وجود مرافق في الأفق، دَفَعَتْ الباب وانطلقت إلى الخارج.

تبادلت ومالكولم النظرات، فالطريق المستقيم المؤدّي إلى الباب يغصّ بزملاء الدراسة والمرافقين الذين كانوا يرقصون، لذلك تجنّبناهم حتى وصلنا إلى الجانب الآخر، وانزلقنا من تحت المدرجات، وشققنا طريقنا انطلاقاً من بداية الجدار باتجاه الباب، فلم نرَ أحداً في طريقنا سوى حبيبين يتبادلان القبيل، وعندما وصلنا إلى الجانب الآخر، نظرنا حولنا بعناية قبل أن تتبع كاترين إلى الخارج، فكان الطقس بارداً وهادئاً، وقد اكتمل القمر وأضاء السماء فوقنا، ولكننا لم نستطع العثور على كاترين، لا في ملعب كرة القدم الذي يقع على يسارنا ولا أمام واجهة المبنى التي تقع على يميننا، فاتجهنا يميناً وعندما انعطفنا باتجاه الزاوية الأقرب إلى مدخل المدرسة، كانت كاترين مجمّدة بالقرب من لافتة ثانوية إيكو ريدج، وفي يدها حقيبة، فلم أستطع رؤية ما تقوم به جيداً، على الرغم من أنني كنت أتساءل عما يمكن أن تضعه في الحقيبة بخلاف المفاتيح وملمّع الشفاه، ولكنني أُخرجتُ هاتفي الخلوي وضبطته على حالة تسجيل الفيديو، لكن قبل أن تتمكن كاترين من إخراج أي شيء من الحقيبة، أوقعتها أرضاً ثم انحنيتُ وبدأت تتقيأ على العشب.

الفصل الثامن والعشرون

إليري

الأحد، 8 تشرين الأول

بدأت بلدة إيكو ريدج متعبة يوم الأحد بعد حفل العودة، وبدأ سكان البلدة كلهم يعانون من آثار احتساء الكحول. كانت الكنيسة فارغة بخلاف العادة، وبالكاد نرى أي شخص في أثناء القيام ببعض الأعمال التي كلفتنا نانا أن نقوم بها لمساعدتها، حتى ميلاني كيلدوف التي كانت تهزول عادة في أثناء قيامنا بالأعمال في الفناء، لم نرها عندما كنا نزيل الأعشاب.

سألني عزرا: "كيف انتهت الأمور مع مالكولم؟".

سحبْتُ نبتة الهندباء البرية وقطعْتُها عن طريق الخطأ بدلاً من اقتلاعها من الجذور.

أجبتُه: "لقد رأيت كل شيء".

انتهت الرقصة على الفور عند الساعة العاشرة مساءً بالأمس، وخرجنا جميعاً من القاعة مثل قطع الماشية المفروض عليها حظر تجوّل صارم، وبقيت نانا مستيقظة لوقت متأخر على غير العادة، وهي تحوم حول كلينا، إلى أن انتهى بي الأمر إلى إرسال رسالة نصية لعزرا أخبره فيها بتفاصيل ليلتي بدلاً من الحديث معه شخصياً.

قلت له: "اكتفينا بقول ليلة سعيدة لبعضنا".

قال عزرا: "نعم، لكن لا بد من أنكما وضعتما خطة للقاء جديد، أليس كذلك؟".

اقتلعت ما تبقي من الهدباء، وألقيتها في دلو بلاستيكي موضوع بيننا، ثم قلت: "أعتقد أننا سنذهب إلى متحف المهرجين".

قال عزرا: "ماذا؟".

أجبت: "متحف للمهرجين، إنه خارج السياق نوعاً ما، أليس كذلك؟ اعتقدتُ حقاً أن شيئاً آخر سيحدث الليلة الماضية، أقصد بشأن كاترين، ولكن كل ما حصلنا عليه هو القبض عليها وهي تقوم بفعل غاشم، وهو التقيؤ".

هزّ عزرا بكتفيه وقال: "لم تكن فكرة سيئة، لأن لها صلة بكل ما يحدث هنا، ولكن..". مَسَحَ جبينه، فلطخه بأثر خفيف من التراب، وأكمل قائلاً: "ولكن ربما ينبغي أن ندع الخبراء يتعاملون معها، سلمي الإيصال إلى الشرطة من دون إخبارهم كيف حصلتِ عليه، ويمكن لمالكولم أن يقول إنه وجده".

أجبت: "لكن هذا لن يكون منطقياً، السبب الوحيد الذي يجعل الإيصال ذا مغزى، هو أن بروك كانت تحاول استعادته".

قال عزرا: "هذا صحيح".

ارتفع صوت هدير محرّك بدأ يخفت تدريجياً، فاستدرتُ لأرى سيارة الشرطي رودريغيز، وهي تمرّ من أمام منزلنا، ثم تنعطف إلى منزله على بعد بضعة خطوات منا، فقلت لعزرا: "من المؤسف أن الشرطي المحلي لدينا مشير للشبهات".

سألني عزرا: "ألم تزيحيه عن القائمة بعد؟ لقد أخبرتك ديزي الليلة الماضية أن الشرطي رودريغيز لم يثر الجلبة في جنازة لاسي، كما قالت نانا الشيء نفسه، ولا أعرف لماذا قالت سادي إنها رأته منهاراً، إذا لم يكن الأمر صحيحاً، ولكن على الأقل، كل ما تظنّ أنها رأته قابل للتأويل. بخلاف ذلك، ماذا فعل الرجل؟ ربما يجب أن تعطيه فرصة.

أجبت: "ربما أنت على حق، هيا بنا".

نظر عزرا إليّ باستغراب وقال: "لم أقصد الآن".

قلت له: "لم لا؟ نانا كانت تطلب منا إحضار تلك الصناديق، أليس كذلك؟ حتى يتمكن من توضيب أغراض منزله قبل أن يبيعه؟ دعنا نفعل ذلك الآن، ربما يمكننا الحصول على بعض المعلومات المرتبطة بالتحقيق".

تركنا أدوات العمل في الفناء، واتَّجَّهنا إلى الداخل، كانت نانا تنفض الغبار في الطابق العلوي عندما جمعنا بضع عشرات من صناديق الكرتون المسطحة من القبو، فلم تعترض عندما أخبرناها بما نفعله. حمل عزرا القسم الأكبر من الصناديق بينما أمسكْتُ بالباقي، وتبعته إلى الخارج، وسرنا على الطريق الترابي الواسع المؤدِّي إلى منزل رودريغيز. كان منزله أصغر من باقي منازل الحي، وعلى النوافذ الأمامية أصص زهور زرقاء لامعة، ولكن كل ما في داخلها بدا وكأنه ذبل منذ شهور. فتح الشرطي رودريغيز الباب خلال ثوانٍ قليلة من ضغط عزرا على الجرس، ولم يكن يرتدي الزي الرسمي، بل قميصاً أزرق وبنطالاً رياضياً، كما بدا شعره بحاجة إلى تسريح.

قال وهو يفتح الباب على مصراعيه: "أوه، مرحباً، أخبرتني نورا بأنها سترسل هذه الصناديق إليّ، توقيتكما رائع لأنني أقوم بإخراج بعض الأشياء من غرفة الجلوس الآن".

لم يدعُنَّا إلى الدخول، لكنني دخلتُ الرواق على أي حال.

ثم سألتُه على أمل الاستمرار بالمحادثة: "هل ستنتقل قريباً؟".

الآن بعد أن أصبحت داخل منزل رودريغيز، شعرتُ بالفضول تجاهه أكثر من أي وقت مضى.

أخذَ الشرطي رودريغيز الصناديق منا، وأسندها إلى الحائط، وقال: "في النهاية سأنتقل، ولا سيما بعد رحيل والدي، فقد أصبح المنزل أكبر مما يحتاج إليه شخص واحد، لكنني لستُ على عجلة، لأنه يجب عليّ أن أجد مكاناً أذهب إليه أولاً، أتريدان شرباً أيها الرفيقان؟ ربّما بعض الماء؟".

أجاب عزرا: "هل لديك قهوة؟".

نظر الشرطي رودريغيز بارتباك وقال: "هل يُسمح لكما بشرب القهوة؟".

قال عزرا: "نحن أصغر منك بخمس سنوات فقط، كما أنها مجرد قهوة، فنحن لا نطلب منك أن تقدم لنا المخدرات".

ضحكْتُ وأنا أدرك أن عزرا يشعر بالراحة وهو يخاطب شرطياً، ولا سيما رودريغيز، ولكنه لا يتحدثُ إليه بهذا الأسلوب عادة، كما أنه لا يتحدثُ الشخصيات التي تنتمي إلى السلطة، حتى على سبيل المزاح.

ابتسم الشرطي رودريغيز بخجلٍ، وقال: "حسناً، لكن جدتكما صارمة نوعاً ما، على كل حال لقد أعددتُ بعضاً من القهوة للتو".

استدارَ وتبعناه إلى مطبخٍ يحتوي على أجهزة منزلية، وورق حائط مزهر قديم الطراز، سحب الشرطي رودريغيز أكواباً غير متطابقة من الخزانة، وبحث في الدرج عن الملاعق بينما اتكأُ على المنضدة.

قلْتُ وأنا أشعر بضيق في صدري: "كنا نتساءل، كيف يسير التحقيق بشأن بروك، هل من أخبار جديدة؟".

في بعض الأيام كما حصل بالأمس، كنتُ أنشغل بما يكفي لأنسى أن كل ساعة تمرّ قبل العثور على بروك تقلل من احتمال عودتها إلى المنزل بأمان.

قال الشرطي رودريغيز، وقد أصبحت نبرته أكثر جدية: "لا شيء يمكنني مشاركته، أنا أسف، أعلم أن الأمر صعب عليكما أيها الرفيقان، وبالأخص بعد رؤيتها قبل أن تختفي مباشرة".

بدا وكأنه يعني ما يقوله، وبينما كان يملأ الكوب بالقهوة قبل أن يسلمني إياه، تأملت سلوكه، فبدا لطيفاً للغاية، ويتصرّف بعفوية، ولا يمكن أن يظل على لائحة المشتبه فيهم، لدرجة أنني تمثيتُ لو أحضرتُ إيصال إصلاح السيارة معي، إلا أنني لا أزال لا أعرف الكثير عنه.

سأل عزرا: "كيف حال عائلتها؟".

كان هناك قطعة نقدية معدنية على الطاولة، بدأ عزرا بتدويرها.

أجاب رودريغيز: "تقريباً كما تتوقَّعان، إنهما قلقان جداً، لكنهما يقدران كل ما تقوم به المدينة من أجل بروك".

ثم توجّه نحو الثلاجة وفتحها، وبدأ بالتفتيش بين محتوياتها، وقال: "أتحبّان الحليب مع القهوة؟".

أجاب عزرا: "لا يهّم".

نظرْتُ إلى غرفة الجلوس المقابلة للمطبخ، حيث تتدلّى صورة ضخمة لثلاثة أطفال صغار فوق رفّ الموقد.

سألته: "هل هذا أنت عندما كنت صغيراً؟".

نظراً إلى أنه لم يكن لديّ سوى القليل جداً من الصور الخاصة بي، فإن الصور العائلية تلفتني بشكل كبير، وأنا أشعر دائماً بأن الصور تقول الكثير عن الأشخاص الظاهرين في تلك الصور، وهذا على الأرجح سبب نفور سادي منها، فهي لا تحبُّ أن تفصح عن مكنونات قلبها.

لا يزال الشرطي رودريغيز يفتّش في الثلاجة، وقد أولاني ظهره.

قال: "ماذا؟".

أجبت: "تلك الصورة فوق الموقد".

وضعتُ كوبي على المنضدة، وذهبتُ إلى غرفة الجلوس لإلقاء نظرة أقرب، الجزء العلوي من الرف مزدحم بمزيد من الصور، ولفت نظري إطار ثلاثي مع ما يشبه صور التخرج.

ناداني الشرطي رودريغيز بصوت عالٍ: "لا تنظري".

عندما استدرتُ رأيتَه يتعثّر يمشيته، فوقع نظري على صورة لعزرا، لحظة لا يمكن أن يكون ذلك صحيحاً، التصقت عيناى بصورة شاب يرتدي زياً عسكرياً، يتكئ على هليكوبتر، وهو يتسم أمام الكاميرا، كل شيء فيه من الشعر الداكن إلى العينين، فالخطوط الحادة في وجهه، وحتى الابتسامة غير المتوازنة قليلاً، تبدو تماماً مثلنا أو وأخي، فتنفست بعمق، بينما كانت تمسك يداي بالإطار لثوانٍ قبل أن يحاول الشرطي رودريغيز انتزاعها من يدي، فتعثرتُ إلى الخلف، وكلتا يديّ تمسكان بالصورة، وحالة من الذعر تملكني، فكانت الرؤية ضبابية، لكن لا يزال في إمكاني رؤية ذلك الوجه بوضوح بشكل تام في عقلي، قد يكون أخي يرتدي زي جندي في الهالوين، لكنه ليس كذلك.

سألته: "من هذا؟".

احمرّ وجه الشرطي رودريغيز، وبدا وكأنه يفصّل فعل أي شيء آخر غير الإجابة عن سؤالي، لكنه أجاب في النهاية، وقال: "إنه والدي، وقد التقطت الصورة له مباشرةً بعد أن شارك في عملية عاصفة الصحراء".

كان ردّي على شكل صرخة: "والدك؟".

وصلني صوت عزرا على بعد أميال: "إليري، ماذا يحصل؟".

قال الشرطي رودريغيز وهو يمرر أصابعه عبر شعره: "تَبَا، لم أرد أن تجري الأمور هكذا، كنت ذاهباً لأنني لا أعرف الحقيقة، ولأنني لا أدرك إلى من سألجأ، فكنت سأتحذّث إلى جدتكما أو إلى أي أحد آخر، إلا أنه لم يكن لديّ أي فكرة عما سأقوله، لذلك واصلت تأجيله و... لا أعرف حتى إن كانت حقيقة، أم ربما كانت مجرد صدفة".

نظرْتُ إلى عينيه وقد تحوّلت عيناى إلى أربطة مطاطية، فجلستُ على كرسي بذراعين، وما زلت ممسكة بإطار الصورة، وقلت: "ليست صدفة".

قال عزرا وقد بدا نافذ الصبر: "ما الذي تتحدّثان عنه؟".

الشرطي رودريغيز لا يشبه والده، ولو كان يشبهه، لذهلت كما ذهلت في المرة الأولى التي التقينا فيها، وفجأة أصبح كل شيء منطقياً، عندما أوقع كوب القهوة في مطبخ نانا، وتلغثم كلما رأنا.

لقد اعتبرتها قلة كفاءة في البداية، ثم ظننتها شعوراً بالذنب بشأن لاسي، ولم يخطر ببالي أبداً، ولو لمرة واحدة أن رايان رودريغيز بدا مرتباً طوال الوقت، لأنه كان يحاول تقبّل حقيقة أننا ربما نكون مرتبطين، فتفحّصت الصورة في يدي، فلم أبْذُ أبداً مثل سادي باستثناء الشعر والغمازتين، لكن تانك العينان شبه السوداوين والذقن الحادة والابتسامة العريضة، هذا ما أراه في المرأة كل يوم.

أطبق الشرطي رودريغيز يديه أمامه، وكأنه يستعدّ للصلاة ثم قال: "ربما يجب أن نحضر جدتك".

هزرتُ رأسي بالنفي، فلا أعرف الكثير في الوقت الحالي، لكنني أعلم أن وجود نانا لن يغيّر شيئاً باستثناء زيادة الارتباك والحيرة، وبدلاً من ذلك، أريْتُ عزرا الإطار، فشعرتُ وكأن السبعة عشر عاماً من حياتي تومض أمامي بينما يعبر أخي الغرفة، وكان رأسي يومض بالوتيرة نفسها، وأنا أحاول استنباط بعض الحقائق من الأجزاء التي تبدو الآن كذبة، فربّما التَقْتُ سادي بشخص ما يُدعى خورخي أو خوسيه في ملهى ليلي، وكانت تصدّق حقاً كل ما أخبرتنا به عن والدنا.

باستثناء أنني أتذكر تعبيرها عندما ذكرتُ اسم الشرطي رودريغيز للمرة الأولى، كيف عبّر وجهها عن شيء غير مريح وشبه ماكر، وعندما سألتها عن ذلك، أخبرتني بتلك القصة عن انهياره في جنازة لاسي، القصة التي بنيت نظرية إجرامية كاملة حولها حتى أخبرني شخصان أنها لم تحدث.

قال عزرا: "اللعة".

لم أستطع النظر إلى وجهه، لذلك نظرتُ إلى الشرطي رودريغيز بدلاً من ذلك، فكانت عضلات خدّه تتشنج.

قال: "أنا آسف"، كان يجب أن أفعل شيئاً حسناً، لا أعرف ما كان يجب فعله، ولأكون صادقاً، يمكننا... إجراء اختبار أو أي شيء آخر يشبه ذلك، للتأكد من صدق مشاعري، لا أظنّه كان يعلم، ربما أكون مخطئاً، لكنني أعتقد أنه كان سيقول شيئاً لو أنه...".

كان... إنه يستخدم الفعل الماضي، بما أن والده - أو بالأحرى والدنا - توفي منذ ثلاثة أشهر، الصدمة كبيرة، كانت الأصوات تطن حولي، وربما ينبغي لي الاستماع إليها لأنني متأكدة من أنها تقول شيئاً مهماً وذا مغزى، لكن لا يمكنني سماع الكلمات بوضوح، كل شيء بمثابة ضوضاء، وراحتا يديّ تتعرقان، وركبتي ترتجفان، وشعرْتُ بأن رثتيّ تقلصتا ولا يمكنهما استنشاق سوى كميات صغيرة من الهواء في كل مرة. كما أنني شعرْتُ بدوار شديد لدرجة أنني كنت أخشى أن أفقد الوعي في منتصف غرفة جلوس رودريغيز، وربما أسوأ شيء في كل هذا هو مدى حاجتي الشديدة إلى أُمي الآن.

الفصل التاسع والعشرون

مالكولم

الأحد، 6 تشرين الأول

إنه أحد الأحلام التي تجسّد الذكرى بالفعل، كنتُ وميا على الأريكة في غرفتها، وأعيننا ملتصقة بتلفازها ونحن نشاهد تغطية جنازة لاسي التي كانت في اليوم السابق، وقد حضرناها بالطبع، لكننا لم نتمكن من منع أنفسنا من إعادة إحيائها عبر مشاهدتها عبر شاشة التلفاز، بينما كانت ميلي دينغلاسا، خريجة ثانوية إيكو ريدج، والتي كانت تعمل في محطة إخبارية محلية إلى أن قرّر أحدهم أن يضعها أمام الكاميرا لتغطية هذه القصة، تقف الآن على درجات الكنيسة ممسكة بالميكروفون.

"بالأمس، اجتمعتُ هذه المدينة المنكوبة في نيو إنجلاند في جنازة لاسي كيلدوف، حداداً على فقدان هذه الشابة الواعدة، ولكن في خضم الحزن، تستمرّ الشكوك حول المقرّبين من هذه الضحية المراهقة بشكل أكبر".

تنتقل الكاميرا إلى مقطع فيديو يظهر فيه ديكلان وهو يغادر الكنيسة ببذلة ضيقة وشفيتين عابستين، وإذا كان يحاول أن يؤدّي دور الحبيب السابق سيئ السمعة والغاضب دوماً فإنه يقوم بعمل رائع.

مالتُ ميا إلى الأمام وهي تمسك وسادة قائلة: "هل تعتقد أن من فعل ذلك حضر الجنازة أمس؟".

ثم أضافت: "لا أقصد أيّاً من أصدقائها، بل أتساءل فقط إذا كان شخصاً نعرفه وكان هناك في وسط الحشد".

أجبتها: "لا أظنّ أن الفاعل سيحضر الجنازة".

قالت: "أهذا ما تظنّه؟ يجب إخضاع الجميع لاختبار القاتل هناك".

قلت لها: "اختبار القاتل؟".

أجابت ميا: "سمعتُ عنه في المدرسة"، إنه لغز حول فتاة، تلتقي في جنازة والدتها رجلاً لا تعرفه، فتقع في حبّه وتدرّك أنه رجل أحلامها، وبعد أيام قليلة تقوم بقتل أختها، لماذا فعلت ذلك؟".

أجبتها بسخرية: "لا أحد يقوم بذلك".

قالت ميا: "إنه لغز وعليك الإجابة عنه، يقولون إن القتلة دائماً يعطون الإجابة نفسها".

قلت: "لأن...".

توقّفتُ قليلاً، محاولاً التفكير في أكثر إجابة غير منطقية، فأنا أشعر بالراحة وأنا فعل ذلك برفقة ميا بطريقة لا أشعر بها مع أي شخص آخر، إنها واحدة من الأشخاص الوحيدين في إيكو ريدج الذين لا يحدّقون بريبة إلى ديكلان أو يعتبرون أنني يجب أن أكون بذرة سيئة فقط لأنه أخي.

أكملتُ كلامي: "لأن الأخت كانت حبيبة الرجل وكانت تريده لنفسها؟".

أجابت ميا: "لا، لأنها اعتقدت أن الرجل قد يذهب إلى جنازة أختها أيضاً".

قلت لها: "لكن هذا غير منطقي إطلاقاً".

قالت ميا: "هل لديك طريقة أفضل لمعرفة القاتل ذي الدم البارد؟".

تفحّصتُ الحشد عبر الشاشة باحثاً عن إشارة واضحة إلى شخص ما قد يكون مشتبهاً فيه، أو إلى شيء غير منطقي أتربّصه بكل الوجوه الحزينة.

أجبتها: "الفاعل هو الشخص الأكثر تشويشاً في الصالة".

قالت ميا: "هذه هي المشكلة كما تعلم، أليس كذلك؟ إنه الشخص المشوّش لكنك لا تستطيع تمييزه".

استيقظتُ مذهولاً لدرجة أنني كدت أسقط من السرير، ونبضات قلبي تتسارع وفمي جاف، لم أفكر في ذلك اليوم منذ سنوات، عندما كنت

وميا نشاهد التغطية الإخبارية لجنازة لاسي، بينما كنتُ أختبئ في منزلها لأن منزلي كان يسيطر عليه التوتر والغضب، ولا أعرف لماذا أحلم به الآن، باستثناء كون كاترين إما يائسة لدرجة أنها فقدت كل الإحساس بالصواب أو الخطأ أو أنها مجرمة بدم بارد.

لا يمكنني إخراج كلمات إليري من رأسي، حتى بعد التأكد من أن كاترين لم تفعل شيئاً سوى البحث عن مكان هادئ للتقيؤ، مررتُ أصابع يدي عبر شعري المبلل بالعرق، وتقلبتُ على فراشي محاولاً العودة إلى النوم لكن بلا جدوى.

طلتُ عيناي مفتوحتين، وعندما تحققتُ من الوقت عبر هاتفي، كانت الساعة تجاوزت الثالثة صباحاً، ومن المدهش رؤية رسالة نصية من إليري أرسلتها منذ عشر دقائق.

"آسفة لم أرددُ عاجلاً، فقد طرأتُ بعض الأمور".

لقد استغرقتُ خمس عشرة ساعة للرد على رسالتي التي كان مضمونها أنني أمضيت وقتاً ممتعاً برفقتها في الحفل، الأمر الذي أقلقني لسبب ما.

شعرتُ بالقلق حيال ما حصل، وحقيقة أن إليري مستيقظة عند الثالثة بعد منتصف الليل، وكنتُ على وشك إرسال رسالة لها عندما جعلني صوت انبعث من خارج باب غرفتي أتوقف مؤقتاً، فكان صوت خطوات خافتة لدرجة أنها تكاد تكون غير مسموعة تقريباً، ولكن بعد محاولة الإنصات جيداً، سمعتُ وقع خطوات شخص ينزل إلى الطابق السفلي، ويفتح الباب الأمامي، فدفعتُ غطائي جانباً، ونهضت من السرير، وتوجهت نحو نافذتي، كان القمر ساطعاً بما يكفي لأتمكن من رؤية شخص يحمل حقيبة ظهر ويسير بسرعة في ممرٍ منزلنا، لم يكن بحجم بيتي، وخطواته الواثقة لا تشبه خطوات أُمي بتاتاً، ما يترك خياراً واحداً أمامي وهو كاترين.

"كاترين إما أن تكون يائسة لدرجة أنها فقدت كل الإحساس بالصواب أو الخطأ أو أنها مجرمة بدم بارد".

يا إلهي! كانت كلمات إليري تدور في رأسي، والآن بعد مشاهدة الشخص الموجود في الأسفل يختفي في الظلام، كل ما أمكنني التفكير فيه هو أنه من المتهور أن تتجول في إيكو ريدج عند الساعة الثالثة بعد منتصف الليل بينما لا تزال بروك مفقودة، إلا إن كنت تعلم أنه لا يوجد شيء تخاف منه، أو أنك من يجب أن يهابه الناس، فبحثتُ عن حذائي الرياضي، وأمسكت

به بإحدى يديّ، بينما كنت أمسك بهاتفني باليد الأخرى، وخرجتُ من باب غرفة نومي إلى الردهة المظلمة، وشققت طريقي إلى الطابق السفلي بصمت تامّ، على الرغم من أنه في ظلّ شخير بيتر لسْتُ بحاجة إلى الشعور بالقلق.

عندما وصلتُ إلى الردهة، انتعلت حذائي الرياضي، وفتحتُ الباب الأمامي ببطء، فلم أستطع رؤية كاترين في أي مكان، وكل ما سمعته هو صوت صراخ الليل وحفيف أوراق الأشجار، عندما وصلت إلى نهاية الممرّ تَظَرْتُ في كلا الاتجاهين، فلم أتمكن من رؤية أي شيء باستثناء هياكل الأشجار، لأن مصابيح الشارع لم تكن مضاءة على امتداد الطريق أمامي. فكان أمامي الطريق الذي يقود إلى المدرسة باتجاه اليسار والطريق الذي يقود إلى وسط المدينة باتجاه اليمين، وعلى ما أعتقد أنها تتوجّه إلى المدرسة، حيث كان حفل العودة الليلة الماضية، فتوجّهت يساراً وقيتُ إلى جانب الطريق، وعندما خرجت من شارعنا إلى شارع أكبر أكثر إضاءةً تمكّنتُ من رؤية كاترين أمامي على بعد عدة مبانٍ.

أمسكْتُ بهاتفني وأرسلتُ رسالة نصية إلى إليري: "أنا ألاحق كاترين".

لم أتوقّع رداً سريعاً منها، لكنها أجابَتْ خلال ثوان: "ماذا؟!".

"لماذا أنتِ مستيقظة؟".

"إنها قصة طويلة أرونها لك لاحقاً، ولكن لماذا تلاحق كاترين؟".

"لأنها غادرت المنزل عند الثالثة بعد منتصف الليل، وأريد أن أعرف السبب".

"سبب وجيه، وإلى أين تتوجّه؟".

"لا أدري، ربما إلى المدرسة".

يستغرق الوصول من منزلنا إلى ثانوية إيكو ريدج عشرين دقيقة سيراً على الأقدام، حتى وإن كانت الخطوات سريعة. ارتجّ هاتفني في يدي عدة مرات في أثناء ملاحظتي كاترين، ولكنني لم أتمكن من إبعاد عيني عنها تحت ضوء القمر الضبابي كي لا تتواري عن الأنظار. فما زلتُ أذكر حفل زفاف والدينا في الربيع الماضي، عندما ارتسمت ابتسامة باهتة على وجه أختي الجديدة، وقد ارتدت فستاناً أبيض قصيراً، وبينما كان بيتر وأمي يرقصان رقصتهما الأولى، أخذت كأسّي شمبانيا من النادل، وأعطتني كأساً،

ثم قالت قبل أن تبتلع نصف الكأس دفعة واحدة: "نحن عالقان مع بعضنا الآن، أليس كذلك يا مال؟ ومن الأفضل أن نتعوّد على ذلك، في صحتك". لقد أحببتها أكثر مما توقّعتُ في تلك الليلة، لذلك سأتضايق حقاً إن كانت إليري محقة في شكوكها.

توقّفتُ كاترين على بعد مئة قدم تقريباً من ثانوية إيكو ريدج أمام جدار حجري يفصل المدرسة عن الممتلكات المجاورة، وكانت أضواء الشارع أمام المدرسة تتوهّج باللون الأصفر، ما أتاح لي رؤيتها وهي تضع حقيبة الظهر على الأرض وتنحني إلى جانبها، فاخْتَبَأْتُ بين الشجيرات، وقلبي ينبض بسرعة كبيرة لا تبعث على الراحة.

وبينما كنتُ أنتظر أن تنهض كاترين مرة أخرى، تفقّدتُ النص الأخير الذي تلقّيته من إليري: "ما الذي تنوي كاترين فعله؟".

"أنا على وشك معرفة ذلك، انتظري قليلاً".

فتحت الكاميرا على وضع الفيديو، وبدأتُ بتكبيرها، ثم ثبتتها على كاترين وهي تسحب شيئاً مربعاً أبيض من حقيبة الظهر يشبه خريطة، ثم فتحتة واتّجهت نحو الجدار الحجري، فصورتها وهي تثبت طرفه بشرائط لاصق على أعلى الجدار، ثم كرّرت العملية نفسها حتى تم تثبيت أطرافه كلها، وقد طبعت اللافتة بحروف حمراء بشكل بارز:

يُعرَض الآن

مردرلاند، الجزء الثاني

أخبرتكم بذلك

فازدادَ خفقان قلبي، وكدتُ أسقط هاتفني من يدي. وبعد ذلك أعادت كاترين الشريط اللاصق إلى حقيبتها ثم أغلقتها، ووضعتها على كتفها، وسلكت الطريق التي قدمت منها، وكانت ترتدي سترة ذات قبعة رأس أخفت شعرها تحتها، وعندما أصبَحْتُ على مسافة بضعة أقدام، تمكّنتُ من أن ألمح وجهها بوضوح.

عندما تلاشى صوت حُطّائها، مضيتُ قدماً حتى أتمكّن من تصوير اللافتة عن قرب.

كانت خلفية اللوحة بيضاء والأحرف حمراء زاهية، لكن لا شيء آخر، لا دمي ولا صور ولا أي شيء من تلك الأشياء المخيفة التي تشبه أعمالها

السابقة.

أرسلتُ الفيديو إلى إيري وكتبت: "هذا ما تنوي فعله".

ثم انتظرتُ الردّ، ولكن ليس لوقت طويل.

وكان ردّ إيري: "يا إلهي!".

شَعَرْتُ بأصابعي مخدّرة، وأنا أكتب: "لقد كنتِ محقّة".

أجابتُ إيري: "علينا أن نرسل هذا الشريط إلى الشرطة، إلى جانب الإيصال أيضاً، والذي لم يكن علينا أن نتشبّث به لفترة طويلة".

بدأتُ معدتي تنقبض، يا إلهي! ما الذي ستظنّه أمي؟ هل سيشعر جزء منها بالارتياح، لأن ذلك يزيل الشبهات عني وعن ديكلان، أم أنه سيكون تأثير العرض القذر عليها هو نفسه، لكن عبر قناة مختلفة؟ وكيف سيكون رد فعل بيتر؟ لا يمكنني تخيّل رد فعله حيال تورّط كاترين في شيء كهذا، خاصة إذا كنت أنا من سيسلط الضوء على الأمر، لكن عليّ فعل ذلك، فهناك الكثير من الأدلة التي تشير إلى كاترين.

بدأتُ المشي وأنا أرسل الرسائل النصية في الوقت نفسه.

"سوف أتأكّد من أنها متوجّهة إلى المنزل لا إلى مكان آخر، هل يجب أن نبلغ الشرطة صباح الغد؟".

"أفضّل رؤية الشرطي رودريغيز أولاً، هل تريد أن تأتي إلى منزلي قرابة الساعة السادسة لنذهب معاً؟".

نظرتُ إلى الرسالة باستغراب، لأن إيري أمصّت أسابيع وهي تخبرنا أنا وعزرا وميا بأنها تعتبر الشرطي رودريغيز مثيراً للشبهات، والآن تريد أن نزوره في منزله عند بزوغ الفجر، لنسلمه أشياء ليس من المفترض أن تكون لدينا. ألقىت نظرة سريعة على الطريق، فلاحظتُ أنني اقتربت كثيراً من كاترين، وإذا واصلتُ المشي بهذه الوتيرة، فسأتخطأها، لذلك أبطأتُ خطواتي، ثم أرسلتُ رسالة إلى إيري: "لماذا رودريغيز؟".

استغرقتُ إيري بضع دقائق قبل الرد، فإما أنها تكتب رواية أو أنها تحاول التفكير في الكلام الذي ستكتبه، وعندما تلقيتُ رداً منها، لم يكن أيّاً مما توقّعتُه: "دعنا نقل فقط أنني مدينة له".

"أخبراني مجدداً كيف حصلتُما على هذا الإيصال؟".

قدّم لي الشرطي رودريغيز فنجاناً من القهوة في مطبخه، فكنتُ متعباً جداً لدرجة أن أشعة شمس الصباح التي كانت تتسلل إلى المنزل عبر النافذة لم تمنعني من أن أفكر في الاستلقاء على فراشي، وكل ما أردت فعله هو أن أضع رأسي على وسادتي، وأغمض عينيّ وأعط في نوم عميق. كنت قد تركتُ ملاحظة لأمي وبيتر لإخبارهما بأنني ذهبتُ إلى النادي الرياضي، وهو أمر قابل للتصديق بشكل أكبر مما أفعله حالياً.

أجابت إليري: "كان صندوق إعادة التدوير مفتوحاً".

قال رودريغيز: "أكان مفتوحاً حقاً؟".

كانت عينا الشرطي رودريغيز محاطة بهالات سوداء، ونظراً إلى ما أخبرتني به إليري عن صورة والده ونحن في طريقنا إليه، أشك في أنه تمكن من أن ينام الليلة الماضية أيضاً.

أجابت إليري: "أجل".

"وهل كان كل شيء في الداخل؟".

نظرت إليري إليه من دون أن ترمش عيناها، وقالت: "أجل".

قرّك وجهه بيده، وقال: "حسناً، ولكن بغضّ النظر عما إذا كان الصندوق مقفلاً أو غير مقفل، فإن محتوياته لم تكن ملكاً لك لأخذها".

قالت إليري: "لم أكن أعتقد أن الأشياء المهملة ملك لأي شخص".

اتكأ الشرطي رودريغيز على كرسيه ونظر إليها بصمت لبضع ثوان، هو وإليري لا يشبهان بعضهما كثيراً، ولكن بعد أن علمتُ أن هناك احتمال وجود قرابة بينهما، بدا أن هناك تشابهاً في فكيهما.

أخيراً قال: "سوف أعتبر ما أحضرتماه بلاغاً مجهول المصدر، وسوف أتابع وضع السيارة، وبالنظر إلى حالة بروك عندما كانت في مزرعة الرعب، فإنه موضوع مثير للاهتمام ويجب متابعته".

سألته إليري: "هل ستعتقل كاترين؟".

أجابها: "ليس بهذه السرعة، فلا يوجد دليل على أنها ارتكبت جريمة".

قالت إيري: "ماذا عن الفيديو؟".

أجاب: "إنه مثير للاهتمام بالتأكيد، لكنها لم تدمر الممتلكات، وربما تعدت على الممتلكات فقط، واستناداً إلى من تعود إليه ملكية الحائط يمكن اتخاذ الإجراء المناسب.

سألته: "ولكن ماذا عن المرات السابقة؟".

هزّ بكتفيه وقال: "لا نعرف إن كانت متورطة في باقي الأعمال، وكل ما نعرفه ما رأيته هذا الصباح".

أمسكْتُ بكوبي، فكانت القهوة باردة بالفعل، ولكنني شربتها على أي حال.

قلت: "حسناً كل ما قدّمناه إليك لا فائدة منه".

قال رودريغيز: "كل شيء يفيد عند اختفاء شخص ما، وكل ما أقوله إنه من السابق لأوانه استخلاص استنتاجات بناءً على ما قدمناه إليّ، فهذا عملي وليس عملكما، حسناً؟".

ثم مالَ إلى الأمام، ونقر ببراجمه على الطاولة، وقال: "أنصتا إليّ، أنا أقدر ثقتكما بي، أنا فعلاً أقدر ذلك، لكن عليكما الابتعاد عن هذه المسألة من الآن فصاعداً، ليس فقط من أجل سلامتكما، بل أيضاً لأنكما إن كنتما على مقربة من شخص أدّى دوراً في اختفاء بروك، فلا ينبغي إثارة انتباهه إلى معرفتكما ذلك، اتفقنا؟".

أومأنا إيجاباً.

قال: "سأحتاج إلى تأكيد شفهي".

قالت إيري بصوت خافت: "أنت بارع في ذلك أكثر مما توقّعت".

عبس الشرطي رودريغيز وقال: "ماذا؟".

رفعت إيري صوتها وقالت: "قلْتُ حسناً".

ثم نظر إليّ وقلت له: "نعم، حسناً".

نظر الشرطي رودريغيز إليّ إيري وقال: "رجاءً أبقى الأمر بيننا، أعلم أنك مقرّبة من أخيك، لكنني أفصّل ألا تتم مشاركة ما ناقشناه مع أي

شخص آخر".

أشكُّ في أنها تخطُّ لتلبية هذا الطلب، لكنها أومأَتْ إليه برأسها موافقة.

ألقي الشرطي رودريغيز نظرة على الساعة، فكانت السادسة والنصف تقريباً.

قال لها: "هل تعرف جدتك أنك هنا؟".

أجابت إليري: "لا، إنها لا تعرف شيئاً".

من الغريب أنه لم يَقم أي شخص في إيكو ريدج بالربط بين والده والتوأم من قبل، لكن السيد رودريغيز كان من أفراد العائلة المنعزلين والذين لم يخالطوا كثيراً الآخرين، وحتى لو رآه الناس، فلم يكن يشبه الصورة التي رأيتها على هاتف إليري، فقد كان يضع نظارة سميكة حسب ما أتذكر، وقد ازداد وزنه كثيراً وأصبح أصلع، ومن الأفضل أن يستمتع عزرا بشعره قدر ما يستطيع قبل أن يفقده.

قال الشرطي رودريغيز: "عليك الذهاب إلى المنزل، وإلا ستقلق جدتك إذا استيقظت ولم تجدك في فراشك، وأنت أيضاً، مالكولم".

قالت إليري: "حسناً".

لكنها لم تتحرّك، بل هزّت قدمها مرة أخرى، وقالت: "كنتُ أتساءل عن شيء ما، بخصوصك أنت ولاسي".

مال الشرطي رودريغيز برأسه، وقال: "ماذا عني وعن لاسي؟".

أجابت إليري: "سألتك مرة إذا كنتما صديقين، فلم تجبني".

قال بابتسامة ساخرة: "لم أجب؟ ربما لأن ذلك ليس من شأنك".

قالت إليري: "هل...".

وصمتت قليلاً، ثم أكملت كلامها قائلة: "هل أردت يوماً أن تصطحبها في موعد غرامي أو القيام بأي شيء آخر من هذا القبيل؟".

ضحك ضحكة مكبوتة، وأجاب: "بالتأكيد رغبت في ذلك، فحالي حال معظم الشباب في صفنا. كانت لاسي جميلة، ولكن ليس لذلك السبب

فقط، بل لأنها كانت تهتمّ بالآخرين، حتى لو لم يكونوا ذوي شعبية في المدرسة، فقد كانت تجعلهم يشعرون بأنهم مهمون، وما زال يمزّقني ما حدث لها، وأعتقد أنه كان جزءاً من رغبتني في أن أصبح شرطياً".

تَظَرَّتْ إليري إلى عينيه، وكأنها شعرت بالراحة لما رأته فيهما، وقالت: "هل ما زلت تحقّق في مقتلها؟".

أجابها الشرطي رودريغيز بينما كان هاتفه يرنّ: "توقّفني عن الحديث بالموضوع يا إليري، وعودي إلى المنزل".

ثم حدّق إلى شاشة هاتفه، فتغيّرت كل ملامح وجهه.

سألنا أنا وإليري في الوقت نفسه: "ما الخطب؟".

أخذ مفاتيحه عن المنضدة، وقال: "اذهبا إلى منزلكما وابقيا هناك".

لكن هذه المرة بدا وكأنه لا يمزح.

الفصل الثلاثون

إليري

الاثنين، 7 تشرين الأول

كنت جالسة على الدرجات الأمامية لمنزل نانا وهاتفني في يدي، بعد أن غادر مالكولم قبل بضع دقائق، واختفى الشرطي رودريغيز منذ فترة طويلة، أو ربما يجب أن أبدأ بمناداته رايان، فأنا لا أعرف البروتوكول الخاص بمخاطبة الناس الذين من الممكن أن يكونوا إخوة غير أشقاء، والذين كانوا مؤخرًا على القائمة الصغيرة للمشتبه بهم في قضية القتل التي لم تحل بعد. على أي حال كنت أفكر وحدي في أنه يبدو جلياً أن شيئاً ما قد حدث، لكن ليس لدي أي فكرة عما عساه يكون، وكل ما أعرفه أنني سئمت من الأكاذيب التي بدأت تتراكم فوق بعضها، فأخرجت الصورة التي التقطتها للسيد رودريغيز، وبدأت أدرس معالم وجهه المألوفة. عندما لاحظ عزرا تاريخ آب 2001 في الجدول الزمني الذي علّفته على الجدار، كنت أخشى أننا - ربما - كنا نواجه احتمال أن يكون فانس باكيت هو والدنا، ولم أتصوّر أبداً أن يكون السيد رودريغيز، ولا أستطيع مكالمة سادي الآن، فأنا لا أعرف من الذي كانت تستخدم هاتفه، وعلى أي حال، إنه منتصف الليل في كاليفورنيا، وبدلاً من ذلك أرسلت الصورة لها عبر الإيميل مرفقة برسالة مفادها: نحتاج إلى التحدّث بشأن تلك الصورة.

ربما ستقرأ بريدّها الإلكتروني عندما تستعير الهاتف من المُساعِدة مرة أخرى، وعندما تفقدُ الساعة كانت بالكاد السادسة والنصف، ولن تستيقظ نانا إلا بعد نصف ساعة تقريباً، كنت متوترة، ولا أشعر بالرغبة في الدخول إلى المنزل، لذلك توجّهتُ إلى الغابة الواقعة خلف المنزل بدلاً من ذلك، والآن بعد أن أصبحت أدرك تورّط كاترين في اختفاء بروك، لم أعد

خائفة من السير في الغابة بمفردي، فتبعْتُ المسار المألوف إلى مزرعة الرعب، محاولةً إفراغ ما في عقلي من الأفكار والاستمتاع بهواء الخريف المنعش. ثم خرجتُ من الغابة سبالكة الشارع الذي تقع فيه مزرعة الرعب، وتوقَّفتُ قليلاً، فلم ألاحظُ أبداً مدى الاختلاف الذي تبدو عليه الفوهة المفتوحة للمدخل عندما يكون المتنزه مغلقاً، ثم تنفست بعمق، وعبرْتُ الشارع المهجور وعيناوي على العجلة الدوارة الهامدة، وعندما وصلتُ إلى المدخل، وضعتُ يدي على الطلاء المرقط للفم الخشبي، محاولةً تخيّل ما كانت تشعر به لاسي عندما تسللت إلى المتنزه، وهو مغلق منذ خمس سنوات، أكانت متحمسة أم مستاءة أم خائفة؟ وبمن كانت تلتقي؟ بعد إزاحة ديزي ورايان عن قائمة المشتبه فيهم، يتركز الشك على من كان مشتبهاً فيه دائماً - ديكلان كيلبي- إلا إذا كنتُ قد فوّت أحدهم.

"هل لديك سبب وجيه لوجودك هنا؟".

أفزعني الصوت، فاستدرتُ لأرى رجلاً متقدماً في السنّ عن رايان يرتدي لباس شرطة موحد، وإحدى يديه على الراديو الذي على خصره، فاستغرق الأمر بضع ثوان قبل التعرف إليه، إنه الشرطي مكنولتي، الشخص الذي كان يستجوب مالكولم طوال الأسبوع، وهو والد ليز وكايل، ويبدو أنه وكايل متشابهان، فهما طويلتا القامة وعريضا المنكبين، وشعرهما فاتح، وفكاهما مربعان، وعيونهما متقاربة قليلاً من بعضها.

أجبتُه بصوت مرتعش: "كنت فقط... أتجوّل في الغابة".

لا أعرف لماذا ارتعبت فجأة من شرطي في منتصف العمر، ربما لأن هاتين العينين الزرقاوين المائلتين إلى الرمادي هما اللتان تذكّراني كثيراً بعيني ابنه الأحمق، فهناك شيء ما يثير الريبة في نظراتهما، بالإضافة إلى شدة كره كايل لمالكولم، وقد كان من حسن حظي أنني لم ألتقه في حفل العودة.

رمقني الشرطي مكنولتي بتمعّن، وقال: "لا نوصي بسير المراهقين وحدهم في البلدة الآن، هل تعرف جدتك أنك هنا؟".

أجبتُه نعم بينما كانت راحة يدي تتعرق، ثم أصدر جهاز الراديو الخاص به صوت خشخشة، وتذكرتُ كيف هرع رايان خارج منزله هذا الصباح.

أشرتُ بيدي نحو الراديو، وسألته: "هل هناك خطب ما.. بخصوص بروك أو..".

أجابني بخشونة: "عذراً؟".

قلتُ له: "آسفة".

بعد خمسة أسابيع من صبر رايان الطويل عليّ، نسيْتُ أن معظم رجال الشرطة ينزعجون من أسئلة المراهقين الكثيرة.

قلتُ له: "أنا قلقة فقط".

أجابني بحزم: "اقلقي في المنزل".

عدتُ إلى المنزل سالكة طريق الغابة، وأنا أفكّر في أن رايان يستحقّ التقدير حقاً من أجل كلّ ما تحمّله من أسئلتني، كما شعرتُ بالأسف لأن مالكولم كان مضطراً إلى الإجابة عن أسئلة الشرطي مكنولتي يوماً بعد يوم.

كانت رطوبة ندى الصباح الباكر تتسرّب عبر حذائي الرياضي، بينما تزداد الأوراق على الأرض سماكةً، ما زاد من انزعاجي من الشرطي مكنولتي، فلا عجب في أن ولديه حقودان إلى درجة كافية ليحملا الضغينة لمدة خمس سنوات بسبب انفصال ليز عن ديكلان، وعلى الرغم من أنني لا أعرف القصة بأكملها، فربما أساء ديكلان التعامل مع ليز، ولكن كان يجب ترك مالكولم خارج الموضوع، كما كان على كايل أن يكفّ عن مضايقته، ولكن من الواضح أنه ليس من النوع الذي يستطيع أن ينسى ما حصل في الماضي، وربما كان سيكره لاسي لو كانت على قيد الحياة، فقط لكونها الفتاة التي اختارها ديكلان بدلاً من أخته، كما سيكره بروك لانفصالها عنه.

توقّفتُ عندما أدركتُ الأمر فجأة، وبدأ الدم يتدفّق إلى رأسي بسرعة كبيرة لدرجة أنني أمسكتُ بغصن شجرة قريب للحفاظ على توازني، فلم يخطر ذلك في بالي حتى الآن، أن الشخص الوحيد في إيكو ريدج الذي يكنّ الضغينة لكل من الضحيتين وعلى الأرجح أنه متورط في وفاة لاسي واختفاء بروك، كان كايل مكنولتي، لكنّ ذلك غير منطقي نوعاً ما، فكايل كان في الثانية عشرة من عمره فقط عندما ماتت لاسي، ولديه حجة غياب ليلة اختفاء بروك، فقد كان خارج البلدة برفقة ليز، أخته التي هجرها ديكلان من أجل لاسي.

كانت دقات قلبي تتسارع، وشعرت بثقل يضغط على صدري عندما بدأتُ بربط الأحداث ببعضها، فلطالما اعتقدتُ أن لاسي ماتت بسبب غيرة شخص ما، لكنني لم أفكّر أبداً في أن هذا الشخص قد يكون ليز مكنولتي،

فقد انفصل ديكلان عن ليز ثم توفيت لاسي، وبعد خمس سنوات، انفصلت بروك عن كايل، وهي صديقة كاترين، و... يا إلهي! ماذا لو تعاونتا من أجل التخلص من مشكلة مشتركة؟

بالكاد أدركت أنني في الفناء الخلفي للمنزل عندما أخرجت هاتفي من جيبي وبدي ترتجف، فقد أعطاني رايان رقم هاتفه أمس، بعد اكتشاف قصة الصورة التي عثرت عليها في منزله، وعليّ الاتصال به الآن.

ثم لفتت انتباهي حركة من بعيد، فرأيت نانا تسرع نحوي، وهي ترتدي رداء الحمام.

"مرحباً، نانا..".

لكنها لم تدعني أكمل.

صَرَخْتُ في وجهي: "يا إلهي! ماذا تفعلين في الخارج؟ فلم تنامي في سريرك الليلة الماضية، ولم يكن لدى أخيك أي فكرة عن مكانك، وقد ظننت أنك اختفيت".

اختلف صوتها عندما نطقت بالكلمة الأخيرة، مما أشعرتني بوخزات الذنب في قلبي، فلم أفكر في أنها قد تستيقظ ولا تجدني في فراشي، ومدى تأثير ذلك بالنسبة إليها. كانت تتقدم نحوي بخطوات سريعة، ثم عاتقتني فجأة للمرة الأولى، عانقتني بإحكام شديد فشعرت بضلوعي تتحطم وقد ألمني ذلك.

قلتُ لها: "أنا آسفة".

ولم أعد أقدر على أن أتنفّس، وهي تحضني بين ذراعيها بقوة.

قالت: "ما الذي كنتِ تفكرين فيه؟ وكيف أمكنكِ فعل ذلك؟ كدت أن أتصل بالشرطة".

"نانا، لا أستطيع... إنكِ تسحقيني نوعاً ما".

ثم أفلتتني فجأة فكذتُ أتعثّر.

قالت: "إياكِ أن تفعلي ذلك مجدداً، كنتُ قلقة جداً عليكِ، خاصةً أن.. خاصةً الآن".

شعرْتُ بوخر في مؤخرة رقبتني، فسألتها: "لماذا الآن؟".

أجابت: "ادخلي، وسأخبرك بالأمر".

استدارت وانتظرت أن أتبعها، ولكنني بقيت ثابتة في مكاني، فللمرة الأولى منذ أن كنت في الخارج طوال الصباح، أدركت أن يدي كانتا مخدرتين بسبب شدة البرد، لذلك سحبت كمّي سترتي وغطيتهما، ثم لففت ذراعيّ حول جسدي.

وقلت لها: "أخبريني الآن، أرجوك".

كانت عينا نانا حمراوين عندما قالت: "هناك شائعة تفيد أن الشرطة عثرت على جثة في الغابة بالقرب من الحدود الكندية، ويُقال إنها جثة بروك".

الفصل الحادي والثلاثون

مالكولم

الاثنين، 7 تشرين الأول

يجب أن نذهب إلى المدرسة على الرغم من كل ما يحصل.

"لا يوجد ما يمكننا القيام به"، كانت العبارة التي استمرت أمني بتردادها صباح يوم الاثنين، وقد وَصَعَتْ وعاء ممتلئاً من حبوب الفطور أمامي على منضدة المطبخ، على الرغم من أنها تدرك أنني لا أتناول الحبوب أبداً.

قالت: "لم يتمّ تأكيد أي شيء بشأن بروك، وعلينا التفكير بإيجابية والتصرّف بشكل طبيعي".

كنتُ سأصدّق كلامها أكثر لو لم تصبّ القهوة على حبوب الفطور في أثناء قولها ذلك، حتى إنها لم تلاحظ ما فعلته، وعندما استدارتُ، أمسكتُ بوعاء الحليب، وأضفت بعضاً منه إلى الوجبة. إنه أسوأ ما تناولته على الإطلاق، بالإضافة إلى أنني عدتُ من منزل الشرطي رودريغيز منذ ساعة، ولم يتح لي أخذ قسط من الراحة، لذا يمكنني استخدام بعض الكافيين.

قالت كاترين بشكل قاطع: "أنا لن أذهب إلى المدرسة".

نظرت أمني إليها بتوتّر، وقد غادر بيتر إلى العمل، ولم تكن تحسن التصرّف مع كاترين.

فقالت لها: "لكن والدك سي...".

قالت كاترين بنبرتها المعتادة: "أبي سيتفهم، أبي سيتفهم".

إنها ترتدي السترة ذات القبعة والبنطال الرياضي اللذين ارتدتتهما الليلة الماضية، وكان شعرها مربوطاً إلى الورا على شكل ذيل حصان منخفض وغير مرتّب، وكان طبق من الفراولة أمامها، وقد واصلت تقطيعها قطعاً صغيرة من دون وضع أي قطعة منها في فمها.

أضافت: "على أي حال، أنا مريضة، وقد تقيأت هذا الصباح".

قالت أمي وكأنها اقتنعت بعذرها: "أوه حسناً إن كنتِ مريضة".

ثم اتجهت نحوي وقالت: "أما أنت، فعليك الذهاب".

أجبتها: "لا مانع لدي".

سأكون سعيداً في أي مكان لا توجد فيه كاترين، فلو لم تؤدِّ دور المريضة، لكنك فعلت ذلك، لأنه كان من المستحيل أن أجلس إلى جانبها في السيارة هذا الصباح، خصوصاً أنني بدأت أدرك شيئاً فشيئاً أنه لو اتضح أنها ارتكبت نصف الأشياء التي نعتقد أنها ارتكبتها، فمن المحتمل أنها دهست السيد بومان، وتركته يموت في الشارع، وهذه ليست سوى البداية.

أمسكتُ بملعقة الحبوب الخاصة بي بإحكام، بينما كنت أنظر إلى كاترين وهي تقطع الفراولة مرة ثانية بشكل احترافي، وكنتُ أحاول قدر الإمكان ألا أمدّ يدي فأحطم كل شيء حولها. كل هذا الانتظار كان أشبه بكابوس، خاصةً عندما تدرك أنك ستنفر من أي كلام قد يُقال.

قالت أمي: "سأستحم، فهل يحتاج أي منكما إلى أي شيء؟".

قلتُ لها: "أيمكنني استعارة سيارتك؟".

أجابت بابتسامة خفيفة، وهي في طريقها إلى الدرج: "نعم، بالطبع".

ثم غادرت المكان وتركتني برفقة كاترين وحدنا في المطبخ، لم يصدر صوت سوى طقطقة الملعقة في الصحن، ودقات ساعة الحائط، فلم أعد أتحمّل الموقف ولا حتى لخمس دقائق.

قلتُ لها: "سأرحل مبكراً".

ثم نهضتُ، وألقيتُ بحبوب الفطور الممزوجة بالقهوة في سلة القمامة، وعندما استدرتُ، كانت كاترين تحدّق إلى وجهي مباشرةً، وقد أذهلني التعبير البارد في عينيها.

قالت: "لماذا لا تذهب سيراً على الأقدام إلى المدرسة؟ فأنت تحبّ المشي، أليس كذلك؟".

تياً، إنها تعرف أنني كنت ألاحقها الليلة الماضية، فقد اقتربت منها كثيراً في طريق العودة إلى المنزل.

أجبتها بإيجاز: "من لا يحبّه؟".

أجّهتُ لإحضار مفاتيح أمي التي كانت على منضدة المطبخ، لكن قبل أن أتمكن من التقاطها، وضعت كاترين يدها عليها، ونظرت إليّ النظرة الباردة نفسها.

قالت: "أنت لست ذكياً كما تظنّ نفسك".

أجبتها: "وأنت لست مريضة".

سحبتُ المفاتيح من تحت يدها، والتقطت حقيبة الظهر عن الأرض، فلم أردّها أن ترى شدّة ارتباكي، لذلك نظرتُ بعيداً، على الرغم من رغبتني في النظر إليها لمرّة أخيرة لقراءة تعابير وجهها، ماذا تعرفين؟ وماذا فعلت؟

توجّهت إلى المدرسة وأنا مشوّش الذهن، وكان الوقت مبكراً جداً لدرجة أنني وجدتُ مكاناً مناسباً في ساحة وقوف السيارات، فأوقفتُ عمل المحرك، لكنني أبقيتُ الراديو قيد التشغيل محاولاً البحث عن محطة إخبارية. كانت محطة إن بي آر تتناول موضوعاً سياسياً، لذا أخرجتُ هاتفني وبحثتُ في موقع صحافة برلنغتون الحرة، فكانت تعرض إعلاناً في الجزء السفلي من قسم الأخبار المحلية، مفاده أن الشرطة تقوم بالتحقق من أشلاء بشرية عُثِرَ عليها في عقار مهجور في هانتسبيرغ.

أشلاء بشرية، للحظة شعرتُ بمعدتي تنقبض، وكنت متأكداً من أنني سأتقيأ كل حبوب الفطور المشبعة بالقهوة، والتي كنتُ غيباً بما يكفي لدرجة أنني تناولتها هذا الصباح، ولكن لم يحصل أي شيء من ذلك. استلقيتُ على مقعد السيارة وأغمضتُ عينيّ، أردتُ فقط أن أستريح لبضع دقائق، لكن قلة النوم أرهقتني، وكدتُ أن أغفو لو لم يفاجئني صوت طرق على نافذتي، نظرتُ خارجاً فكان كايل وثيو هناك، ولا يبدو أنهما على وشك توجيه تحذير ودي بشأن التأخر عن المدرسة، وكانت فيف تقف على بعد أمتار قليلة خلفهما، وعلى وجهها نظرة ترقّب متعجرفة، فكان في إمكاني القيادة بعيداً والهروب منهما، لكنني لا أريدهما أن يطارداني بشكل مستمر، لذلك خرجتُ من السيارة، وكنتُ على وشك أن أحذرهما من أنهما سيتأخران عن الصف،

ولكنني ما إن بدأت بالكلام حتى انهالت قبضة كاييل على معدتي، فوضعتُ يدي على بطني، ثم وَجَّهَ لكمة أخرى إلى فكي جعلتني أترجح على السيارة، وسال الدم من فمي، ثم تقدّم إلى الأمام، وأصبح وجهه على مقربة من وجهي.

وقال: "لن تنجو بفعاليتك".

ثم بصق وتراجع إلى الوراء لكي يوجّه إليّ لكمة أخرى، فتفاديتُها، وتمكّنتُ من توجيه ضربة إلى وجهه قبل أن يتدخّل ثيو ويضع ذراعي خلف ظهري، فديستُ على قدم ثيو، ولكنني لم أتمكن من إصابة الهدف لأنني لم أكن متوازناً، لذلك أحكم قبضته عليّ، والألم الحاد ينتشر في أضلاعي، كما شعرتُ بأن الجانب الأيسر من وجهي بأكمله كان مشتعلًا.

مَسَحَ كاييل قطرة من الدم على فمه، وقال بابتسامة مأكرة: "كان يجب أن أفعل ذلك منذ سنوات".

وسَحَبَ قبضته إلى الخلف ليوجّه إليّ لكمة قوية كان يمكن أن تحطّم وجهي، فصدّته قبضة أقوى، وأرجعتهُ إلى الخلف. لم يكن لديّ فكرة حول ما يحصل حتى تقدّم ديكلان إلى الأمام وهو ينظر إلى ثيو.

وقال بنبرة خافتة ولكنها حادة ومخيفة: "دعّه يذهب".

عندما لم يستجب ثيو، لوى ديكلان أحد ذراعيه بشدة لدرجة أنه صرّح من الألم، وتراجع ثم وضع يديه إلى الأعلى، بمجرد أن أفلتني، شاهدتُ كاييل ممدداً على الأرض على بعد بضعة أقدام، ساكناً تماماً.

سألته: "هل سينهض؟".

أجاب ديكلان: "في النهاية، نعم".

لم يتفقّد ثيو حال كاييل، بل ركّضَ سريعاً من أمامه متوجّهاً إلى المدخل الخلفي بينما لم أر أثراً لفيف.

قال ديكلان وهو يفتح باب السيارة: "يا لهما من جبانين، كانا اثنين ضدّ واحد، هيا، لنخرج من هنا، فلا فائدة من ذهابك إلى المدرسة اليوم، اركب، وأنا سأقود".

انزلتُ في المقعد الأمامي إلى جانب السائق، وأنا أشعر بالغثيان والدوار، فلم أتعرّض للكدمات منذ الصف التاسع، لكنها لا تُقارن بما تعرّضتُ

له الآن.

سألته: "لماذا أنت هنا؟".

شغل ديكلان محرك السيارة وأجاب: "كنت أنتظر".

قلت: "لماذا؟".

أجاب: "أتذكر يومي الأول في المدرسة بعد... انتشار أخبار كهذه".

قلت: "ماذا، هل كنت تعرف أن شيئاً كهذا سيحدث؟".

أجاب: "لقد حدث لي ذلك".

قلت له: "لم أكن أعرف".

لم أكن أعرف الكثير في ذلك الوقت، على ما أعتقد، كنت مشغولاً جداً بمحاولة التظاهر بعدم حدوث أي شيء، انطلقت السيارة، وبقينا صامتين لمدة دقيقة حتى اقتربنا من متجر في الزاوية، فانحرف ديكلان فجأة وركن السيارة في مرآب السيارات، وقال: "انتظرنى لحظة".

عاد بعد دقيقتين، وهو يحمل في يده شيئاً مربعاً أبيض، ورماه في حضني وهو يفتح الباب، قائلاً: "ضعه على وجهك".

إنه كيس بازلاء مجمّدة، فعلت ما طلبه، وكنتُ أئنُّ من الارتياح عندما كان يتسلل الشعور بالبرودة إلى بشرتي الملتهبة.

قلت: "شكراً على هذا.. وعلى إنقاذي أيضاً".

رأيتُه يهزُّ رأسه، من طرف عيني.

قال: "لا أصدق أنك خرجت من السيارة، يا لك من مبتدئ".

كنتُ سأضحك، لو لم يكن الألم قوياً، جلستُ ساكناً وكيس البازلاء على وجهي ونحن نغادر إيكو ريدج إلى سولزبري، سالكين المسار ذاته الذي سلكته إلى شقته الأسبوع الماضي.

قال ديكلان: "أنت شخص لعين للحاقك بديزي".

بدا وكأنه يفكر بجديّة في العودة بالسيارة، وترك في مرآب السيارات بين أيدي كايل وثيرو.

قلت له: "حاولت أن أستفسر منك عما كنت تفعله في البلدة، لكنك لم تجبني، متى انتقلت إلى هنا؟".

أجاب: "الشهر الماضي، كان يجب أن تكون ديزي بالقرب من والديها ومني، لذلك، ها أنا ذا".

قلت له: "كان بإمكانك أن تخبرني عنها".

أجاب: "أحقاً يا أخي الصغير؟ لم تطق صبراً حتى أخرج من إيكو ريدج، وآخر ما كنت تريد سماعه هو أنني أقيم بالقرب منك، أو أنني برفقة صديقة لاسي المقربة، أو على الأرجح ستقلق حول ما سيقوله أفراد عائلة نيلسون، أليس كذلك؟".

انزلق من فمي الكلام من دون أن أشعر: "أنا أكره عائلة نيلسون".

رَفَعَ ديكلان حاجبيه وهو يفتح بابه: "هل من متاعب في النعيم؟".

احترت قليلاً وأنا أحاول فهم ما شرحه للتو، لكن معدتي ألمتني، وما إن خرجت من السيارة حتى انحنيت وبدأت أتقيأ فطوري على الأرض، الحمد لله لقد تمّ الأمر بسرعة، لأن الحركة تجعلني أشعر وكأن أحدهم حطم أضلاعي للتو، فتجمعت الدموع في عيني، وأنا أمسك بجانب السيارة لأتكئ عليه وأنا ألهث.

قال ديكلان: "رد فعل متأخر، لكن هذا قد يحصل في بعض الأحيان".

تَرَكَنِي أعرج إلى الشقة بمفردي، ثم فتح الباب، وأشار نحو الأريكة.

قال: "استلق هناك بينما أجد كيس ثلج من أجل يديك".

كانت شقة ديكلان متواضعة للغاية، وخالية تماماً من الأثاث باستثناء أريكة وكريسيين بذراعين وتلفاز عملاق ومجموعة من صناديق الحليب على شكل أرفف، لكن الأريكة بدت مريحة، فجلستُ عليها بينما كان ديكلان يبحث في البراد، شعرتُ بقطعة صلبة تنخر ظهري، كانت جهاز التحكم عن بعد، فوجهته نحو التلفاز وضغطتُ على زر التشغيل، وكنتُ أقلب بلا تفكير بين القنوات حتى لفتتُ انتباهي كلمة هانتسبيرغ، فتوقفتُ عن التقلب

وشاهدتُ رجلاً يرتدي زي الشرطة واقفاً أمام المنبر، وهو يقول: "لقد تمكّنا من تأكيد هوية الشخص".

كان حلقي جافاً، وجسمي يؤلمني، وصوتي يخنق، لكنني ناديت ديكلان، وعندما لم يجب، رفعتُ صوتي وناديته مجدداً.

فأطل برأسه من باب المطبخ، وقال: "ماذا هناك؟ لا أستطيع إيجاد ال..".

صمت عند رؤية وجهي، ودخل إلى غرفة الجلوس في الوقت الذي كان الشرطي يأخذ نفساً عميقاً، قبل أن يقول: "الجثة تعود إلى شابة اختفت من إيكو ريدج منذ يوم السبت الماضي، وهي بروك بينيت البالغة من العمر سبعة عشر عاماً، ويودّ مركز شرطة هانتسيبرغ أن يتقدّم بالتعازي إلى عائلة السيد بينيت وأصدقائه، وتأكيد دعمنا لمركز شرطة إيكو ريدج، وفي الوقت الحالي، لا يزال التحقيق في سبب الوفاة جارياً، ولم يتمّ الكشف عن مزيد من التفاصيل".

الفصل الثاني والثلاثون

إليري

الاثنين، 7 تشرين الأول

كنت أعرف ما سيحصل، فقد قرأته في عدد لا يحصى من الكتب، وشاهدته عشرات المرات عبر شاشات التلفاز، وطوال الأسبوع الماضي فكّرت في الأمر، وكنّث أدرك أنه سينتهي إلى هذه النتيجة. بعد ظهر يوم الاثنين لم أكن وحدي في المنزل، بل كان عزرا ومالكولم في غرفة الجلوس إلى جانبي، بعد مرور ست ساعات من عثور شرطة هانتسبيرغ على بروك، ولم يذهب أي منا إلى المدرسة اليوم، على الرغم من أن يوم مالكولم كان مليئاً بالأحداث أكثر من يومنا، فقد ظهر قبل ساعة مصاباً بكدمات على وجهه نتيجة الضربات التي تلقّاها، وكانت نانا تعطيه أكياس ثلج كل خمس عشرة دقيقة، وكنا جالسين على الأثاث غير المريح نشاهد تغطية الأخبار التي كانت ميلي دينغلاسا تنقلها، وكان شعرها الداكن يغطي وجهها بينما تتمايل الأغصان خلفها كلما هبت الريح، فتحدّثت من دون توقّف منذ أن شغلنا التلفاز، ولكنني استوعبتُ بضع عبارات فقط، وهي "ميتة منذ أكثر من أسبوع... من الممكن أن تكون جريمة قتل ولكن لم يتمّ تأكيد الأمر... تمّ العثور على رسالة ساخرة أخرى هذا الصباح بالقرب من ثانوية إيكو ريدج...".

قال عزرا: "يا له من توقيت رائع يا كاترين!".

كان مالكولم جالساً بجواري على الأريكة، وأحد فكيه مصاب بكدمات وهو متورّم، وبراجم يده اليمنى مكشوفة، وظلّ يئنّ في كل مرة تحرّك فيها.

قال بصوت منخفض غاضب: "على أحدهم أن يدفع الثمن هذه المرة".

كانت يده اليمنى على الأريكة بينما، فأمسكتُ بها محاولةً تجنّب الجروح، فبدت بشرته دافئة، وأمسكُ بدوره بيدي من دون تردّد، فشعرتُ بتحسّن لبضع ثوان، حتّى تذكّرتُ أن بروك عثر عليها ميتة وعاد كل شيء يبدو فطيعاً، ففي كل مره أغمض فيها عيني، أراها تعمل في ميدان الرماية في مزرعة الرعب، وهي تحاول الوقوف في وجه فانس، أو أراها تتجوّل في أروقة المدرسة وهي تبدو حزينة وقلقة، أو تتمايل وهي في طريقها إلى الخروج من مكتب مزرعة الرعب في الليلة التي اختفت فيها. كان يجب أن أجبرها على أن تخبرني بما ألمّ بها من سوء، لربما كانت سنحت لي الفرصة بتغيير مسار تلك الليلة، ولكنني فشلت في ذلك.

عندما رنّ هاتفي وتلقيت المكالمة من رقم كاليفورنيا المألوف، لم أرد الإجابة عليه، لكنني رضخت في النهاية، لمّ لا؟ فلا يمكن للأمور أن تسوء أكثر من ذلك.

قلت بيروود: "مرحباً سادي".

"أوه إليري، لقد سمعت نشرة الأخبار، وأشعر بالأسف الشديد من أجل صديقتك".

ثم أضافت بصوت مرتجف: "لقد اطلعت على البريد الإلكتروني الذي أرسلته، ولم أكن أتوقّع ما كنت أنظر إليه حتى قمت بتكبير الصورة على الزي الرسمي ورأيت... اسمه".

قلت لها: "هل ظننت أنه عزرا في البداية؟ لأن هذا ما ظننته أنا من دون شك".

كنتُ مندهشة من قدرتي على الغضب على والدتي، بالرغم من الألم الشديد الذي أشعر به نتيجة موت بروك.

"كيف أمكنك عدم إخبارنا؟ كيف أمكنك أن تدعينا نعيش كذبة لمدة سبعة عشر عاماً معتقدين أن والدنا كان خوسيه الممثل البديل؟".

لم أكترثُ لإبقاء صوتي منخفضاً لأن كل من في الغرفة كان يعرف ما الذي يجري.

أجابت سادي: "لم يكن كل ما قلته كذباً، فلم أكن متأكدة يا إليري، لقد حصل شيء بيني وبين الممثل البديل ثم... حصل الأمر نفسه بيني وبين غابرييل رودريغيز بعد فترة وجيزة، فالعلاقة برجل متزوج كانت خطأ فادحاً ما كان يجب أن أرتكبه".

قلت لها: "وهو أيضاً ما كان عليه فعل ذلك".

لم أكن أشعر بأي تعاطف مع الرجل الذي يظهر في تلك الصورة، كما لم أشعر بأنه أبي، أو بأنه تربطني به أي صلة على الإطلاق، بالإضافة إلى أن الحفاظ على نذور الزواج كان من واجبه.

سألته: "لماذا فعلت ذلك؟".

أجابت: "كان تفكيري مشوّشاً، فوالدي كان قد مات، وذكريات سارة رافقتني في كل مكان، وأنا.. اتخذت قراراً خاطئاً، ثم تناسب توقيت حملي بشكل أدق مع.. الشخص الآخر، وأردت ذلك أن يكون صحيحاً.. وهكذا أقنعت نفسي بهذه الفكرة".

سألته: "ماذا تقولين؟".

نظرتُ إلى عزرا الذي لم تبدُ عليه أي إشارات إلى أنه كانت يستمع إلى حديثنا.

"كيف أقنعت نفسك بذلك بينما.. ما كان اسمه مجدداً؟ غابرييل.. يبدو غابرييل مثل عزرا تماماً؟".

أجابت سادي: "لم أتذكر كيف كان يبدو شكله".

أطلقت ضحكة قوية تدلّ على عدم تصديقها.

قالت: "لستُ أمزح، أخبرتك من قبل، لقد كنت أحتسي الكحول خلال الجنازة وبعدها".

أجبتها: "حسناً.. لكنك تذكرت أن ذلك كان محتملاً، أليس كذلك؟ لهذا السبب كنتِ تحاولين المراوغة في أول مرة ذكرت لك فيها اسم الشرطي رودريغيز".

قالت: "لقد.. أربكني الأمر".

قلت لها: "لذا كذبت للتستر على ذلك، واختلقتِ القصة المتعلقة بالشرطي رودريغيز في جنازة لاسي، مما جعلني أشكُّ فيه".

سألت سادي مستغربة: "لماذا يجعلك ذلك تشكِّين فيه؟ وبخصوص ماذا؟".

أجبتها: "هذه ليست القضية، المهم أنني شككتُ فيه، ولم أطلب منه المساعدة عندما كان في إمكاني الحصول عليها والآن بروك ميتة وربما..".

ثم توقفتُ وكأن كل الغضب استنزفته عندما تذكرتُ أنني لم أخبر أحداً بما وجدته في صندوق المهملات في مزرعة الرعب لأسبوع كامل، وأنتي كتمت أسراراً لم يكن يحقُّ لي أن أكتمها، كما فعلت أُمي تماماً.

قلت لها: "ربما جعلتُ الأمور أسوأ".

أجابتنني: "ما الذي جعلته أسوأ؟ إليري، أنا متأكدة من أنك لم تفعلي شيئاً خاطئاً، لا يمكنك أن تلومي نفسك على..".

فجأة نادتنني نانا: "إليري، الشرطي رودريغيز هنا، قال إنك اتصلتِ به؟".

ثم انتقلت عيناها إلى الهاتف الذي كنت أسنده إلى أذني، وسألتنني: "مع من تتكلمين؟".

أجبتها: "مجرد صديق من المدرسة".

قلت لسادي: "عليّ إنهاء المكالمة".

لكن قبل أن أتمكّن من ذلك، مدَّ عزرا يده، وقال بصوت يحمل الغضب نفسه الذي كنت أحمله: "دعيني أتحدّث إليها".

يتطلّب إغضابنا ارتكاب الآخرين أخطاء فادحة بحقنا، خاصة إن ارتكبتها سادي، فناولتُ عزرا الهاتف، وسرت أنا ومالكولم وراء نانا في الرواق، كان رايان يقف أمام الباب وقد بدا وجهه حزينا ومرهقا، ولا أعرف كيف ظننتُ يوماً أنه يبدو أصغر من عمره.

قال: "مرحباً أيها الرفيقان، كنتُ في طريقي إلى المنزل عندما تلقيتُ رسالتكما، ما الأمر الطارئ؟".

ثم لاحظاً فكّ مالكولم المتورّم، فائسَعَتْ عيناه دهشة، وقال له: "ماذا حدث لك؟".

أجاب مالكولم باختصار: "إنه كايل مكنولتي".

قال ريان: "هل تودّ توجيه التهمة إليه؟".

أجاب مالكولم بتجهم: "لا".

قلت له: "ربما يمكنك إقناعه بتغيير رأيه، في كل الأحوال أريد أن أخبرك بنظرتي بخصوص.. كايل، لهذا اتصلت بك".

لعتقتُ شفّتي محاولة ترتيب أفكارِي، ثم قلت: "صادفتُ الشرطي مكنولتي هذا الصباح و..".

قاطعني رايان عابساً: "وأين صادفتِ الشرطي مكنولتي؟".

أجبتُه باستخفاف: "هذا الجزء غير مهم".

لا أريده أن يلقي عليّ محاضرة لأنني لم أعد إلى المنزل عندما طلب مني ذلك.

أكملتُ كلامي قائلة: "لكن ذلك جعلني أفكّر في كايل، ومدى ارتباطه بكل ما يجري من أحداث، فعندما كنتما في الثانوية انفصل ديكلان عن أخته ليز، وذلك الحدث كان كبيراً، أليس كذلك؟".

أوماً رايان إليّ بحذرٍ، وكأن لا فكرة لديه عما أريد الوصول إليه، ولا يرغب في معرفة ذلك أيضاً، كما بدت على مالكولم علامات الدهشة، فلم أشاركه أياً من توقّعاتي حتى الآن، لأنني لم أكن متأكدة من امتلاكِي الطاقة لتكرار كلامي مرتين.

أكملتُ كلامي قائلة: "ثم ماتت لاسي وهرب ديكلان من المدينة، والآن وبعد خمس سنوات، انفصلت بروك عن كايل، ثم اختفت، وكايل وكاترين صديقان، ونحن نعلم بالفعل أن كاترين متورطة في نشر رسومات وتهديدات حول حفل العودة، لذا...".

ألقيتُ نظرة على رايان لأرى ردّ فعله وهو يتلقّى كلامي، فلم يبذُ منبهراً كما كنت أتمنّى.

قلت: "باختصار أظنّ أن ليز وكايل وكاترين اشتركوا في التخطيط لهذه الأحداث".

سألني رايان ساخرًا: "أهذه نظريتك الجديدة؟".

أجبت: "نعم".

قال: "ألا يعني لك أيّ شيء أن لدى ليز وكايل حجة غياب؟".

قلت له: "إنها حجة غياب متّفق عليها بينهما".

هذه الحقيقة تجعلني أشعر بأنني على وشك الوصول إلى الحقيقة.

قال لي: "وهل تظنّين بأننا صدّقناهما من دون دليل؟".

أجبت: "حسنًا.. لا، هل رآهما شخص آخر؟".

مرّر رايان أصابعه عبر شعره، وقال: "لا ينبغي أن أخبرك بذلك، لأنه ليس من شأنك، ولكن ربما إذا أخبرتك هذه المرة ستتوقّفين عن محاولة التّدخل في عملي، وتثقين بي لمرة واحدة فقط".

أخفض صوته، وقال: "رأتها عصابة من الإخوة، وقد التُقط لهما صور كما سُجّلت مقاطع فيديو يظهر عليها تاريخ التسجيل، وقد نُشِرت عبر مواقع التواصل الاجتماعي".

نظرتُ إليه وقد احمرّ خدائي، والخل ارتسم على وجهي، ثم تابعت كلامه قائلاً: "هل ستتوقّفين عن القيام بذلك الآن، من فضلك؟ أنا أقدر مجيئك إليّ هذا الصباح، لكن كما أخبرتك، في هذه المرحلة، من المحتمل أن تغيّر مجرى التحقيق إذا واصلت الحديث عن الموضوع".

ثم وضع يديه في جيبه، وقال لمالكولم: "في الواقع، إذا أمكنك البقاء لدى أصدقائك ليوم أو يومين يا مالكولم، افعل ذلك، لأنني أظنّ أنه يستحسن أن تطلّ بعيداً عن منزلك خلال هذين اليومين".

تصلّب وجه مالكولم، وقال: "لماذا؟ هل اكتشفت شيئاً ما يتعلّق بكاترين؟ هل كان الفيديو أو..".

قال: "أنا لا أتحدّث عن شيء ما بالتحديد، ولكن التوتر يتصاعد، ولا أريدك أن تقول لها شيئاً من الممكن أن يؤثّر على سير التحقيق".

قال مالكولم: "كيف يمكن أن يؤثّر ذلك؟".

قال: "إنه مجرد اقتراح، وأرجو أن تأخذه بعين الاعتبار، حسناً؟".

قال مالكولم: "هل هناك ما يُقلق بشأن كاترين؟ أيمن أن تقوم بشيء ما؟".

لم يُجب رايان، وهذا جعل مالكولم يستشيط غضباً.

قال: "هذا هراء، إنها تتجوّل في الأرجاء وكأن شيئاً لم يكن، ولديك دليل يُثبت أنها مشتبه فيها ولا تقوم بأي إجراء حيال ذلك".

أجاب رايان بنبرة حادة: "ليس لديك فكرة عما نفعله، أنا أطلب منك أن تتواري عن الأنظار، وهذا كل ما في الأمر، حسناً؟".

أومأنا إليه ثم قال: "كيف حال باقي الأمور يا إيري؟ أقصد علاقتك بوالدتك و..".

أجبتة: "الأمور فظيعة، ولكن من يكثرث؟ أليس كذلك؟".

تنهّد تنهيدة تدلّ على شعوره بالإرهاق، والذي أشعر به مثله تماماً، وقال: "هذا صحيح".

الفصل الثالث والثلاثون

مالكولم

الخميس، 10 تشرين الأول

اتضح أنني لم أكن بحاجة إلى مغادرة المنزل، لأن كاترين غادرت بالفعل، فقد جاءت عمّتها بعد يومين من العثور على جثة بروك، وقد أرادت اصطحابها إلى نيويورك، لكن شرطية إيكو ريدج طلبت منها عدم مغادرة الولاية، بينما لا يزال التحقيق معلقاً، لذا فهما يقيمان في فندق خمس نجوم في توينوتش، وقد أزعجني في كل مرة فكرت في أنه من بين جميع السيناريوهات المحتملة التي اعتقدت أنها قد تحدث بمجرد أن أقوم بتسليم مقطع الفيديو الخاص بكاترين، لم يكن من بينها أن تحصل على إجازة في منتجع سياحي للاستحمام.

قال ديكلان عندما أخبرته بذلك: "يا له من حرص شديد على إبقاء جميع المشتبه فيهم الرئيسيين في المنتجعات السياحية. قيل لنا جميعاً إنه علينا البقاء في إيكو ريدج عندما ماتت لاسي، ولكن النقود يمكنها أن تفعل كل شيء، على ما أظن".

كنت في شقة ديكلان، أتناول العشاء برفقة ديزي، وكان ذلك غريباً لعدة أسباب. أولاً، لأنني لم أر أخي يطبخ من قبل. ثانياً، لأنه بارع بشكل مدهش في ذلك. ثالثاً، لأنه لا يمكنني التعمّد على رؤيته برفقة ديزي، بينما تنتابني الرغبة في استبدالها بلاسي، كما أنه لم يكن يعرف بشأن إيصال إصلاح السيارة ولا الفيديو الذي سجّله لكاترين، لأنني أفي بوعدتي للشرطي رودريغيز بالبقاء صامتاً. فليس بالأمر الصعب إخفاء ذلك على ديكلان، وإن أصبحت علاقتنا أفضل من قبل، لأنه لا يزال يتكلم أكثر مما يصغي.

كنتُ أتآلم في مقعدي من الكدمات التي تركتها اللكمات على أضلاعي على الرغم من أنها ليست مكسورة.

قلت له: "لم يكن بيتر يريد أن تذهب، لكن عمّة كاترين أصرت على اصطحابها".

قالت ديزي: "الذهاب بعيداً ليس بفكرة سيئة".

بينما كنت أجلس إلى طاولة المطبخ، كانت ديزي وديكلان يغسلان الصحون، وكانت تستمرّ بالاقتراب منه شيئاً فشيئاً على الرغم من أن المساحة أمام المغسلة المزدوجة كانت كافية لشخصين أو أكثر.

أكملت كلامها قائلة: "إن الأيام الأولى بعد الحادثة مريعة للغاية، فكل ما يمكنك التفكير فيه هو ما في إمكانك القيام به بشكل مختلف، والانتقال إلى بيئة جديدة تجد فيها بعض وسائل الإلهاء".

تنهّدتُ ووضعت المنشفة التي كانت تحملها على كتفها، ثم اتكأت على ديكلان، وأكملت قائلة: "إنني أشفق على كاترين صراحة، فما أصابها يعيد إليّ ذكريات فظيعة ترتبط بموت لاسي".

قبّل ديكلان الجزء العلوي من رأسها، وفجأة رأيتهما يهمسان إلى بعضهما، ويتقاربان بشكل حميمي، فكان الوضع غير مريح، ناهيك عن التوقيت السيئ للمغازلة خاصةً بعد الحديث الذي كنا نتداوله. لكنني أدرك أنهما قاما بكبت حبهما الكبير والمحرم بالنسبة إلى الجميع لسنوات.

عندما رنّ جرس الباب، شعرتُ بالراحة، فنهضتُ بسرعة لأفتح لمن يقرع الباب، فكان الشرطي رودريغيز يقف على العتبة، وهو يرتدي زيّه الرسمي، فاندعش عندما رأيته.

"أوه، مرحباً مالكولم، لم أتوقّع رؤيتك هنا".

أجبتّه: "وأنا أيضاً، هل أنت..؟".

حاولتُ التفكير في سبب قدومه إلى هنا، لكنني لم أنجح.

سألته: "ما الخطب؟".

أجاب: "هل أخوك هنا؟".

قلت: "نعم، تفضّل بالدخول".

لم يعد ديكلان وديزي في وضع حميمي في الوقت الذي دخلنا فيه إلى المطبخ.

قال الشرطي رودريغيز وهو يطوي ذراعيه أمامه مثل الدرع الصلب: "مرحباً ديكلان".

أعرف هذه الوقفة، إنها الوقفة نفسها التي ألقفها أمام كايل مكنولتي، فلا أتذكر الكثير عن رايان في المدرسة الثانوية، لأنه لم يكن صديق ديكلان، لكنني أعرف التالي: إن لم تكن جزءاً من جماعة ديكلان، فمن المحتمل أنه كان يعاملك بفضاظة في وقت معين. ليس بالضرورة أن يصطدم بك أمام الخزانة، لكن على الأغلب يتصرّف وكأن وجودك يزعجه، أو يتظاهر بعدم ملاحظتك على الإطلاق.

أضاف الشرطي رودريغيز: "و... مرحباً ديزي".

اللعنة! ابتلعتُ لعابي وأنا أنظر إلى ديكلان، لقد نسيْتُ أنه من المفترض ألا يعرف أحد أنهما مرتبطان، فلم ينظر أخي إليّ، لكنني تمكّنتُ من رؤية عضلات فكّيه مشدودة، وهو يخطو قليلاً باتجاه ديزي.

قالت ديزي مدّعية البهجة القسريّة التي لاحظتُ أنها تتظاهر بها كلما شَعَرَتْ بالتوتر: "رايان، مرحباً، سعيدة لرؤيتك مجدداً".

أما ديكلان فقد بدأ بالموضوع مباشرة، وسأله: "ما الذي تفعله هنا؟".

قال الشرطي رودريغيز: "لدي بعض الأسئلة لك".

ساد السكون بعد أن صمت الجميع، لأننا سمعنا ذلك من قبل.

قال ديكلان: "بالتأكيد، تفضّل بالجلوس".

كنا جميعاً نقف في مطبخه الصغير الضيّق، فتردّد الشرطي رودريغيز قبل البدء بالحديث، وعيناه تحدّقان إليّ.

قال: "يمكنني... أتودّ أن نتكلم على انفراد في الخارج؟ لسْتُ متأكداً من رغبتك في أن يكون أخوك حاضراً".

وقد بدا متوتراً، وفجأة فهمتُ ما كانت تتحدّث عنه إليري.

أجاب ديكلان بإيجاز: "لا، كلُّ شيء على ما يرام".

هزَّ الشرطي رودريغيز كتفي، وجلس على أقرب كرسي منتظراً أن يجلس ديكلان مقابلاً له، وجلست ديزي بجانبه، وبما أنني لا أستطيع التفكير في شيء آخر أقوم به، جلستُ على الكرسي الأخير.

ما إن جلسنا جميعاً، حتى ركَّز الشرطي رودريغيز نظره على ديكلان، وقال: "هل يمكنك إخباري بمكان وجودك يوم السبت الماضي، الواقع في الثامن والعشرين من أيلول؟".

شعرتُ بالشعور نفسه يوم اختفاء بروك تقريباً، عندما أدركتُ أنه يجب أن أخبر الشرطي مكنولتي بأنني كنت آخر شخص رآها. لا، لا أصدق أن هذا يحصل من جديد، سحفاً.

لم يجب ديكلان على الفور، لذلك قال الشرطي رودريغيز موضحاً: "ليلة اختفاء بروك بينيت".

بدأ الذعر يشقُّ طريقه إلى صدري، عندما رَفَع ديكلان صوته: "هل تمازحني؟".

وضعتُ ديزي يدها على ذراعه، وقال رودريغيز بصوت معتدل وحازم: "لا، لستُ أمازحك".

"لماذا تريد أن تعرف أين كنت ليلة اختفاء الفتاة؟".

قال الشرطي رودريغيز: "هل ترفض الإجابة عن السؤال؟".

سأل ديكلان: "هل يجب عليّ ذلك؟".

قالت ديزي بسرعة: "لقد كان برفقتي".

نظرتُ إليها محاولاً قراءة ما إذا كانت تقول الحقيقة، فتحوَّل وجهها الجميل إلى خطوط وزوايا صلبة، ذلك يدلُّ على أنها قد تكذب، أو ربما هي خائفة فحسب، فارتسم تعبير غامض على وجه الشرطي رودريغيز، لكنه اختفى قبل أن أتمكن من اكتشافه.

قال: "حسناً، وهل لي أن أسأل أين كنتما؟".

أجاب ديكلان: "لا"، في الوقت الذي أجابت فيه ديزي: "كنا هنا".

ما زلت لا أستطيع معرفة ما إذا كانت تكذب، وقد استمرّ الوضع على هذا النحو لبضع دقائق، وكانت ديزي تبتسم وكأن أسنانها تؤلمها، كما أن رقبة ديكلان بدت حمراء اللون، بينما بدأت تظهر على وجه الشرطي رودريغيز تعابير الراحة تدريجياً.

سأله الشرطي رودريغيز: "حسناً، دعنا نتناول الموضوع بشكل آخر، هل زرت هانتسبيرغ من قبل؟".

بدت الدهشة على وجه ديزي بينما تصلّب ديكلان في مكانه: "هانتسبيرغ؟".

أجاب الشرطي رودريغيز: "نعم".

قال ديكلان: "لا".

قال الشرطي رودريغيز: "على الإطلاق؟".

أكّد ديكلان كلامه قائلاً: "على الإطلاق".

وضع الشرطي رودريغيز يده في جيبه، وأخرج كيساً بلاستيكيّاً مغلقاً، وقال: "حسناً، شيء آخر بعد، عُثِرَ على هذا في هانتسبيرغ، في المنطقة نفسها التي وجدت فيها جثة بروك، هل يبدو مألوفاً لك؟".

تجمّد الدم في عروقي، لأنه كان مألوفاً بالنسبة إليّ، فقد كان الخاتم كبيراً وزهيباً ومحفوراً عليه عبارة "ثانوية إيكو ريدج" حول حجر أرجواني مربع، الرقم 13 محفور على جانب، والأحرف الأولى "دال كاف" على الجانب الآخر، إنه خاتم تخرّج ديكلان، رغم أنه لم يضعه في إصبعه قط، فقد أعطاه للاسي في السنة الثالثة، وأبقتُه معلقاً في سلسلة حول رقبتها. ولم أره منذ سنوات، ولم يخطر ببالي أبداً أن أتساءل عن مكانه، وقد بدّأ وجه ديزي باهتاً، بينما دفع ديكلان الطاولة إلى الخلف ووجهه خالٍ من أي تعبير، وقال: "أعتقد أننا انتهينا من الحديث".

لم يكن الأمر كافياً لإلقاء القبض على ديكلان، على ما أعتقد، لأن الشرطي رودريغيز غادر المكان بعد أن امتنع ديكلان عن الإجابة على أسئلته، ثم تسمّرتُ وديكلان وديزي في مكاننا صامتين في المطبخ، فشعرتُ بأنها كانت أطول دقيقة في حياتي، بينما كانت أفكارِي مشوّشة، ولم أستطع النظر إلى أي منهما.

أخيراً، عندما تكلم ديكلان، كان صوته حاداً: "لم أر هذا الخاتم منذ وفاة لاسي، وقد تجادلنا بسببه، كما كنا نتشاجر طوال الأسبوع، وكل ما أردتُ فعله هو إنهاء الأمور بيننا لكن.. لم يكن لديّ الشجاعة لقول ذلك لها، لذا طلبتُ منها إعادة خاتمي فرَقَصَتْ ذلك، وكانت تلك آخر مرّة أرى فيها الخاتم، وأراها هي أيضاً، وليس لديّ أدنى فكرة كيف وصل إلى هانتسبيرغ".

كان كرسي ديزي مائلاً نحوه، ويدها ملتفة حول ذراعه.

قالت: "أعرف ذلك".

اللعنة، ما زلت لا أستطيع معرفة إذا كانت تكذب، كما لا أستطيع معرفة إذا كان أحدهما يكذب، فلم يرو ديكلان تلك القصة من قبل، وربما لم يتذكر الخاتم حتى الآن أيضاً، أو ربما لم يرغب في تذكّر كثرة الشجارات بينه وبين لاسي قبل وفاتها، أو ربما لم يحدث الأمر برمته. ولعدّة أسابيع كنتُ أدرك مدى جهلي بأخي، عندما كنت صغيراً جداً، كان بمثابة بطل خارق بالنسبة إليّ، وفي وقت لاحق، أصبح أشبه بالمتنمّر، وبعد وفاة لاسي، تحوّل إلى شيخ. لقد قدّم إليّ يد المساعدة عند اكتشاف جثة بروك، ولكنه قبل ذلك كان كل ما فعَلَهُ هو الكذب والتخفي، والآن لا يمكنني إغلاق تلك النافذة من عقلي، والتي تستمرّ بالتساؤل، ماذا لو..؟

"اللعنة عليك، يا مال".

صوت ديكلان المفاجئ جعلني أرتجف في مكاني، بينما كانت رقبتة لا تزال حمراء، ووجهه متجهماً.

"هل تعتقد أنني لا أستطيع معرفة ما يدور في رأسك الآن؟ الأمر واضح على وجهك، تظنّ أنني الفاعل، أليس كذلك؟ ولطالما ظننت ذلك".

حاولتُ النطق بالكلمات لكي أحتجّ على كلامه، لكنني عجزت عن التفوّه بكلمة.

فاستشاط غضباً، وقال: "اغرب عن وجهي، الآن، ارحل فوراً".

فعلتُ ما طلبه مني بالضبط، لأن ردّي على كلامه لن يُثبت ما قاله، كما أنه لن ينفيه أيضاً.

الفصل الرابع والثلاثون

إليري

الخميس، 10 تشرين الأول

"ولكن لا شيء من ذلك يبدو منطقيًا."

أنا في منزل مالكولم مساء الخميس، بعد أن أرسل لي رسالة نصية منذ نصف ساعة: "أحتاج إلى دماغك المولع بتحليل الجرائم"، وولست متأكدة من سبب ثقته بي بعد انهيار نظرية كايل وليز انهياراً كاملاً، لكن ها أنا ذا مستلقية على أريكته مثلما كنت ليلة حفل العودة تماماً، وكان فيلم ديفيندر معروضاً على الشاشة، لكن لا أحد منا يشاهده، ولا أعتقد أنني أساعده على أي حال، فلطالما كانت نظرية قتل ديكلان لالاسي منطقيّة بالنسبة إليّ، لكن أن يكون قاتل بروك، فلم يخطر ذلك الأمر في بالي أبداً.

سألته: "ما الصلة بين ديكلان وبروك؟"

أجاب مالكولم: "ليس هناك أي صلة بينهما على حدّ علمي، إلا أنه كان في المدينة ليلة اختفائها، ولو كانت الشرطة قد تفحصت هاتفه، لشاهدت رسالته".

أخرَجَ هاتفه وتقرَّرَ عليه، ثم عَرَضَ عليّ الرسالة: "أنا في البلدة لبضع ساعات، لا تهلع".

قرأتُ النص مرتين، وعندما نظرتُ إلى مالكولم، كانت ملامح وجهه تظهر شدة بؤسه.

قال بتردد: "ظننتُ.. ظننتُ أنني كنتُ أساعد ديكلان من خلال عدم إبلاغ الشرطة، كما ظننتُ أن توقيته كان سيئاً فقط، ولكن ماذا لو.. يا إلهي،

إليري!".

انزلق على الأريكة وفرك وجهه المغطى بالكدمات بيديه، وقال: "ماذا لو كان الأمر أكثر من ذلك؟".

نظرتُ إلى رسالة ديكلان مرة أخرى، وتساءلتُ عن سبب عدم اعتبارها مدعاة للقلق، على الرغم من أنني وضعتُه على رأس قائمة المشتبه فيهم لأسابيع، ولكن هذه الرسالة تثبت أنه كان في مسرح الجريمة.

قلتُ وأنا أعيد الهاتف إلى مالكولم: "حسناً ولكن.. كان ديكلان في مرحلة الانتقال في ذلك الوقت، أليس كذلك؟ أم أنه كان قد انتقل بالفعل؟ لذلك قد يكون لديه سبب وجيه تماماً لوجوده في هذا المكان، وإلا لماذا سيرسل لك هذه الرسالة إذا كان يخططُ لشيء ما؟ ألا تظنُّ أنه سيكون أكثر دهاءً من ذلك؟".

قال مالكولم: "ليس من شيم ديكلان التصرفُ بدهاء، لكنني أفهم ما تقصدينه، كما يجب أن أخبر والدتي بما يحدث، لكنها تتناول العشاء مع صديقة لها، وبالكاد فَعَلْتُ ذلك منذ أن تزوّجتُ من بيتر، وأشعُرُ أنني يجب أن أتركها تمضي بضع ساعات من الهدوء والسلام قبل أن تنهار الأمور مرة أخرى".

تذكّرتُ المرة الوحيدة التي تناولت خلالها طعام الغداء برفقة بروك في ثانوية إيكو ريدج، وقالت يومها إن مالكولم كان وسيماً، ولكن لا يمكن مقارنته بديكلان.

قلت له: "هل تظنُّ... أكان ديكلان وبروك يتواعدان سراً أو أي شيء من هذا القبيل؟".

أجابني: "ماذا؟ أتقصدان في الفترة التي كان يواعد ديزي سراً أيضاً؟".

قلت: "إنني أحاول اكتشاف كيفية وصول الخاتم إلى هناك، وهل يمكن أن يعطيه لبروك؟".

قال مالكولم: "ربما، ولكن ألا تظنّين أن أحدهم كان سيلاحظ أنه يتجوّل برفقة فتاة في المدرسة الثانوية؟ ولكن ربما لا، ما كان يجب أن يغادر ديكلان البلدة، على الرغم من أن.. لطالما كانت علاقتنا معقدة، ولسنا

مقرّبين، وفي بعض الأحيان كنت أشعر بالكراهية نحوه تقريباً، ولكنه ليس بقاتل متسلسل".

قلت له: "لو كان قاتلاً متسلسلاً، ولا أقول إنه كذلك، هل تظنّ أن ديزي لها دراية بالأمر؟".

أجابني: "هل تظنّين أنتِ ذلك؟".

كنتُ أفكّر في ديزي بأنها شريكة محتملة في الجريمة، حتى اليوم الذي صرّبتُ فيه عن طريق الخطأ رأس ميا بالشمعدان، وبعد ذلك باحت بأسرارها، فبدت حزينة وصادقة للغاية لدرجة أنني لم أعد أستطيع تخيلها مجرمة.

قلت: "لا أظنّ ذلك، أعني لماذا قد تتكبّد عناء البحث عن سوار لاسي إذا كانت شريكة ديكلان في الجريمة؟ وإذا كانت متورطة فإن آخر ما ستقوم به هو جعل الشرطة تحقّق في القضية مرة أخرى، وقد ساعدها ديكلان، أليس كذلك؟ على الرغم من... حسناً، أعتقد أنه ليس الشخص الذي أعطى السوار لالاسي، ألا تؤيّد تلك النظرية؟ هذا ما قالته ديزي، لذلك ربما كان يعتقد أن الأمر لا يهمّ".

فرك مالكولم صدغه، وتنهّد بعمق قائلاً: "أريد تصديقه.. أريد ذلك بشدة".

عليّ أن أعترف بذلك، وأنا أردتُ تصديقه أيضاً.

قلت: "يجب أن أخبرك... انظر، أعتقد أنك تعلم أنه لطالما كانت لديّ شكوك حول أخيك، ولكن وجود الخاتم في موقع ارتكاب جريمة القتل أمر مشبوه للغاية، أليس كذلك؟ ولا يتناسب مع رسائل كاترين المجهولة، أو ما نعتقد أنه قد حدث لبروك أو لسيارة كاترين".

قال مالكولم: "هنالك الكثير من أجزاء اللغز التي يجب تركيبها".

جلسنا بصمت لبضع دقائق نشاهد ذا ديفيندر حتى تفاجأ كلانا بقرع خفيف على إطار الباب، إنه بيتر نيلسون يمسك كوباً بيده مليئاً بالجة ومكعبات الثلج.

قال: "هل أنتما بخير؟ أحتاجان إلى أي شيء؟".

ظلّ مالكولم صامتاً، لذلك بادرت بالكلام: "لا، شكراً، نحن بخير".

لم يغادر السيد نيلسون على الفور، لذلك شَعَرْتُ بأن عليّ أن أتحدّث إليه أكثر، بالإضافة إلى أنه كان لديّ فضول حول كثير من الأمور، فسألته: "كيف حال كاترين، سيد نيلسون؟ إننا نفتقدها في المدرسة".

اتّكأ على الباب، وتنهدَ قائلاً: "آه، حسناً، إنها محطّمة بالطبع، ومن المفيد لها أن تقضي بعض الوقت برفقة عمّتها".

سألته: "أهي أختك؟".

أجاب: "نعم، تعيش إيلانور وزوجها في بروكلين، ونحن لا نراها كثيراً بقدر ما نرغب، لكن كاترين تمكنت من القيام برحلة لزيارتها الشهر الماضي".

قال مالكولم: "حقاً؟".

أجاب: "بالتأكيد، ذهبت كاترين إلى نيويورك وقامت بالتسوُّق قليلاً، وكان ذلك استنتاجي على أي حال، نسبةً إلى عدد الحقائب التي أحضرتها إلى المنزل".

قال مالكولم: "لا أتذكّر ذلك".

أجاب بيتر: "كنت أنت وأمك في إجازة، ولم يكن ذلك مرتقباً، فقد كان زوج إيلانور خارج المدينة من أجل إنجاز بعض الأعمال، لذا دَعَتْ إيلانور كاترين لقضاء عطلة نهاية الأسبوع عندها، على الرغم من أنها كادت ألا تصل إلى هناك، لأن تلك الليلة هبّت عاصفة تساقط خلالها البَرَد، هل تتذكّر؟ وقد أَجَلَّتْ الرحلة لساعات، وظلّت كاترين تراسلني من المطار للتعبير عن استيائها، إذ ليس لدى هذه الفتاة أي صبر".

كنتُ جالسة بالقرب من مالكولم لدرجة أن ذراعينا تلامستا، فتمكّنتُ من الشعور بالتوتر الذي إنتابنا كلينا، وكان جسدي مخدراً بالكامل، وبدأتُ نبضاتي تتسارع، لكنني تمكّنتُ من الكلام.

"أوه، هذا محبط للغاية، أنا مسرورة لأنها وصلت إلى هناك في النهاية".

ثم نظر السيد نيلسون إلى الشاشة، وقال: "هذا هو فيلم والدتك، أليس كذلك؟".

أجبت: "أجل، لكن لم يكن لديها سوى سطر واحد فقط".

لا أعرف كيف أنني لا أزال أتحدّث بشكل طبيعي، بينما كانت تتزاحم ملايين الأفكار في رأسي.

قال: "إنه سطر واحد، لكنه على الأقل لا يُنسى، حسناً، لن أعطلكما عن مشاهدته، أمتأكدان من أنكما لا تريدانني أن أحضر لكما شيئاً؟".

هَزَّ مالكولم رأسه من دون أن يتكلّم، فاستدار السيد نيلسون وعاد إلى الردهة المظلمة، وجلسنا صامتين للحظات، وبدأ قلبي يدقّ دقات متسارعة، وبصوت عالٍ لدرجة أنني كنت أسمعه بأذنيّ، وكنت متأكدة من أنّ الأمر نفسه يحصل لمالكولم.

قال مالكولم أخيراً: "اللعنة".

تحدّثتُ إليه همساً: "لم تكن كاترين هنا في عطلة عيد العمال، كما لم تكونا أنت وأمك كذلك، وهناك شخص واحد فقط كان في إمكانه قيادة سيارة كاترين تلك الليلة".

قال مالكولم مرة أخرى: "اللعنة... لكنّه لم يكن هنا أيضاً، كان في برلنغتون".

قلت له: "هل أنت متأكّد؟".

نهض مالكولم عن الأريكة من دون أن يجيب، وأشار إليّ لكي أتبعه، فتبعتهُ إلى غرفة نومه في الطابق العلوي، وأغلق الباب خلفنا، ثم سَحَبَ هاتفه من جيبه.

"قال إنه تناول العشاء مع رجل يعيش هناك، السيد كوتس، وهو قائد فرقة الكشافاة ولديّ رقمه، ومزّر صفحات عبر شاشة الهاتف لبضع دقائق، ثم صَغَطَ على إحداها، وَقَفْتُ بالقرب منه لدرجة أنني استطعتُ سماع صوت رنين خافت، ثم صوت الرجل.

"مرحباً، سيد كوتس، معك مالكولم كيلي، آسف على الاتصال المفاجئ، ولكن لديّ سؤال ملحّ".

لم أستطع سماع ما يقوله السيد كوتس، لكن نبرته كانت تدلّ على الترحيب به.

"كنتُ أتحدّث للتو إلى أخي، ديكلان، أتعرفه؟ آه، نعم بالطبع أنت تعرفه، إنه ينوي التخصص في العلوم السياسية وهو مهتمّ بالقيام بنوع من

التدريب أو شيء من هذا القبيل، ربما ليس من المفترض أن أفعل ذلك، لكن بيتر ذكّر أنه تناول العشاء معك الشهر الماضي، وقد أخبرته بأن هناك احتمالاً أن يكون لديك بعض الشواغر في شركتك الجديدة".

انتظر ردّ السيد كوتس، ثم تلوّن خداه باللون الأحمر القاني.

"لم يحصل ذلك في عطلة عيد العمال؟ أوه، أنا آسف، لا بد من أنني أخطأت فهم الموضوع، وكما تعلم، كنتُ أحاول مساعدة أخي فقط".

تحدّث السيد كوتس لدقيقة، فأومأ مالكولم برأسه بشكل عفوي، وكان الرجل يستطيع رؤيته.

"نعم حسناً، شكراً جزيلاً، سأخبره بأن يتصل بك، وسيكون ذلك مفيداً له حقاً، شكراً مجدداً".

ثم أنهى المكالمة ونظر إليّ: "هل سمعت ذلك؟".

أجبت: "سمعتُ ما يكفي".

قال مالكولم: "لم يكن بيتر هناك، لقد كان يكذب".

لم يقل أحد منا أي شيء للحظة.

ثم قلتُ بصوت مرتجف: "دعنا نفكّر في الأمر، يبدو أن بيتر كان في البلدة على الأرجح، وقاد سيارة كاترين ليلة عاصفة البرد، ولكن إذا لم تكن كاترين التي قادت السيارة واصطدمتُ بشيء - أو بشخص ما - فكيف لبروك أن تكون متورطة في ذلك؟ لماذا ستساعد في إصلاح السيارة إذا... أوه".

أمسكْتُ بذراع مالكولم، بعد أن بدأت الأمور كلها تسلك مسارها الصحيح، وربما هذه المرة أكون على حق.

"يا إلهي! مال، قالت كاترين إن بروك اختفت ليلاً في أثناء استضافتها في إحدى المرات، هل تتذكّر؟ لقد ظننتُ أن بروك غادرت غرفتها لكي تراك، لكن ماذا لو كانت برفقة بيتر؟".

قال مالكولم بشكل قاطع: "هذا مستحيل".

قلت: "فكّر في الأمر، إذا كانت بروك وزوج أمك على علاقة غرامية - إنه أمر مقرف بالتأكيد، ولكن أعتقد أن هذا أقل مشاكلنا في الوقت الحالي - فهذا يعني أننا كنا ننظر إلى الأمور بشكل خاطئ، ولا يتعلق الأمر فقط بحادثة الاصطدام والفرار، بل بإبقاء كل شيء تحت السيطرة، ونحن بحاجة إلى إخبار رايان بهذا الأمر، وسيعرف كيف يتصرّف".

عندما أخرجتُ هاتفي لإرسال رسالة نصية، انفتح باب الغرفة بشكل مفاجئ، فكان بيتر واقفاً أمامنا، وهو يوجّه بندقية نحونا مباشرةً.

قال بهدوء: "إنّك بحاجة إلى التّحكّم بتعابير وجهك يا مالكولم، هل أخبرك أحدهم بهذا الأمر؟".

كان شعره يلمع تحت الضوء الخافت، وهو يتنسم لنا بشكل طبيعي لدرجة أنني كدتُ أن أبادله الابتسامة.

الفصل الخامس والثلاثون

مالكولم

الخميس، 10 تشرين الأول

طوال أسابيع من التساؤل عما كان يحدث في جميع أنحاء البلدة، لم يخطر ببالي أبداً أن الرجل الذي أثق به بعض الثقة قد يكون متورطاً، يا لي من مغفل! وإليري كانت أسوأ من قام بحل الجرائم، لكن لا شيء من هذا يهمّ الآن.

قال بيتر: "سأضطرّ إلى أخذ هاتفيكما".

كان يرتدي زوجاً من القفازات، وقد بدا ذلك مخيفاً أكثر من البندقية. "لستُ أمارحكما أيها الولدان، ضعاهما على الطاولة بجانب السرير، واحداً تلو الآخر من فضلكما، أنتِ أولاً يا إليري".

امتلنا لأوامره، ثم لَوَّح بالبندقية باتجاه الرواق.

"شكراً لكما، والآن اتبعاني".

سألته وأنا ألقى نظرة خاطفة على إليري: "إلى أين؟".

لقد تجمّدت في مكانها وعيناها تحدّقان إلى يد بيتر اليمنى.

أجاب بيتر بغضب: "أنت لست في وضع يسمح لك بطرح الأسئلة، مالكولم".

يا للهول! هذا سيئ، سيئ للغاية، لقد بدأتُ للتو أفهم حجم الورطة التي وقعنا فيها، وما أعرفه أن بيتر لن يسمح بحصول أي مما يقوم به، لو

كان يخطّط لتركنا أحياء لمنع إفشائه.

قلت له: "انتظر، لا يمكنك... انظر، لقد فات الأوان، حسناً؟ لقد وجدنا الإيصال وقدّمناه إلى الشرطة، إنهم يعرفون أن شيئاً مريباً حدث لسيارة كاترين، وسيكتشفون أنك متورط في المسألة".

بدا بيتر مرتبكاً للحظة، ثم بدّأ عليه الاسترخاء: "لا يوجد في الإيصال ما يشير إليّ".

قلت له: "هناك حقيقة أنك الفرد الوحيد من العائلة الذي كان في البلدة ويمكنه أن يقود السيارة".

هزّ كتفيه باستخفاف، وقال: "لقد استعارت بروك السيارة، وتعرّصت لحادث، الأمر بسيط".

استمررتُ بالكلام قائلاً: "لقد تحدّثتُ للتو إلى السيد كوتس، وسألته عن لقاءه بك في نهاية ذلك الأسبوع، وقال إنه لم يلتق بك، وهو يعلم الآن أنك كذبت".

قال لي: "لقد استمعتُ إلى كل كلمة قلتها يا مالكولم، سمعتك تقول له إنك أخطأت في فهم الموضوع".

قلتُ له: "كانت أمي حاضرة عندما تحدّثنا في الموضوع، وستتذكّر ذلك، وستعلم أن هناك شيئاً مريباً".

أجاب: "سوف تتذكّر والدتك ما أقوله لها فقط، إنها امرأة مطيعة، وهذه أعظم صفاتها".

أردتُ قتله بعد إنهاء كلامه، وأعتقد أنه يعرف ذلك، فترجّع خطوة إلى الوراء، ورَفَعَ البندقية بحيث تكون موجهة مباشرةً إلى صدري.

قلت له: "كان الشرطي مكنولتي موجوداً عندما قالت كاترين إن بروك تسلّلت إلى خارج الغرفة عندما استضافتها ذات ليلة للقاء شخص من أفراد هذا المنزل، وإذا لم تحضر للقائي، فلا شك في أنها قد غادرت الغرفة للقائك".

يشير بيتر إليّ، ويقول: "وإذا لم تكن أنت على قيد الحياة، فلا سبب يجعل أي كائن يعتقد أنها حضرت إلى المنزل للقائي".

اللعة، تمّيتُ لو تخرج إليري من الحالة التي غرقت فيها، لمساعدتي قليلاً.

قلت له: "سوف يشكُّ الناسُ فيك إذا ارتكبت جريمة قتل أخرى، خاصةً إذا كان ابن زوجتك الضحية هذه المرة، أولاً كانت صديقة ابنتك المقربة، والآن أنا، وسينقلب الأمر عليك يا بيتر، وسيكون أسوأ بعشر مرات عندما تنكشف الحقائق".

قال: "أنا أوافقك الرأي".

بدا مرتاحاً تماماً، كما لو كنا نتحدّث عن نتائج لعبة البيسبول، أو عن أحدث سلسلة من مسلسلات نيتفليكس.

قال لي: "الآن ليس الوقت المناسب لارتكاب أي جريمة قتل، لكنني أصرُّ على أن تتبعاني إلى الطابق السفلي، أنتِ أولاً يا إليري".

فجأة شعرتُ ببصيص من الأمل يشتعل في داخلي، رغم أن البرود في عيني بيتر غير مطمئن، ففكرت في الاندفاع نحوه ومهاجمته، لكن إليري كانت تمشي في الرواق والبندقية موجهة إلى ظهرها، فلم يكن لديّ أي خيار سوى أن أتبعها.

قال بيتر: "اسلكا الطريق إلى القبو".

كان قبو عائلة نيلسون ضخماً، فقادنا بيتر عبر غرفة الغسيل إلى المساحة التي تستخدمها والدتي لممارسة الرياضة، فومّضت مشاهد الأسبوع الماضي أمام عيني، وأنا أمشي خلف إليري، وألاحظ كل ما فاتنا، فهناك الكثير لأندم عليه لدرجة أنني لم ألاحظ إلى أين نتجّه حتى صدمتني أكبر حقيقة على الإطلاق، فتجمّدت في مكاني.

قال بيتر: "لم أقل لك أن تتوقّف، مالكولم".

كانت إليري بجانبني وقد توقّفت أيضاً، ثم استدرنا كلانا ببطء.

قلت له: "خاتم تخرّج ديكلان، أكان معك؟ لقد قمتَ برميهِ بالقرب من جثة بروك في هانتسبيرغ".

قال بيتر: "إذاً...؟".

"لم يستردّ ديكلان الخاتم من لاسي، وكانت تحتفظ به عندما ماتت، فهي لم تتوقف عن وضعه في إصبعها، وأنت أخذته منها لأنك...".

تردّدت قليلاً، وأنا أنتظر إشارة منه تدلّ على أنه تأثر بما كنتُ على وشك أن أقوله، لكن لم يظهر أي تعبير على وجهه سوى أنه كان ينصت بكل لباقة.

قلت له: "لقد قتلت لاسي أيضاً".

تنفّستُ إليري بعمق، أما بيتر فهزّ كتفيه قائلاً: "كان أخوك ضحية سهلة يا مالكولم، ولطالما كان كذلك".

كانت عينا إليري مثبتتين على بيتر، وكانت تشدّ القلادة الفضية التي حول رقبتها لدرجة أنها كادت تكسرها.

قالت: "هل... هل فعلت شيئاً لخالتي أيضاً؟".

لم يتغيّر تعبير الهدوء الذي ظهر على وجه بيتر، بل مالَ إلى الأمام وهَمَسَ في أذن إليري بصوت خافت، فلم أتمكن من سماعه، وعندما رَفَعَتْ رأسها لتتظر إليه، كان شعرها يتدلّى على وجهها، وكل ما أمكنني رؤيته هو تجاعيد خصلات شعرها، ثم رَفَعَ بيتر البندقية مرة أخرى بحيث تكون موجهة مباشرةً إلى قلبها، وكنتُ مستميتاً في جذب انتباهه بعيداً عن إليري لدرجة أنني ناديتُ بصوت عالٍ: "هل هذا هوسك يا بيتر؟ أتعاشر فتيات في سنّ ابنتك، وتقتلهن عندما يهدّدن بفضحك؟ ماذا فعلت لاسي؟ هل كانت ستكشف أمرك؟ أم أنها كانت حاملاً؟".

أجاب بيتر: "هذا ليس مسلسلاً تلفزيونياً، مالكولم، وليس من شأنك ما حدث بيني وبين لاسي، ولنقل إنها تجاوزت حدودها".

ثم وجّهَ البندقية نحوي، وقال: "تحركا بضع خطوات إلى الوراء، من فضلكما".

نَفَّذْتُ أوامره تلقائياً، وكانت أفكارني مشوشة كثيراً لدرجة أنني بالكاد لاحظتُ أننا نقف داخل غرفة كانت في أقصى ركن من قبو عائلة نيلسون، وقد تكدّس فيها صناديق من الورق المقوى المحكمة الإغلاق.

قال بيتر وهو يمسك بقبضة الباب: "هذه هي الغرفة الوحيدة في المنزل التي تُغلق من الخارج".

ثم أغلق الباب قبل أن أتمكن من الرد، مما أغرق الغرفة في ظلام دامس، فالتجّهت إلى الباب بعد ثوانٍ، ممسكاً بمقبضه، ثم ضربت عليه بقوة حتى اشتدّ ألم ضلوعي.

صرختُ بصوت عالٍ: "لا يمكنك تركنا هكذا، يعرف الناس أن إليري هنا، لقد أوصلتها جدتها".

قال بيتر: "أعلم".

كان هناك صوت شيءٍ ثقيل يجرّه على الأرض، لذلك توقفتُ عن ضرب الباب حتى أسمع بشكل أوضح.

"هل لك دراية بكيفية عمل المولد الكهربائي المحمول، مالكولم؟ لا ينبغي أبداً تشغيله داخل المنزل بسبب أول أكسيد الكربون المنبعث منه، إنه يقتل بسرعة في منطقة مغلقة كهذه، ولا أعرف كيف قمتم بتشغيله، لكن حسناً، ربما أنت وإليري اصطدمتما به بالصدفة بينما كنتما تعلان من يدري ماذا.. وقد لا نعرف أبداً".

قلت: "لقد حبستنا هنا يا بيتر! وسيكتشفون أنك من فعلت ذلك".

قال بيتر: "سأعود بعد قليل لفتح الباب، ولكنني أخشى أنني لن أستطيع البقاء لفترة طويلة برفقتكما، فانا لا أريد أن أواجه المصير نفسه، بالإضافة إلى أنني أحتاج إلى التوجه إلى متجر البقالة، فقد نفذ الفوشار لدينا، وأودّ أن أقول إن معرفتك أسعدتني، يا مالكولم، لكن بصراحة تامة كنت مصدر إزعاج منذ البداية، إلا أنني إذا أخذت كل ما جرى بعين الاعتبار تكون قد سارت الأمور على ما يرام، وداعاً".

انحسرتُ خطواته سريعاً بينما كنت أقفُ أمام الباب، وكان رأسي يترجّح وقلبي ينبض بسرعة، ولكن كيف وصلت الأمور إلى هذه الدرجة؟ فلو كان ديكلان مكاني لما ذهب إلى القبو كالمغفل، ولكن تمكن من التعامل مع بيتر في غرفة النوم، أو...

فجأة لاحظتُ اشتعال الضوء ورائي، فاستدرتُ لأرى إليري واقفة بجانب الحائط، ويدها على مفتاح كهربائي، وعيناها ترمشان وكأنها استيقظت للتو، ثم مشيت باتجاه وسط الغرفة، وجئتُ علي ركبتيها أمام صندوق، فقامت بتمزيق شريط سميك في أعلاه، ثم قلبته رأساً على عقب مفرغة محتوياته على الأرض.

قالت: "يجب أن يكون هناك شيء يمكنني استخدامه لفتح الباب".

قلت لها وقد غمرني شعور كبير بالأمل: "أنتِ على حق".

ثم انضممتُ إليها لتمزيق الصناديق، فكانت المجموعة الأولى منها مليئة بالكتب والدمى المحشوة وورق التغليف.

قلتُ لها بينما كنا نمزّق مزيداً من الصناديق: "أنا آسف يا إيري، أنا آسف لأنني دعوتك إلى منزلي، وتركتُ ذلك يحدث، لأنني لم أكن فطناً بما يكفي".

قالت: "لا تتكلم، ووقّر طاقتك من أجل البحث عمّا يفيدنا".

بدأ رأسي يدور ومعدتي تؤلمني، لكنني لم أستطع أن أعرف ما إذا كان ذلك بسبب التوتّر أم بسبب انتشار الغاز السام، متى ذهب بيتر؟ وكم تبقى لدينا من الوقت؟

قالت إيري بفخر بينما كانت تستولي على صندوق مليء بزينة عيد الميلاد: "رائع، خطافات".

أخذتُ زوجين واتجهت نحو الباب تحاول فتحه.

قالت بعد عدة محاولات فاشلة: "إنها ليست قوية بما فيه الكفاية، فهي تنحني ما إن أبدأ بالمحاولة، نحتاج إلى شيء آخر، هل ترى أي مشابك ورق؟".

أجبتها: "لا ليس بعد".

فتحت مزيداً من الصناديق وبحثت بين محتوياتها، لكن رأسي كان يؤلمني بشدة، وشعرتُ بالدوار لدرجة أن قدرتي على الرؤية بدأت تتلاشى، ووجدت صعوبة في الوقوف والنظر في أنحاء الغرفة التي خلت من النوافذ التي يمكن تحطيمها، كما أنني لم أعر على أدوات ثقيلة لكسر الباب، فقممتُ بفتح المزيد من الصناديق ونثر محتوياتها على الأرض، على الأقل يمكننا إحداث فوضى، فقد يتساءل الناس عما حدث هنا، لكن حركتي كانت تتباطأ لدرجة الكسل، وكل ما أردتُ فعله هو الاستلقاء والنوم. لا أصدق أنني عرفتُ أخيراً ما حدث للاسي وبروك، لكن بعد فوات الأوان، فلا يمكنني إخبار والديهما بأي شيء، كما أنني لن أحصل عليّ فرصة للاعتذار إلى أخي، ثم بدأت أشعر بأن عينيّ أصبحتا ثقيلتين ومتدليتين لدرجة أنني كدتُ ألا ألاحظه وهو يلعب على الأرض، إنه مشبك ورق صغير منفرد، رَحَقْتُ لالتقاطه

وأنا أصرخ صرخة انتصار خانقة، لكن كان من الصعب جداً الإمساك به، فقد كانت يدي زلقة وكنت غير قادر على التحكم بها، كما لو أنني أرتدي قفازي ميكى ماوس العملاقين، وعندما أمسكتُ بالمشبك أخيراً، استدرت نحو إليري التي كانت مستلقية أمام الباب بلا حراك.

"إليري".

أمسكتُ بها من كتفها وسحبُتها نحو الحائط، ثم أجلستها وتأكدت من أنها لا تزال تتنفس، وبعد ذلك وضعتُ خديها بين يدي محاولاً إيقاظها: "إليري، هيا، استيقظي، أرجوك".

لكنها لم تكن تستجيب، فمددتها بعناية على الأرض، وقمت بتوجيه انتباهي إلى مشبك الورق.

أستطيع فعل هذا من دونها، ولو لم تكن يدي زلقة للغاية، ولو لم يكن دماغي على وشك الانفجار، ولو لم يكن عليّ التوقف عما أقوم به لكي أتقياً لكان الأمر أسهل بكثير.

ولو استطعتُ أن أرى أمامي بوضوح فقط.

الفصل السادس والثلاثون

إليري

الجمعة، 11 تشرين الأول

حاولتُ أن أفتح عينيّ، لكن الضوء كان شديد السطوع وقد آلم عينيّ، وكان الجو هادئاً باستثناء صوت صغير ناعم، فحاولتُ أن أتلمّس رأسي الذي كان يؤلمني، ولكن من دون جدوى، ثم انبَعَثَ من الهواء رائحة مادة التبييض.

وسمعت صوتاً منخفضاً يقول: "هل يمكنك سماعي؟".

كانت يد باردة وجافة تضغط على خديّ.

"إليري، هل يمكنك سماعي؟".

حاولتُ أن أقول نعم، لكن بدا الأمر وكأنني أتأوّه، كما كان حلقي يؤلمني مثل رأسي.

"أنا آسفة، لا تتحدّثي".

أمسكت بيدي، وقالت: "اضغطي على يدي إن أمكنك سماعي".

وفعلت كما طلبت.

"حمداً لله، ستكونين على ما يرام، لقد أعطوك أوكسجين عالي الضغط لإنقاذك، حسناً، أعتقد أن التفاصيل لا تهّم الآن، لكن الأمور تبدو على ما يرام، وتبدين بصحة جيدة، أوه، يا فتاتي المسكينة!".

لم أتمكن من فتح عيني على وسعها بل شققتهما قليلاً، فرأيت
الخطوط العريضة الباهتة في الغرفة، ورأساً رمادي الشعر ينحني أمامي.

قلت: "كيف؟".

لكن لم يبدو ما نطقته يشبه الكلمات، وكان حلقي جافاً لدرجة كبيرة،
فحاولت الابتلاع، لكن ذلك كان مستحيلاً من دون وجود لعاب.

سألت مجدداً: "كيف؟".

لا يزال كلامي غير مفهوم، لكن يبدو أن جدتي فهمت ما أريد قوله.

أجابت: "لقد أنقذك أخوك".

لم أفهم ما يحصل، كيف انتهى المطاف بعزرا في قبو عائلة نيلسون؟
لكن قبل أن أتمكن من طرح سؤال آخر، تلاشى كل شيء مرة أخرى.

في المرة التالية التي استيقظت فيها، كان ضوء الشمس الباهت
يتسلل إلى الغرفة، فحاولت النهوض لكي أجلس، لكن شخصاً ما أجبرني
على الاستلقاء من جديد.

قالت: "ليس بعد".

نظرت نحو الصوت، فتعرّفت إلى وجه ميلاني الذي بدا واضحاً أمامي
تدرجياً، فأردت الحديث إليها لكن حلقي كان مشتتلاً.

قلت لها: "أشعر بالعطش".

أجابت بصوت ودود: "بالتأكيد، خذي فقط بضع رشفات من الماء في
الوقت الحالي، حسناً؟".

رفعت رأسي، ثم وصّعت كوباً بلاستيكيّاً على شفتي، فشربت بشراهة
إلا أنها سحبت بسرعة، فأردت الاحتجاج من أجل الحصول على المزيد،
لكنني لم أملك القوة لفعل ذلك، على الأقل أصبح من الأسهل أن أتكلم
الآن.

قلت: "مالكولم؟".

وضعت يدها على ذراعي، وقالت: "إنه في غرفة أخرى، وسيكون
على ما يرام، وأمك في طريقها إلى هنا".

قلت: "سادي؟ لكنها لا تستطيع مغادرة مركز إعادة التأهيل الآن".

أجابت: "أوه يا عزيزتي، لا أحد يهتمّ بذلك الآن".

كل أعضاء جسدي كانت جافة كالصحراء، لذلك كان من المدهش أن تنهمر الدموع على خدي، فجلّستُ ميلاني على حافة سريري ولقّمت ذراعها حولي وعانقتني بحرارة.

قلت: "أنا آسفة، آسفة على كل شيء، هل السيد نيلسون..؟".

فجأة بدأت معدتي تؤلمني من جديد وكدّثُ أختنق.

قالت: "تقيّئي إذا شعرت بحاجة إلى ذلك".

مرّرت لحظات فأصبحتُ منهكة ومتعرّقة، ولم أتكلم لفترة طويلة، بينما كنتُ أحاول التركيز على التحكم بأنفاسي، لكن عندما تكلمتُ أخيراً، سألتها: "أين هو؟".

أجابت ميلاني بهدوء تام: "بيتر في السجن، حيث ينتمي".

شعرتُ بارتياح كبير لدرجة أنني لم أمانع عندما لاحظتُ أنني أنزلق إلى حالة اللاوعي مرة أخرى، وعندما زارني رايان، كنتُ قد بدأت أشعر بأنني على ما يرام من جديد، فقد كنت مستيقظة لأكثر من ثلاثين دقيقة، وتمكنتُ من شرب كوب كامل من الماء.

قلت له: "لقد فاتك عزرا للتو، فقد جعلته نانا يغادر، لأنه بقي هنا لمدة سبع ساعات متواصلة".

جلس رايان على الكرسي بجانب سريري، وقال: "أنا أصدّق ذلك".

إنه ليس بالزي الرسمي بل كان يرتدي بنطال جينز باهتاً وقميصاً بدلاً منه، ابتسم لي ابتسامة مضطربة وغير ثابتة، ذكّرني بابتسامة عزرا، وتميّت، لثانية واحدة بعيداً عن العقل والمنطق، أن يعانقني مثلما فعلت ميلاني، فقد قالت نانا إن أخي أنقذني، فكانت على حق، ولكنني لم أكن أدرك أي أخ كانت تقصد.

قلت له: "شكراً لك، لقد أخبرتني نانا بأنك جئت تبحث عنا في منزل عائلة نيلسون، لكن لم يخبرني أحد لماذا".

نظرتُ إلى ملامح وجهه الشفافة والودودة، وبدأتُ أتساءل كيف كنت أتخيل أنه يخفي أسراراً مظلمة، فإحساسي لم يكن صائباً أبداً، وأنا متأكدة من أن هذا ما سيخبرني به مالكولم بمجرد أن يُسمَح لي برؤيته.

قال رايان: "لا أريد أن أتعبك".

لكنني قاطعته على الفور: "لا، لا أرجوك، لن تتعبني، أريد معرفة ما حصل".

أرخى كتفيه ومالَ إلى الأمام، وقال: "حسناً، لا يمكنني إخبارك بكل التفاصيل، ولكنني سأخبرك بقدر ما أستطيع، ومن الصعب أن أعرف من أين أبداً، لكن ربما أبداً بالسوار الذي أعطتني إياه ديزي، وقد قالت إنها أخبرتك بشأته".

جلستُ سريعاً لدرجة أنني شعرت بالدوار الذي أصابني فجأة، فرمقني رايان بنظرة قلقة جعلتني أتكى على الوسادة مرة أخرى وأتظاهر بعدم الاكتراث.

قلت: "السوار؟ أحقاً؟ ما أعنيه كيف حصل ذلك؟".

تَظَرَّ إليّ بصمت لبضع ثوان، وأنا أحاول الضغط على شفتي حتى لا أتقيأ عن طريق الخطأ.

أخيراً قال: "لم أفكر في السوار كثيراً في ذلك الوقت، ولكنني التقيت بصانعه في محلها، وقد أخبرتني بأنه لم يكن لديها الكثير من المعلومات، لأنها كانت قد باعت مجموعة كبيرة من تلك الأساور في الوقت نفسه تقريباً، وقد احتفظت بسجلات شراء رديئة، لذلك ظننتُ أن الطريق كان مسدوداً، ومع ذلك طلبتُ منها الاتصال بي في حال باعت أي أساور مماثلة، وفي الشهر الماضي، اتصلت بي بالفعل، بعد أن اشترى رجل السوار نفسه ودفع المبلغ نقداً، وعندما طلبتُ منها أن تصفه، كانت صفاته مطابقة لبيتر تماماً، ولكنني لم أدرك ذلك في حينه، ولم أبداً بربط النقاط حتى جلبتُما لي إيصال إصلاح السيارة ذاك، لأنه جعلني أتحمق من وضع عائلة نيلسون بأكملها، ثم طلبتُ من والدي بروك أن يسمح لي بالنظر إلى صندوق مجوهراتها".

شعرت للحظات بأنني لم أعد أستطيع أن أتحمق بأنفاسي، وبأنني لا أتمكن من التنفس، فكدتُ أختنق.

قلت له: "وبعد ذلك..؟".

قال: "كان لديها سوار مثل الذي تملكه لاسي تماماً، ولم تكن والدتها تعرف متى حصلت عليه أو مِمَّن، لكن كان لدينا نظرياتنا الخاصة".

قلت له بثقة: "نعم، نعم، هذا صحيح".

وكان الأمر خطر بيالي من قبل.

أكمَلَ كلامه قائلاً: "في الوقت نفسه، كنا نبحث في منزل بروك عن أدلة، فقد اختفى هاتفها في الوقت نفسه الذي اختفت فيه، لكننا تمكنا من الحصول على حاسوبها، وكانت قد دُوّنت فيه يومياتها التي وجدناها مدفونة بين مجموعة من الملفات المدرسيّة المحميّة بكلمة مرور، وقد استغرق الأمر منا بعض الوقت لمعرفة كلمة المرور تلك، ولكن بمجرد أن اكتشفناها، عرفنا الحقيقة كاملة، أو الجانب المرتبط ببروك بشكل أدق، فكانت حذرة بشأن الأسماء والتفاصيل، لكننا علمنا أنها كانت على علاقة بشخص يكبرها سنّاً، وأنها كانت معه في الليلة التي حدثت فيها الجريمة الفظيعة، وأنها أرادت تصحيح الأمور، كما كان لدينا إيصال إصلاح السيارة، لذلك بدأنا بربط الأحداث ببعضها، ولكن كانت كل الأدلة التي لدينا ظرفية، ثم عثرت شرطة هانتسبيرغ على خاتم ديكلان في مسرح الجريمة، وقد أخفقت عندما استجوبت ديكلان، فكنتُ أحاول استبعاده من قائمة الشبهات في الوقت ذاته الذي كنت أحاول فيه التأكد من أن الخاتم كان ملكه، لأنني في تلك المرحلة كنت على يقين من أن أحداً ما يحاول تليفيق التهمة له، لكن.. لا أعرف.. فأنا وديكلان لم تكن علاقتنا جيدة، وقد ضغطتُ عليه بشدة، فأثرتُ شكوكاً في رأس مالكولم لم يكن لها من داعٍ".

قلتُ له: "حسناً، ولكن كيف ظهرت في الوقت المناسب؟ ماذا كان سبب مجيئك؟".

أجاب رايان: "رسالتك النصية".

حدّقتُ إليه بهدوء، ثم رفع حاجبيه، وقال: "ألم تلاحظي؟ لقد تمكّنت من إرسال حرف واحد قبل أن يأخذ بيتر هاتفك، كل ما أُرسلَ كان حرف الباء، وقد حاولت الرد على رسالتك عدة مرات، ولكنني لم أحصل على إجابة، وهذا جعلني أقلق خاصةً بعد كل ما كان يحدث، لذلك تكلمت مع جدتك، وعندما قالت إنك تتسكعين مع مالكولم في منزل عائلة نيلسون، شعرتُ بالخوف، فقد بذلتُ قصارى جهدي لإخراج مالكولم ووالدته من ذلك المنزل، بينما كنا نحقق في القضية، لكنهما لم يغادرا، ثم تتوجّهين أنتِ إلى

هناك، وأعرف من تكوينين، إنك تطرحين أسئلة لا يرغب الناس في الإجابة عنها، فتوجّهت في الحال إلى هناك، ظناً مني أنني سأخلق بعض الأعداء لإعادتك إلى منزل جدتك، لكنني وجدتكما..".

سألته: "أين كان بيتر؟".

قال: "كان خارج المنزل بينما كنتُ أتجه إلى داخله، وأعتقد أنه عاد إلى القبو لجرّكما إلى الردهة حتى لا نعرف أنكما كنتما محبوسين، فلم ينطق بكلمة عندما رأيته، فقد ركب سيارته وانطلق بعيداً، فكان ذلك كافياً لجعلي أقتحم المنزل وأبدأ بالبحث، والحمد لله أنني سمعت صوت المولد عندما دخلت المطبخ، لأن الوقت كان ينغد منكما تقريباً، وكاد بيتر أن يصل إلى كندا قبل أن يلحق به عناصر الشرطة، ولا يمكنني الحديث عما وجدناه في سيارته، لكن كان ذلك كافياً لربطه بمقتل بروك".

سألته: "حسناً هذا هوسه؟ معاشره فتيات مراهقات، وقتلهن عندما يعترضن طريقه؟".

هذا ما قاله مالكولم عندما كنا في منزل عائلة نيلسون، بينما كنتُ أقف بجانبه بصمت، مجمدة ولا أفيد به شيء، وكأني لم أمضِ نصف حياتي تقريباً في التحضير للحظة التي سيتمّ جذبي إلى قبو قاتل محترف.

أجاب رودريغيز: "يبدو الأمر كذلك، لكن كوني على ثقة بأنه لم يعترف بأي شيء، وليس لدينا دليل قوي يتعلق بقتل لاسي حتى الآن، ويقوم الأطباء النفسيون بالتحقيق معه الآن، فهم يشتبهون في أنها على الأرجح أرادت إعلان علاقتهما أمام الجميع، وأنها هدّدت بإخبار زوجته أو بشيء من هذا القبيل".

قلت: زوجته الثانية، أليس كذلك؟".

أجاب: "أجل، لم تعد تعيش في إيكو ريدج، لكنها فقدت زوجها وابنها في حادث سيارة قبل أن تتزوج من بيتر، وأعتقد أن هذه صفته الشريرة المميزة، فهو يتصرّف مثل الأبطال أمام المرأة الضعيفة، بينما يتعدّى على الفتيات الصغيرات خلف ظهورهن، ولا أعرف كيف أشرح بخلاف ذلك سبب زواجه من والدة حبيب لاسي".

أصابني ذلك بالرجفة، وبدأتُ أستعيد بعض الذكريات المتعلقة ببيتر ووالدة مالكولم في مطبخهما في المرة الأولى التي ذهبت فيها إلى منزل مالكولم، فكان بيتر جذاباً لكنه بدا أيضاً بعد معرفة هذه الأمور، أنه كان

متحكماً بزوجته، فهو لم يسمح لها بالتحدث، وقد حاول إبعادها عن الغرفة، ولكنه قام بكل ذلك بابتسامة ماهرة، وقد خدعني كما خدع الجميع.

قلت: "يا له من شخص مريض! أسوأ شيء كان يمكن حصوله هو ألا يكون زوج ميلاني موجوداً وإلا لكان حاول التواصل معها".

قال رايان: "أوافقك الرأي في ذلك، على الرغم من أن ميلاني لم تكن لترتبط به أبداً، لأنها كانت امرأة قوية".

كان قلبي يتمزق من أجل مالكولم الذي سيتأثر وعائلته بكل ما جرى، لكن على الأقل ديكلان بريء وأخيراً، وربما بمجرد أن يدرك الناس أن لاسي كانت تحت تأثير بيتر، لن يحكموا عليه وعلى علاقته بديزي بقسوة شديدة، ومن ناحية أخرى أتعاطف مع والدته، فلا أستطيع حتى أن أتخيل شعورها كونها متزوجة من شخص مجرم مثل بيتر.

فجأة قال رايان: "هناك شيء آخر أردت أن أسألك بخصوصه، عندما تحدّثتُ إلى مالكولم، قال إنك سألت بيتر عما إذا كان قد ألحق الأذى بسارة، وأنه همس إليك، ولكنه لم يتمكن من سماعه، ماذا قال بيتر؟".

أجبت بتوتر: "لا أعرف، لم أستطع سماعه أيضاً".

بدت عليه خيبة الأمل: "حسناً، إنه لا يجب على أي من أسئلتنا، بما في ذلك الأسئلة المتعلقة بسارة، لكن لا تقلقي، سنواصل المحاولة".

سألته فجأة: "ماذا عن كاترين؟ لماذا كانت تنشر كل تلك التهديدات المجهولة؟ هل كانت تحاول توجيه انتباه الناس نحو والدها أو شيء من هذا القبيل؟".

أجاب رايان: "لا، هذه قصة أخرى طويلة، لكن لم تكن كاترين متورطة في التهديدات في البداية، بل كانت فيفيان كانتريل هي من بدأها".

قلت له: "فيف؟ لكن لماذا؟ ما علاقتها ببيتر؟ هل كانا على علاقة غرامية أيضاً؟".

ضحك رايان وقال: "لا، كان موضوعاً آخر غير ذي صلة، إنها تقوم بتقديم طلبات إلى الصحافة هذا الخريف، وأعتقد أن بعض الخريجين البارزين أخبروها بأن سجلها لم يكن قوياً بما يكفي للتميز، لذلك قرّرت اختلاق قصة يمكنها تقديم التقارير حولها".

قلت له: "لا بد وأنت تمارحني، لقد فعلت كل هذا الهراء، وأخافت الناس وأعدت ذكريات مروعة، خاصة بالنسبة إلى والديّ لاسي، حتى تتمكن من كتابة التقارير حول ذلك؟".

أجاب رايان بتجهم: "نعم، ولهذا السبب تم توريطك في كل هذا، فقد قامت فيف بالتلاعب بانتخابات لجنة حفل العودة، إذ ظننت أنه سيكون من الأفضل إشراك ابنة أخت سارة كوركوران في الأمر، لأن ذلك سيجلب المزيد من الأخبار والجدل".

قلت: "واو، إنها رهيبة لدرجة كبيرة، أليس كذلك؟".

بدا رايان كأنه يوافقني الرأي تماماً، ولكنه قال: "لقد تتبعنا حيلة التجمع الحماسي، وكنا على وشك التحدّث إلى والديها عندما اختفت بروك، ثم لم نتمكن من منح هذه القضية الاهتمام الكافي، على الرغم من أننا أخبرناها أننا نعرف أنها الفاعلة، فبدت مرعوبة، وأقسمت بأنها ستوقّف في الحال عن القيام بذلك، لذلك فوجئت بشدة عندما ظهر مالكولم ومعه ذلك الفيديو".

سألته: "لماذا قد تتورّط كاترين في شيء كهذا؟".

تردّد رايان قليلاً وقال: "أنا آسف، فلا يمكنني إخبارك بذلك، لأننا نجري محادثات مع محامي كاترين حول الدور الذي ستؤدّيه في التحقيق، وأسباب تورّطها جزء من تلك المحادثات، لذا فالأمر سري".

سألته: "هل كانت تعلم ما كان يقوم به والدها؟".

لم يجب رايان على ذلك، فأردفت قائلة: "ارمش مرة واحدة بعينيك إن كان الجواب نعم".

لكنه نظر إليّ نظرة حب لا نظرة استياء، على ما أظنّ.

قلت له: "إذاً لقد كان لك دراية بكل ما يحصل، وطوال هذا الوقت كنت أعيق طريقك فقط، هل هذا يلخص كل شيء؟".

أجاب: "ليس تماماً، كان إيصال إصلاح السيارة مفيداً حقاً، لاسيما معرفة مدى رغبة بروك في العثور عليه، إضافة إلى السوار ومذكراتها، وهكذا عرفنا مع من كنا نتعامل، كما أن تعرّضك لمحاولة قتل قدّم إلينا حجة لتفتيش سيارة بيتر، فشكراً على ذلك".

قلت له: "أهلاً وسهلاً في أي وقت".

بدأتُ أشعر بالتعب والنعاس، وهذا ما لاحظته رايان لذلك نهض عن كرسية، وقال: "علي الذهاب لكي تحسلي على قسط من الراحة".

قلت له: "هل ستزورني مجدداً؟".

بدا سعيداً بسبب نبذة الأمل في صوتي، وقال: "نعم بالتأكيد، إن أردتِ ذلك".

قلت له: "بالطبع أريد ذلك".

ثم أغمضتُ عيني للحظة وفتحتهما مجدداً، ثم قلت: "شكراً لك، على كل شيء".

قال وهو يضع يديه في جيبه: "على الرحب والسعة". ثم أضاف متردداً: "ربما ليس الوقت أو المكان المناسبان لقول ذلك، لكن... إن كنتِ تشعرين بالراحة الكافية، فإن أختي تقيم احتفالاً صغيراً في منزلها خلال أسبوعين والدعوة إليه مفتوحة للجميع، وهي تفعل ذلك كل عام وتريد مقابلتك وعزرا إن كانت لديكما الرغبة في ذلك".

قلت له مستغربة: "أحقاً؟".

كدت أنسى أن لرايان أشقاء.

أجاب: "نعم، لكنكما لستما مجبرين على فعل ذلك، أو القيام بأي شيء من هذا القبيل، ويمكنك إعلامي لاحقاً إذا أردتما المجيء".

ابتسم بحرارة ورفع إحدى يديه موذعاً ثم استدار واختفى في الردهة.

لقد اعتدتُ تقريباً على رايان، لكنني لست واثقة من شعوري تجاه المزيد من الغرباء الذين تربطني بهم صلة قرابة. يبدو أن الانتقال من عائلة مكونة من ثلاثة أفراد - أربعة بالإضافة إلى نانا - إلى هذا التدفق المفاجئ من نصف الأشقاء وأزواجهم وأطفالهم، فهذا كثير عليّ، لكنني أحب فكرة أن يكون لي أخت نوعاً ما.

سمعتُ صوت صرير الباب، وفاحت رائحة الياسمين فجأة، وعندما رأيتُ غيمة من الشعر المجعد الداكن في المدخل، ارتفع صوت يقول: "إليري".

نادت سادي وعيناها الزرقاوان تتلألآن بالدموع، وقبل أن أتذكر أنني
غاضبة عليها، عانقتُها بكل ما أوتيْتُ من قوة.

الفصل السابع والثلاثون

مالكولم

السبت، 26 تشرين الأول

قال ديكلان: "هذا الطفل يكرهني".

أظنه على حق، لأن الطفل البالغ من العمر ستة أشهر، والذي كان يستلقي متيسباً مثل اللوح على ركبتيه، قد أحمرَّ وجهه وبدأ يجهش بالبكاء، وكل شخص حضر هذه الحفلة شعر بالأسف على الطفل ماعدا ديزي، فقد كانت مبتهجة كما لو أنها لم ترَ مشهداً أكثر روعة من ذلك المشهد من قبل.

قال عزرا لديكلان: "إنك تحمله بشكل خاطئ".

ثم حمل الطفل بمهارة بين ذراعيه.

"فقط استرخ، فالأطفال يمكنهم الإحساس بأنك متوتر".

توقَّف الطفل عن البكاء وابتسم لعزرا ابتسامة عريضة، فدغدَع عزرا بطنه قبل أن يعطيه لديكلان من جديد.

"حاول ثانية".

قال ديكلان: "لا شكراً، أحتاج إلى احتساء مشروب".

صَعَدَتْ امرأة جميلة ذات شعر داكن درج الشرفة، وصَعَطَتْ على ذراع عزرا، وهي تقول: "أنت رائع جداً معه".

إنها والدة الطفل، وأخت رايان رودريغيز، وكنا جميعاً نتسكَّع في منزلها بعد أسبوعين من محاولة بيتر نيلسون قتلنا، ولكننا بدأنا نتصرَّف وكأن

كل شيء عاد إلي طبيعته. لا أعلم، ربما عادت الأمور إلى طبيعتها حقاً، أو ربما اكتشفنا أخيراً أننا لم نكن طبيعيين لسنوات، وحين الوقت لإعادة تعريف معنى الكلمة. توجّه ديكلان إلى المبرّد الصغير في الفناء الخلفي، بينما ضغطت ميا على ذراعي.

وقالت لي: "إنه الوقت المناسب".

أجبتها وأنا أنظر إلى ظهر أخي: "لماذا هي مسؤوليتي وحدي؟ إنه الأخ الأكبر، ويجب عليه مدّ يد المسامحة أولاً".

قالت ميا وهي تقوم بتعديل نظارتها: "كنت تعتقد أنه مذنب وقد ارتكب جريمة قتل".

أجبت: "حسناً لكن حتى إليري كانت تشكّ في أنني كنت مذنباً خلال فترة معينة، وقد تخطّيت الأمر".

قالت: "كانت إليري تعرفك منذ أقل من شهر، كما أنها لم تكن شقيقتك".

قلت: "لكنه لم يزرنني في المستشفى!".

قالت من جديد وهي تنطق كل كلمة بعناية: "لقد كنت تعتقد أنه ارتكب جريمة قتل".

قلت: "وأنا كدثُ أتعرّض للقتل".

أجابت: "يمكنك المناورة في الحديث طوال اليوم، أو يمكنك أن تكون الشخص الأكبر، وهو على الأقل حضر الحفل".

قلت لها متبرّماً: "حسناً، حسناً".

ثم انطلقت نحو ديكلان الذي لم أكن واثقاً من حضوره، فلم نتحدّث سوى مرتين فقط منذ أن خَرَجْتُ من المستشفى، وغالباً كان نقاشاً حول الأمور المتعلقة بأمي، فالوضع كان سيئاً، بعد أن تمّ تجميد جميع أصول بيتر، لذلك لم يعد لديها ما تملكه باستثناء حساب مصرفي لن يغطّي نفقاتها لأكثر من شهرين، وسننتقل إلى سولزيري قريباً. صحيح أنني لا أطيق الانتظار للخروج من منزل عائلة نيلسون، لكنني لا أعرف ما سيكون مصيرنا بعد ذلك، فلم تعمل أمي منذ أكثر من عام، ومن الصعب الوصول إلى والدي الآن أكثر من أي وقت مضى، وعلى الرغم من أننا حصلنا على عرض مغرٍ

لنشر الجانب المتعلق بنا من القصة عبر إحدى الصحف، لكننا لسنا يائسين إلى هذه الدرجة لكي نقبل العرض.. حتى الآن كان ديكلان لا يزال في الزاوية البعيدة من الفناء، وهو يسحب زجاجة بنية متجمدة من المبرّد الأزرق، فأزال الغطاء عن الزجاجة وارتشف رشفة طويلة، ثم أخفصّها عندما لاحظ قدومي.

"كيف حالك، أخي الصغير؟".

قلت له: "هل يمكنني الحصول على واحدة؟".

أجاب: "لكنك لا تشرب".

قلت له: "ربما سأحتاج إلى البدء بذلك".

أعادَ ديكلان فتح المبرّد وأغرّق يده في أعماقه، مستخرجاً زجاجة مماثلة لتلك التي يحملها، وقدمها إليّ، فتمكّنتُ من فتحها من دون أن يؤلمني الجرح الذي تسبّبته الحواف الحادة، وأخذتُ رشفة صغيرة، في انتظار أن ينفجر الطعم المر في فمي، لكن المذاق لم يكن بهذا السوء، وكنتُ أشعر بالتوتر والعطش، فشربتُ ربع الزجاجة قبل أن يمسك ديكلان بذراعي، ويقول: "عليك أن تتمهّل".

نظرتُ إلى عينيه، ونطقت بالكلمات التي كنت أتدرّب على قولها منذ أسبوعين: "أنا آسف".

كنت مستعداً لأي رد تقريباً، كأن يصرخ في وجهي، أو يمشي بعيداً من دون أن يقول شيئاً، أو حتى أن يسدّد لي لكمة على الفك، فكدمات لكلمات كايل كادت أن تختفي، في الوقت المناسب تماماً لكي أتلقّي بعض الكدمات الجديدة من شقيقي، ولكن ديكلان لم يفعل أي شيء مما توقّعتة.

أخذ رشفة ثم صفق زجاجته بزجاجتي، وقال: "وأنا آسف أيضاً".

كادت الزجاجة تنزلق من يدي، وقلت له مستغرباً: "ماذا؟".

أجاب: "لقد سمعت ما قلته".

قلت له: "إذاً أنت لست..".

ثم شرّد ذهني قليلاً، فليس من المعقول أن أقول له: "أنت لست غاضباً؟" فهذا يبدو مستحيلاً.

نَظَرَ ديكلان إلى الشرفة حيث يجتمع الجميع، وقد أغمض عينيه قليلاً بسبب نور الشمس الساطع، فقد كان اليوم من تلك الأيام الساحرة التي تحلّ في أواخر تشرين الأول في فيرمونت، حيث تكون السماء زرقاء صافية، والأشجار من حولنا تنضج بالألوان. كانت ديزي تحمل الطفل الصغير وتتحدّث بحماسة إلى أخت ريان، بينما كان عزرا وميا جالسين جنباً إلى جنب على الدرج الخشبي، وكانت ركبهما متدلّية، أما رأساهما فكانا متقاربين، وقد فُتِحَ باب المنزل فتقدّمت فتاة إلى الشرفة، وقد انسدت حول كتفها خصلات مجعّدة من الشعر الداكن، وقد كنتُ أترقّب قدومها، لكنني أعتقد أنه يمكنني الانتظار لفترة أطول قليلاً لمتابعة الحديث مع أخي.

أخيراً قال ديكلان: "لقد كنتُ أخاً سيئاً لك يا مال، ولسنوات طويلة، وأنا لن أكذب عليك الآن، فلم أكرث لك عندما كنا طفلين، فقد كنتُ منهمكاً جداً بأموري الخاصة، وأنت لم تكن تشبهني بما يكفي لكي أعيرك انتباهي، ثم ساءت الأمور واضطرت إلى الرحيل، ولم أفكر فيك في ذلك الوقت أيضاً، لذلك لستُ متأكداً من سبب خيبة أمني وتوقّع أن تقف إلى جانبي عندما وجدَ أحدهم خاتمي في مسرح جريمة قتل".

شعرت بأن حلقي بدأ يجفّ وقد أثار ذلك انزعاجي، لكنني لم أرد احتساء المزيد.

قلت: "كان يجب أن أدرك أن لا علاقة لك بتلك الجريمة".

هزّ ديكلان كتفيه وقال: "لماذا عليك ذلك؟ فنحن بالكاد كنا نعرف بعضنا، وأنا البالغ هنا، أو هكذا يقولون لي، لذلك كان عليّ أن أبادر بالاعتذار".

فَتَحَ المبرّد مرة أخرى وسَحَبَ جعة الزنجبيل منه وأعطاني إياها، كنتُ متردداً في أخذها، لكنه أخذ القنينة من يدي، ووضعها على طاولة قريبة.

قال: "بالله عليك يا مال، أنت لست من النوع الذي يشرب".

قلت له: "لا أعرف ما الذي سيحدث مع أمني".

أجاب: "وأنا أيضاً لا أعرف، فالأمور ليست جيدة، ولكننا سنجد الحل، ويمكنكما الحصول على منزل بالقرب من منزلي وديزي، فسولزبيري ليست سيئة".

ابتسم ابتسامة خفيفة وارتشف رشفة من الجعة، ثم أكمل كلامه قائلاً: "الزبائن الدائمون في حانة بوكوفسكي ليسوا بهذا السوء عندما تتعرّف إليهم".

تلاشى الضيق الذي كان يثقل صدري، وقلت: "من الجيد معرفة ذلك".

سألني: "هل تحدّثت إلى كاترين؟".

أجبت: "لا".

انتهى بها الأمر إلى التعاون بشكل كامل مع مكتب المدّعي العام، فسلمتهم دليلاً واحداً وهو غطاء هاتف بروك الخلوي، وقد وجدته كاترين في اليوم الذي نظّم فيه بيتر حملة البحث عن بروك، بعد أن دخلت إلى مكتبه للتفتيش عن شاحن لهاتفها، ومن الواضح أن بيتر كسر هاتف بروك، ولكنه احتفظ بالغطاء كنوع من الجائزة لإرضاء غرائزه المريضة، تماماً كما فعل بخاتم لاسي، ولم يكن غطاء الهاتف من الممكن أن تجده في متجر، لأن بروك صنعته بنفسها من خلال استخدام زهور مجففة وطلاء أظافر، فكان غلافاً فريداً من نوعه، وعندما رأت كاترين أنه كان مخفياً بعناية، عرّفت أن والدها متورط، وبدلاً من تسليمه، قامت بتقليد أحد تهديدات فيف المجهولة لمحاولة تشتيت الانتباه عنه، وقد حاول محامي كاترين تبرئتها قدر المستطاع، وادعى أن بيتر قد أبعدنا عن والدتها بشكل منهجي لسنوات، حتى يتمكن من السيطرة عليها والتلاعب بها، لدرجة أنها كانت تعتمد عليه تماماً ما جعلها غير قادرة على التمييز بين الصواب والخطأ، كما اعتبرها ضحية من نوع مختلف عن لاسي وبروك، ولكنها لا تزال ضحية بشكل أو بآخر، وربما هي ضحية بالفعل، فلست واثقاً من ذلك، لأنني لم أجب على الرسالة التي أرسلتها إليّ منذ إطلاق سراحها وتعهد خالتها بها، لأنه لا يُسمح لكاترين بالخروج من البلاد، وأما لا ترغب في الانتقال إلى هذه البلدة.

كان مضمون رسالتها "لقد كان كل ما أملك"، لكنني لم أجب عليها، ليس فقط لأن كلامها غير صحيح، لأنه كان لديها أنا وأمي، على الأقل، بالإضافة إليّ عمّتها وحتى ثيو وفيف، ولكن لأنني لا أستطيع التفكير فيها من دون أن أتذكر آخر مرة رأيتُ فيها بروك برفقتها، وبعد خمس عشرة دقيقة، وفقاً للشرطة، ذهبتُ مرة أخرى للقاء بيتر. لا أعتقد أنه يمكنني تقبّل حقيقة أن كاترين كانت تعلم أن بيتر متورط في اختفاء صديقتها المقربة، ووقفت إلى جانبه على أي حال، وربما في يوم من الأيام، عندما تبدأ الأمور، يمكنني أن أحاول أن أفهم كم من الصعب أن تنشأ في كنف أب بهذه السمات

الوحشية، لكن لا يمكنني أن أتفهّم أي شيء الآن بعد أسبوعين فقط من محاولته قتلي.

قال ديكلان: "ربما من الجيد عدم التحدث إليها، فتلك العائلة فاسدة حتى العظم، وعلى أي حال، يجب أن تأتي أنت وأمي لتناول العشاء في منزلنا هذا الأسبوع، فقد اشترينا أنا وديزي مشواة".

ضحكت وقلت ساخرًا: "تبا، اشتريتما مشواة؟ ورأيتك الآن تحمل طفلًا، ماذا بعد، أيها الأب؟ هل ستبدأ بالحديث عن المرح الأخضر في منزلك؟".

نظرَ إليّ ديكلان، وللحظة ظننتُ أنني تخطّيتُ حدودي، لكنه ابتسم وقال: "هناك مصير أسوأ من ذلك يا أخي الصغير، أسوأ من ذلك بكثير".

استدارَ نحو الشرفة مجددًا، بينما كان يقي عينيه من الشمس، بينما كانت إليري تشبك يديها بقوة أمامها وهي تتحدّث إلى أخت رايان.

قال: "لماذا ما زلت تنبح في وجهي؟ اذهب إلى فتاتك".

بالكاد قلت إنها ليست فتاتي حتى قام ديكلان بدفعي بقوة باتجاهها: "لا تكن جبانًا يا مال". ثم أخذَ جعة الزنجبيل من يدي.

تركته وذهبت باتجاه الشرفة، فلاحظتُ إليري وجودي وأنا في وسط الطريق إليها تقريبًا، فقامت بالتلويح لي، وقالت شيئًا ما لأختها غير الشقيقة، ثم تزلتُ على الدرج واتجهت نحوي بحيوية، ما جعل قلبي يقفز من الحماسة، فلم أرها سوى بضع مرات فقط منذ مغادرتنا المستشفى، ودائمًا ما كان معها عزرا أو ميا أو جدتها، حتى إنني رأيت سادي لفترة وجيزة قبل أن تعود إلى مركز إعادة التأهيل، كما لم نكن أنا وإليري وحدنا هنا أيضًا، لكن لبضع ثوان في وسط الفناء الخلفي، تلاشى الجميع وشعرتُ بأننا وحدنا أخيرًا.

قالت وهي تقف على بعد قدم مني: "مرحبًا، كنت آمل أن أراك هنا".

ثم نظرتُ نحو ديكلان، وقالت: "كيف سارت الأمور؟".

أجبتها: "أفضل مما توقّعت، وكيف تسير الأمور مع إخوتك غير الأشقاء الجدد؟".

قالت: "أفضل مما توقّعت أيضاً، إنهم لطفاء، لكنني لستُ مرتاحة مع الاثنين الآخرين كما أنا مع رايان، وعزرا أفضل مني بالانسجام معهم، كالمعتاد، وأنت كيف تشعر؟".

أجبتها: "بخلاف الصداق؟ الأمور ليست بهذا السوء، فلا يوجد آثار دائمة، أو هذا ما زعمه الأطباء على الأقل".

تردّدت ثم قالت: "نعم وأنا أيضاً، وأعتقد... أن الكوايبس ستزول في النهاية".

قلت لها: "أمل ذلك".

انتظرتُ للحظة ثم أكملت كلامي قائلاً: "انظري، أنا آسف للغاية لأنك لم تستطعي الحصول على أي نتيجة أو معلومة بشأن خالتك، وأعلم أن هذا كان سيعني الكثير لعائلتك، ولكن ربما عدم سماعك لما همس به في أذنك كان الأفضل".

قالت: "أتمنى فقط...".

ترقرقت الدموع في عينيها، وهذا جعلني أضّمّها بين ذراعي من دون تفكير، فمالت برأسها على صدري بينما دَقَنْتُ وجهي في شعرها، ولبضع ثوانٍ شَعَرْتُ بشيء لم أشعر به من قبل كما لم أختبره منذ أن كنت طفلاً صغيراً، وقبل أن يبدأ والداي بالشجار، ويتجاهلني أخي أو يسخر مني، فقد شعرتُ بالأمل.

قلت لها: "سيكون كل شيء على ما يرام".

أجابت: "كيف؟ كيف لنا أن ننسى شيئاً كهذا؟".

تَظَرْتُ إلى الشرفة، حيث انضمّ ديكلان مجدداً إلى ديزي، وهما يتحدثان إلى رايان والسيدة كوركوران، ونزل عزرا من على درج الشرفة ليحمل الطفل مرة أخرى، بينما كانت ميا تلاعبه، ووَصَلَتْ عائلة كيلدوف لاحقاً، وعلى الرغم من أن والدتي لم تكن موجودة، إلا أنه يمكنني أن أتخيّلها وهي تقوم بشيء مثل ذلك يوماً ما، فتسامح نفسها لتصديقها أكاذيب شخص متوحش، فعلياً جميعاً أن نجد طريقة لمسامحة أنفسنا.

قلت لها: "إننا ننسى عن طريق الاستمرار بالحياة والعيش بشكل طبيعي، على ما أعتقد".

ابتعدت إليري عني بعد أن ابتسمت لي ابتسامة مشرقة، ومزّرت يديها على خديها المبللين لتمسح الدموع التي بللت رموشها الداكنة والكثيفة.

"أحقاً؟ أهذا كل ما لديك لتقوله؟".

أجبتها: "لا، لدي شيء آخر أريد أن أقوله لأجعلك تبتهجين".

تظّرت إليي باستغراب، فانتظرت قليلاً قبل أن أتكلّم، لكي أضيف إلى الأجواء بعض التأثير الدرامي.

ثم قلت: "هل ترغبين في زيارة متحف المهرجين برفقتي؟".

ضحكت إليري، وقالت: "الآن؟ ونحن في منتصف الحفلة؟".

قلت: "وهل من توقيت أفضل من هذا الوقت؟".

أجابت إليري: "بعد انتهاء الحفل مثلاً؟".

قلت: "إنه في آخر الشارع، يمكننا الذهاب والعودة إلى هنا خلال نصف ساعة، أو خمس وأربعين دقيقة كحد أقصى، وهناك فوشار مجاني وكلاب.. ومهرجون أيضاً بالطبع".

قالت: "يبدو عرضاً مغرباً بحق".

أجبتها: "حسناً، دعينا نذهب".

سبّكت أصابعي بأصابعها وزهبت باتجاه الممر.

قلت لها: "لكنك ستضطرّين إلى القيادة، لأنني تناولت ما يقارب نصف زجاجة جعة".

أجابتنني بابتسامة: "يا لك من متمرّد! لكنك قلت إن علينا الاستمرار بعيش حياتنا على أي حال".

ضغطت على يدها بشكل أقوى وثبيت رأسي تجاهها، قائلاً: "أنا أعمل على ذلك".

الفصل الثامن والثلاثون

إليري

السبت، 26 تشرين الأول

كانت يد مالكولم دافئة وهي ممسكة بيدي، وكانت أوراق الأشجار تتناثر حولنا مثل قصاصات ورق كبيرة الحجم، والسماء زرقاء لامعة. إنه يوم جميل، من النوع الذي يجعلك تعتقد أن الأمور ستكون على ما يرام بعد كل شيء. على الرغم من كل الصدمات التي تلقيناها خلال الأسبوعين الماضيين، إلا أنه حدثت أشياء جيدة أيضاً، بينما كانت سادي في البلدة، تحدّثت هي وانا، وتحدّثنا بجد هذه المرة، فهما لا تزالان لا تفهمان بعضهما كثيراً، ولكنني شعرتُ أخيراً أنهما تريدان المحاولة، ومنذ عودة سادي إلى مركز إعادة التأهيل، لم تقم بإجراء مكالمة هاتفية عشوائية واحدة، فقد مرت ثمانية أيام فقط، ولكن ذلك يعدّ إنجازاً، كالطفل الذي يخطو خطواته الأولى، وقد اتَّفقتُ نانا وسادي على أنه ينبغي أن ننهي أنا وعزرا سنتنا الأخيرة في ثانوية إيكو ريدج، حتى لو تمكّنتُ سادي من الحصول على شهادة تثبت صحتها وكفاءتها في كانون الثاني، ولا مشكلة لديّ بذلك، وقد بدأت أحاول أن أجعل غرفة نومي أكثر راحة ودفئاً، فقمّتُ بشراء بعض الصور والمطبوعات من معرض فني في نهاية الأسبوع الماضي، ووضعتُ صوراً لي ولعزرا برفقة ميا ومالكولم، بالإضافة إلى ذلك، كان لدي اختبار القبول الجامعي الذي يجب التقدّم إليه، والكليات التي يجب زيارتها، ونصف الأشقاء الذين يجب أن أتعرّف إليهم، وربما سيكون لدي المزيد من المواعيد الغرامية مع مالكولم.

وعلى الرغم من أنني قضيتُ ما يقارب الستة أسابيع في محاولة كشف الأكاذيب التي تحيط بإيكو ريدج، إلا أن كل ما أمكنتني التفكير فيه منذ ذلك اليوم في قبو منزل عائلة نيلسون هو أنه من الأفضل لبعض الأسيرار أن تبقى مدفونة، فقد كاد الأمر يقتل سادي لمجرّد التفكير في أنها تحلّت عن

توأما ليلة اختفاء سارة، ولا أظنّها قادرة على تحمّل سرّ آخر، لذلك سأكتمه من دون الشعور بأيّ ندم وإن كان الذنب سيثقل كاهلي، كما أنه من الصعب بالنسبة إليّ أن أشاهد أخي يبتسم ويمزح في الحفلة على الرغم من معرفتي بالحقيقة، وهي أنه ليس من المفترض أن نكون هنا.

أمسكْتُ بيد مالكولم بقوة أكثر لمنع القشعريرة التي كانت تنساب إلى أسفل عمودي الفقري في كل مرة أتذكّر فيها صوت بيتر وهو يهمس في أذني، بصوت خافت جداً كدثّ أفوّته، وتميّهت لو أنني لم أسمعها، لأنني سأقضي بقية حياتي على أمل ألاّ يكرّر الكلمات التي اعتقدت أنني سأحملها معي إلى قبري.

"اعتقدتُ أنها والدتك".